القديس
افرام السرياني
مختارات نسكية وزهدية



١٩٩٤

اسبيرو جبور
الاب افرام كرياكوس

القديس افرام
مختارات نسكية وزهدية

مطرانية الروم الارثوذكس باللاذقية

١٩٩٤

قال يوحنا كواستن الالماني الاصل والمؤرخ الآبائي الاكبر في عصرنا :

الغرب لم يكتب لاهوتاً . قطعة من افرام السرياني تعادل كل ما كتبه الغرب في اللاهوت .

التنضيد والاخراج الفني:
مؤسسة التنضيد التصويري (دبس)
دمشق : ٢٢١٦٥٩٣ — ٢٢٣٠٩٦٥
مطبعة دار العلم ـ دمشق

يا الهي ! يا ملاذي

يا من عكست مسحة من بهائك وجمالك وقدرتك في هذه الأكوان الفسيحة شبه غير المحدودة ،

يا من نفخت روحا في جبلة من تراب فصنعت آدم شخصا في روح وجسد ، فصار على صورتك ومثالك واسكنته فردوساً أرضيا ،

يا من تجلّى بهاؤه في كل ما هو جميل وصالح ، لتكون الصنعة عاكسة كمالات مجد الصانع ،

يا من ، تداركنا بعد السقوط بمعجزة جعلت خلق هذا الكون صورة باهتة لمجدها اللائق بالغير المحدود ، انها معجزة التجسد الالهي .

فيا من اخترق كل حدود المستطاع وصنع اقصى المستحيل مستحيلا ، يا يسوع ،

يا من حلّ ملء لاهوتك في جسد أقرضتك إياه سيدتنا الدائمة البتولية والفائقة القداسة أم الله ، اسند عقلي وقلبي ليحتملا نار هذا التجسد الاحرّ بما لا يقاس من نار شموس الكون ونجومه وكواكبه .

وان كانت هذه النار تدخل فمي دون أن أذوب مثل الشمع ، فهذا تنازل غير الموصوف وغير المحدود لتحرق خطاياي دون أن تفنيني . أنا أعلم اني غير

مستحق واني شرير بقدر ما انت قدوس . ولكن لدي شفعاء لديك : امك البتول ورسلك الاطهار وشهداؤك الميامين من شهداء دم وشهداء نسك مع سابقك وصابغك الناسك الكبير والشهيد العظيم يوحنا المعمدان . فبدمائهم واعراقهم الممزوجة بدمك الطاهر ، اجعلني شهيداً ولو بالنية على ما علّم رئيس كهنتك باسيليوس ، واشفِ سقمي وبؤسي .

قطع رأس المعمدان ١٩٩٣ ا . ج

يا أبانا القديس افرام

يا عاشق السماويات وماقت الدنيويات ،

يا عدو المجد الباطل ومحتقر الكبرياء ،

يا كنه التواضع ومعدن الزهد في الدنيا ،

يا هائماً بالله يخنق قلبه بنار الثالوث ،

يا والهاً بالله لا يهدأ له بال الا في الله ،

يا نشيداً فردوسياً لفردوسنا الجديد يسوع ،

يا سابحاً على أجنحة النظر الالهي السماوي ،

يا متأمل الالهيات ودائساً الجسدانيات ،

يا مشغوفاً بالبتولية ومتألّها باللب ،

يا من كانت رجلاه على الأرض وعقله لدى اله المجد ،

يا تائقاً والهاً الى الجمال الاسنى الكلي الاشتهاء ،

ابتهل الى الثالوث القدوس

لكي ندوس نحن أيضا الجسدانيات ونشتهي السماء ،

لكي نخرج من ذواتنا المجرمة ونلتصق معك بيسوع ،

له المجد والاكرام والسجود مع أبيه وروحه القدوس . امين .

حاشية : تعيّد الارثوذكسية للقديس افرام في ٢٨ كانون الثاني شهر اعياد كبار الآباء . وتعيّد له روما في ١٨ حزيران .

المقدمة

القديس افرام

طلب مني قدس الاب افرام في ٢١/٨/٩٣ كتابة نبذة عن القديس افرام ، فاعلمته في اليوم التالي بالخضوع لرغبته المشروعة ، فأنشىء بحثا علمياً دقيقاً [١] يليق بمقام قديسنا العظيم . فارجو أن يحتمل القارىء ما فيها من تدقيق علمي انتقادي تاريخي ، وان كانت الكتب المتوفرة لدي لا تفي بالغرض ، كما فعلت حين إنشاء حياة القديس العظيم سمعان العمودي . وألقيتُ بالحواشي الى نهاية النص لأريح المطالع غير المعتاد على التدقيق العلمي الواسع .

وُلِدَ افرام لأبوين مسيحيين [٢] . ونشأ مسيحياً على مطالعة الكتاب المقدس . وكان مولده في نصيبين [٣] أو جوارها (في العام ٣٠٦) من كرسينا الانطاكي المقدس .

عاصر افرام ٣ أساقفة في نصيبين . أولهم القديس يعقوب الذي حضر المجمع الاول المسكوني في نيقية العام ٣٢٥ ، ومات في العام ٣٣٨ أثناء الغزو الفارسي .

خضع أفرام في شبابه لتأثير هذا الأسقف القديس (٣٠٣ ـ ٣٣٨) الذي كان قد عاش ناسكاً . فكان متشددا في تنسّكه ، فيؤلّف بين الحميَّة والمحبة . . كان مجاهداً رسوليا ، كثير الأصوام ، مستقيم التعليم الصافي . وينسب افرام الى بقاياه

حماية المدينة من الفرس . والايمان بقداسة بقايا القديسين أصيل في المسيحية . وقد زيّنه يوحنا فم الذهب بما كتبه عن بقايا الشهيد العظيم بابيلا (٢٥٠) اسقف انطاكيا (الينابيع المسيحية ، العدد ٣٦٢) .

خلفه ڤولوجيس (٣٤٦ - ٣٦١) . فترك هذا على افرام تأثيراً كبيراً . يذكر افرام باعجاب شديد بلاغته ومناقشاته ووداعته . اهدى اليه افرام نشيده الخامس عشر . يصفه بصفات اشتهر بها افرام نفسه : الحكمة ، الحلم ، الطهارة ، البتولية ، التعليم المستقيم ، الرزانة ، الفقر ، الاعتدال ، السيطرة الداخلية والخارجية على الذات . كان متبتّلا متوحّدا ، مثقفاً ، لامعاً بين الوعّاظ ، علّامة بين المتعلمين وبليغا بين الحكماء . أنه اسقف إلهي السمات حقيقي لا مزيّف .

وسار أفرام على خطاه ، فعرف الثقافة والنسك ، فكان في أيامه معلما مشهورا في نصيبين . افرام شاعر اللغة السريانية وأديبها الكبير المجدِّد .

سوزومينوس المؤرخ المشهور يؤكد ان افرام كان شماساً وبقي شماساً . ولما أريد تنصيبه اسقفا تظاهر بالجنون ، فتملص [٤] . وكان له رفيق في الشمّاسية اسمه ابراهيم . هذا خلف الاسقف في الاسقفية ، فلعب افرام الى جانبه دور البكر والصديق والمستشار . هؤلاء الأساقفة القديسون ما غاروا من نباهة أفرام ولمعانه ، لأن قلوبهم المترعة بالمحبة طبّقت الفصل ١٣ من كورنثوس الأولى ، فتحوّلت أهواء النفس - كما يقول مكسيموس وبالاماس - وبلغوا حالة عدم الهوى المقدسة . في تعليم مكسيموس الأثرة هي ام الاهواء [٥] . متى تحوّلت الاهواء فرغ القلب من الأثرة (الانانية البشعة) ، وألهب الروح القدس الانسان بنار الشوق الالهي ، فتحوّل حب الذات والدنيا الى هيام بالله وخلائقه باسمه ولأجله . ما كانوا متعاظمين ينظرون الى الشماس شذرا ومن علٍ كأنهم أولاد آلهة وهو ابن جارية : انها القداسة . ولكن سلّم الامبراطور نصيبين الى الفرس - كما في الحاشية أدناه - فرحل افرام مع الراحلين الغاضبين الى قاعدة المنطقة الرها [٦] الواقعة على

مؤلفاته

قرأت مرة ان ادمون Beck الراهب البنيديكتي أصدر المؤلفات الكاملة في لوڤان ببلجيكا في ١٦ مجلدا بالسريانية وبإزائها ترجمة ألمانية . انه أقوى الدارسين لمار افرام . لم أرها لان ثمنها باهظ جدا . ولا اعرف الالمانية لأستفيد من المقدمات والحواشي . فافرام كاتب طبّقت شهرته الآفاق ، فتمت ترجمة بعض آثاره وهو حي الى اليونانية . قال فيه ثيوذوريتوس اسقف قورش الكاتب الكنسي والمؤرخ الذي امتدحه كثيرا خريسستوموس باپاذوبولوس في كتابه «تاريخ كنيسة انطاكية» (ص ٢٥٧ و ٢٨٥ و ٢٨٨ و ٢٩٧ و ٢٩٩ و ٣١٥ و...) :

«افرام العجيب أداة النعمة الالهية ، «قيثارة الروح» (الرسالتان ١٥٢ و١٤٥) .

وقال فيه المؤرخ الكنسي الأخر سوزومينوس (من جوار غزة) :

«الزينة الكبرى للكنيسة الجامعة : كان باسيليوس الكبير معجباً بافرام» (التاريخ الكنسي ٣ : ١٦) .

يحاول Beck ويلحق به مترجما «منظومة الفردوس» الى الفرنسية والعربية تجريد افرام من كل تأثير يوناني . هذا تطرف . انطاكيا في القرن ٤ قلعة فكر الشرق . في العام ٢٤٠ سبى شابور الأول انطاكيا ونقل كميات ناطقة باليونانية وأقطعها جنديسابور في الاهواز . واعجب بالفكر اليوناني ، فأضحت جنديسابور القلعة العلمية المشهورة في أيام العباسيين بقيادة آل بختيشوع وسواهم . فالتبادل الثقافي في غربي الفرات واسع . بطريرك السريان الأسبق العلامة مار أفرام برصوم ترجم عن السريانية وكمّل عن الأصل اليوناني لائحة أساقفة الكرسي الانطاكي التي نظمها في العام ٥٧٠ بطريركنا القديس انسطاسيوس الأول . عدد الأساقفة ١٥٣ على ما أخذت به في «سرّ التدبير» (ص ١٣٤) عن Stein . فهذه الكتلة

الضخمة واحدة . والرها كطريق للقوافل بين انطاكيا والشرق الأقصى ما بقيت خارج جاذبية الفكر اليوناني . افسابيوس حمص المعاصر للقديس افرام من الرها . غادرها ليتثقف يونانيا ، فانتهى معلما كبيرا في انطاكيا واستاذا لذيوذوروس رئيس المدرسة الانطاكية (راجع كتابنا : قديسون من حمص) ، باللغة اليونانية . فالايمان في الكرسي مرتبط بانطاكيا اي بمصادر يونانية .

ولكن مؤلفات افرام شغلت عددا كبيرا من النقّاد للتنخيل الواسع . يبدو انها نالت في اليونانية حظا أكبر من حظها في السريانية . فبعد القرنين ٦ ـ ٧ لم تصلنا مخطوطات آثار افرام الا مخلوطة بآثار غيره . وعن اليونانية أُخِذَت الترجمات اللاتينية والقبطية والروسية والعربية . وهناك ترجمات جيورجية وارمنية وحبشية .

اما الترجمات العربية فتعود الى ما بعد العام ٩٠٠ . وقعتُ في العام ١٩٥٢ على مخطوطة عربية في دير القديسة تقلا بمعلولا . لم يذكرها الأب جورج غراف في كتابه الالماني الكبير عن الاداب المسيحية العربية ، ولم يُفرغ لترجمات افرام العربية مكانا . اللغة ركيكة جدا جدا . ونشر الاقباط حديثا مخطوطة لمار أفرام : بدون مقدمة وتاريخ وتعريف : «ميامر مار افرام السرياني» .

لغتها ايضا ركيكة جدا . هذه الترجمات جرت أصلا في دير القديس سابا في برية الاردن الغربية وفي دير القديسة كاترينا بسيناء .

فكر افرام

لاهوتيا ، افرام ارثوذكسي انطاكي يؤمن بالكتاب الالهي ، وبالثالوث القدوس الاله الواحد ، وبتجسد الابن من مريم العذراء . ويؤمن بالاسرار المقدسة ، والقيامة والدينونة والملك الابدي . هو واعظ ومفسّر ومرنم وشاعر أكثر منه مدقق لاهوتي على طريقة غريغوريوس اللاهوتي .

انما هو أيضا مناضل عملاق ضد الهرطقات . ففي القرن الرابع ، بقيت هرطقات عديدة تجوب المنطقة : الغنوسيون (العرفانيون) ، المانويون ، الماركيانيون ، الآريوسيون ، الزاردشتيون واليهود .

من كان ليبلي البلاء الحسن ضد كفرهم ، الا فارس المنابر والساحات ، والقلم السيال ، والشاعر المبدع ، والمرنّم الالهي قيثارة الروح القدس ؟ طبعاً ، كان الاساقفة الاربعة الذين عاصرهم في نصيبين والرها أعمدةُ الارثوذكسية في تلك الديار يشدّون ازره . يوحنا الانطاكي كان يصفّق وينتصب في كرسيه إعجابا بمواعظ ثيئوذوريتوس قورش (الرسالة ٨٣) . لله درّ هؤلاء الرجال !

واستمرّ التفسّخ في القرن الخامس في الكرسي الانطاكي بين الشيع . وازداد بظهور الابوليناريّة والنسطورية والاوطيخية ابنة الابوليناريّة ، الأكثر كفراً ، فانتهت الابوليناريّة في القرن ٧ الى المشيئة الواحدة . يذكر ثيئوذوريتوس (٣٩٣ - ٤٥٧) حربه خطيا وشفويا ضد الماركيونية والدوكية والغنوسطية والاريوسية والافنومية والمكدونيوسية والابوليناريّة واليهود والوثنية والمانية والمجوسية (الرسائل ٨٢ و٨٣ و١١٣) : فضلا عن لباقاته في التفاهم مع القديس كيرللس الاسكندري على العقيدة الارثوذكسية ، فاحبط النسطورية ، ووقّع رسالتين الى يوحنا انطاكيا (المرسلة الى القديس بروكلوس اسقف القسطنطينية) والى الامبراطور (الرسالة ٨٣ في الينابيع المسيحية ، ص ٢١٩ والحاشية ١) ، فضلاً عن نضاله المرير ضد الاوطيخية ، فهتف له آباء المجمع الرابع المسكوني بالاجماع : «..ولتتخذ الكنيسة معلّمها الارثوذكسي» (پاپاذوبولس ، ص ٢٩٩ وكتابنا «سمعان العمودي) .

في التفسير ، كتب افرام «منظومة الفردوس» تفسيراً لبعض سفر التكوين ، ظهرت بالفرنسية والعربية . يعالج فيه أمور الفردوس السابق والمجد القادم والدينونة . . وشخصية يسوع تسود الاناشيد . يذكر ان موسى كان في الجحيم ، فاصعده يسوع (٨ : ١٠) . هذا ما قال به ابيفانيوس قبرص والتريودي أيضا .

يركز كثيرا على الحرية . الذهبي الفم كذلك. وسبقه غريغوريوس النيصصي . اميل Mersch يقول في حاشية في كتابه «جسد المسيح السري» على الذهبي ان هذا يؤكد على الحرية مثل كل الاباء الذين كتبوا باليونانية .

وصدر له بالفرنسية عن الارمنية والسريانية شرح لاتفاق الانجيليين الاربعة الذي نظمه تاتيانوس . شرح لطيف فهيم . مثلا ينفي عن يوحنا المعمدان أن يكون قد شكّ في يسوع (ص ١٦٩ . . .) مثلا أيضا : يقول ان الرسل اسمى مكانة من يوحنا المعمدان . حتى يهوذا قبل السقوط كان اسمى رتبة (ص ١٧٧ ـ ١٨٠) . الذهبي الفم قال بسمو الرسل وبعدم شك يوحنا . في كراسة «الذبائح والنذور» شواهد آبائية عديدة على سمو العهد الجديد ورجاله . مثلا آخر أيضا : يعتبر إيمان الكنعانية يمثّل شعبها ، فشفى الله ابنتها ، وانقلبت الآية على اسرائيل . بمعنى آخر : خرج اسرائيل ودخلت الأمم ميراث ربنا (٢٢١ ـ ٢٢٢) .

مواطنتها في القرن التاسع قبل الميلاد والدنيا غارقة في الوثنيات ، أرملة صرفت صيدا وصلت ووحيدها الى الرمق الأخير ، على خطوة من الموت جوعاً . لم تبع شرفها لتحيا وابنها . آثرت الموت على التجارة بجسدها . فأرسل الله اليها ايليا النبي .

مليارات مليارات الحجج توردها النساء اليوم للتملّص من ايمان هاتين الكنعانيتين النادرتي المثال . لم يمتدح يسوع إيمان احد امتداحه للكنعانية . وخصّ الثانية بمديح ، فجعلها خيرا من أرامل اسرائيل المعاصرات لها . الانسان يحيّر . وثنيتان تلمعان وابناء الملكوت يُطردون خارجاً . طرد يسوع من مجنون جدره عشرة آلاف شيطان . كم صورة الله في الانسان جبّارة لتحوي ١٠٠٠٠ شيطان ؟ وكم الخطيئة مدمّرة ليصيبنا هذا الشر ؟ بقدر ما في الانسان من العظمة فيه من التلف . الخطيئة حطمتنا كالفخار (أمسية في جبل آثوس) وقطّعتنا الف قطعة (مكسيموس) .

زهدياته

ان صحّ انه لم يترهَّب أصولا ، بقيت زهدياته روعة من روائع الفكر النسكي . يشبه فيها يوحنا الذهبي الانطاكي . همومهما تحوم حول الرعاية لتحسين الاخلاق والسويّة الروحية . كلاهما ركّز على الموت والدينونة وأواخر الانسان . ما نقصهما إلا أن يقولا للناس : «احفروا في صخر قلوبكم وأذهانِكم قبراً ليسوع لتموتوا معه ٢٤ ساعة على ٢٤ ، وتقوموا معه ٢٤ ساعة على ٢٤» . لولا الخوف من القبر وممّا وراء القبر لَمَا خاف احد من الله . من حفر قبره في قلبه ، من حمل قبره على ظهره بعمق سليم داس الأرضِ وصلب نفسه . ذكر الموت يكسر رقاب العتاة ويُهشِّم انسان الخطيئة . انه جلّاد المستهترين .

فوصية افرام في شأن دفنه الواردة هنا هي دستور لجميع الذين يعيشون في التقوى . في لحظات ما قبل الموت ، ما هو العظيم في عينيّ الانسان ؟ الكل باطل ، الكل تافه ، الكل فارغ . افرام قال : لماذا تبكون على موتاكم ولا تبكون على أنفسكم ؟ اللهم امنحنا دموعاً غزيرة لننوح على أنفسنا ! موت الخطيئة وحده موت . أما الموتى في الرب فهم الأحياء .

واشتهر افرام كبكّاء منتحب نوَّاح ينوح حدادا على خطاياه . في صلاة النوم الكبرى نصلي : «دموعا اعطني ، يا الله ، كما اعطيتَ المرأة الزانية» . عطية الدموع موهبة الهية . يوحنا السلمي اعتبرها معمودية ثانية أهمَّ من الأولى (٨).

فكره الروحاني

١ ـ **البتولية والجنس** : الجنس للأرض ، أما البتولية فالفردوس مسكن الله والملائكة . فعند عودتنا الى الفردوس يندثر الجنس . يسوع قال اننا سنكون مثل الملائكة بلا طعام ولا زواج .

البتولية استباق للحالة الفردوسية . مشابهة الله لا تظهر فقط في الكلام والعقل بل في الارادة الحرة . قديسو الفردوس حازوا نصر الحرية البشرية

الاسمى ، هذه الحرية التي غرست فردوساً روحياً يفوق لمعانا الجنة السماوية التي صنعها الخالق . غريغوريوس اللاهوتي قال مثله في التجسد الالهي الذي رفعنا هكذا (في سر التدبير ، ص ١٣٧ ؛ ٦٤ و٦٦ أيضا) .

الجميع مُعرَّضُون لتأثير الشيطان الا يسوع البريء من خمير الشيطان . وهذا رأي آبائي ثابت (سر التدبير ، ص ١٥١ ـ ١٥٣ ومذكرة لاحقة له) . الروح القدس طهّر العذراء قبيل الحبل ، فحبلت بدون دنس .

٢ ـ الايمان والصلاة : الايمان هو العروس التي تتقدم على رأس الموكب ، أما الصلاة فهي العذراء في حجرتها . افرام مصلٍّ كبير . تنبثّ الصلوات في طيات كتبه . كتاباته خفقات قلب يسبح في الفضاء هائما بالله كأنها عصارات ممزوجة بالصلاة وبالامتلاء من الشعور بحضرة الله . اسحق النينوي تكملة له [٩] ، والشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي) زميلهما [١٠] . اجمالا ، الاباء القديسون مصلّون في كتاباتهم لا باحثون كما يفعل علماء الدين المعاصرون الذين لا يستحقون في عرف آباء الكنيسة ان ندعوهم «لاهوتيون» . اللاهوتي هو الذي يصلي حقيقة على ما نرى في كتاب «سائح روسي على دروب الرب» و«أمسية في جبل آفوس» ، نقلا عن ايفاغريوس (في الصلاة ٦٠) .

كنت في ١٩٤٧ عثرت على مجموعة صلوات للقديس افرام ، فنسختها وطبعتها في العام ١٩٦٥ ، فوصلت الاب جورج خضر ، فاركع الناس في طرابلس لتلاوتها . ثم نشرها قدس الأب افرام ثانية . كانت قد ظهرت في كتاب صلوات لاتيني بالقدس في ١٩٢٣ . تركت تأثيرها على منشيء قانون يسوع كما ذكرت في مقدمتي (١٩٨٣) . تفوح منها روائح التوبة والانسحاق .

الايمان يجمع النفس المشتتة . وليس الايمان فقط تأمل المسيح ، بل تصير النفس المسيح . ربما انطلق هنا افرام من قول الرسول بولس ان يسوع يسكن في قلوبنا بالايمان (اف ٣ : ١٧) . طبعا يؤكد افرام على الاعمال ، فلا بد من توافق

الايمان والاعمال . ويقول ان النفس هي التي تحيي الجسد (كما في يوحنا ٦ : ٦٣) . وهذا ما كرره كثيرون منهم يوحنا الدمشقي . ولذلك لا معنى لمحاولات تأليه الجسد كجسد . «تخرج روحه فيعود الى أرضه ، في ذلك اليوم تهلك كل افكاره» (المزمور ١٤٦) . اما الجسم «فيرجع الى الارض وترجع الروح الى الله» . (جامعة ١٢ : ٧) .

٣ ـ **الايمان والمحبة والرجاء** : يركّز افرام على الحقيقة اي الايمان . يجعل مردودها ١٠٠ ومردود المحبة ٦٠ . طبعا الايمان العامل بالمحبة هو الاساس (غلا ٥ : ٦) . ولكن الايمان هو واسطة معرفتنا بالله . فهو ، في البدء ، معرفة الله . ويجمع اليها الصلاة : المسيح هو كاهن جميع قرابين الصلاة وواسطتها . وفي الصلاة المنطوقة يشترك الجسد .

طبعاً هو لا ينقض كلام بولس برفعة المحبة (١ كور ١٣ : ١٣) . في موضع آخر يعود الى سياق بولس .

أما الصلاة الداخلية فتتم بدون استعمال الشفاه ، في تجميع للذات . كما ان العذراء لا تغادر حجرتها كذلك هي . والصلاة الداخلية تطهِّر الافكار المشوّشة لانها المرآة حيث المسيح وحده ينعكس . كتاب أمسية في جبل آثوس يتكلم عن هذا المفعول التطهيري للصلاة . وهو مفهوم عام لدى آباء الصلاة .

٤ ـ **الصوم والبتولية والاستشهاد** : النشيد ٧ (١٦ و١٨ و١٩) يرفع شأنها جدا . و٧ : ٢٠ يرفع شأن اللواتي خدمن القديسين . الصوم علامة تحوّل الطبيعة ؛ يهيء ضياء أجسام المبعوثين من الموت ، ويجعل الصائم مشابهاً للملائكة ، هو يميت الدنيويات وعزيز على الارواح السماوية . الصوم يطهّر النفس ويجعلها قادرة على تأمل أطهر . وصوم الجسد لا يجدي . فلا بدّ من الصوم عن الخطايا .

٥ ـ **السهر** : النشيد ٦ : ٣ يجمع الساهرين والصائمين . النشيد عابق بروائح التصوّف والهيام بجمال الله ، وتذوق هذا الجمال بحواس قد تبدّلت فعجزت عن ضبط مجده :

«ولا ان تحوش جماله وتحكي قصته»
(٦ : ٢)

هذا التحوّل الى الله مبدأ صوفي معروف لدى كثيرين من الروحانيين . ويطرق موضوع السكر : «وقد اسكرني برياحينه» (٦ : ٤) .

«وكانني لم اكن اياي وقد جدّدني وبدّلني
لكم سكرتُ فيه حتى نسيتُ فيه ذنوبي»
(٦ : ٤)

والسكر الروحي موضوع معروف لدى الروحانيين[١١] .

والساهرون يلمعون في الليل . والنساك المسيحيون هم الصائمون الساهرون . كلمات : «مجد ، مجيد ، نور ، ضياء ، لمعان ، جمال ، بهاء» وما اليها ترد كثيرا لدى افرام . فمجد القديسين ضياء ونور . وجمال الله غاية المشتهيات . ففي ذلك افرام جزء من التقليد النوراني .

٦ ـ **الرهبانية** : ليست الطبيعة هي المفسودة بل عوائدها المتولّدة من الحرية .

«ان بني البشر
هم الذين يشوّهون المخلوقات فهم مشوَّهون ولها يشوّهون
(النشيد ١٥ : ١١)

افرام مذهول بالبتولية . هي تدخلنا الجنة اكثر من الصوم والاسهار . صورة المسيح موضوعة في قلب البتولين والبتولات . فالمسيح حاضر فيهم . ويوحنا الانجيلي لدى افرام هو عنوان طهارة فاقت بتولية الملائكة (راجع سر التدبير ص ٦٤ و٦٦) .

واليقظة والحداد والتوبة هامة لدى أفرام . فالحداد التوبوي يشغل الحياة كلها : الحياة كلها توبة ، يتم التعبير عنها بالصلاة والصوم والاسهار ، وبالدموع على الأخص . والتوبة مستمرّة بلا انقطاع . وهذا يتطلب جهودا مستمرة . في طبعة لامي نص هام :

«في شخصك ، في حريتك ، كن شهيدا وقاضيا . . اصلب جسمك طيلة الليل في الصلاة . . اصنع من ذاتك شهيد الاسهار . . أدّى الشهداء الشهادة في النهار ، والنساك (أدّوها) في الليالي (عن النصوص النسكية الفرنسي ، ص ٨٠) . آباء كثيرون اعتبروا النساك شهداء (في «الاعتراف والتحليل» نصوص عديدة) .

٧ ـ **الاسرار الالهية** : المعمودية تلد المرء بفعل الروح القدس ، فيتروحن ويرتفع الى رتبة الملائكة . ثم تكمّل المناولة العمل ، اذ الروح القدس موجود أيضا في القربان . وبالميرون المقدس نحصل أيضا على الروح القدس . لا شك أن افرام ذو نزعة صوفية واضحة جدا .

٨ ـ **الليتورجيا** : افرام موجود بقوة في الليتورجيات الشرقية ، هو سهل ورقيق وجذّاب [١٢].

هذا المجموع

في حزيران ١٩٥٢ مررت على دير القديسة تقلا بمعلولا ، فوقع نظري على مخطوطة للقديس افرام . اعارني اياها رئيسه ، فاخترتُ منها مجموعة ارهقني تنقيحها . ثم رددتُ المخطوطة . وفي العام ١٩٩٠ امدتني العزيزة ڤيكتوريا جبور بنسخة مسحوبة . فنقحتها مجددا . وطلب قدس الاب افرام الاطلاع على عملي ، فقابل بعضه على اصله اليوناني وضبطه .

لم أطرق موضوع صحة مؤلفات افرام . هذا امر يخص اصحاب العقول الالكترونية في اوربا الغربية علماء اللغات والفحص الدقيق ، وهو لا يخصّ عاجزا مثلي اهترأ وسط أمواج العمر العاتية وتحطّم ، ولا وسائل لديه للعمل .

ولكن ، مهما كانت صحة ما لدينا من افرام باليونانية ، فقد دخل في تراثنا الارثوذكسي . فميمر الفصح ليس ليوحنا الذهبي ، بل لذهبي مجهول . وعظات مكاريوس المنتحل ليست لمكاريوس المصري ، بل لكاتب سوري ، ومؤلفات ديونيسيوس ليست للاريوباجي بل لكاتب سوري : الموضوع غير هرطوقي والتعليم ارثوذكسي . هذا يكفي لقبول الكتب . ارثوذكسية الكتاب اي كتاب مطلب مطلق .

١ ـ القسم الاول هو من عمل الاب افرام .
٢ ـ استعان بنصي في الميامر ١ ـ ٥ . الميمر ٧ والميمرِ الأخير من تنقيحي نقحته في ١٩٩٠ . وفي حزيران ١٩٩٣ تلوت الكتاب ونقّحتُه . اسقطت ميمراً سبق للاب افرام أن نشره .

في اوروبا واميركا يشتدّ الاهتمام بتراث المسيحية اليوناني والسرياني نظراً لما فيه من نفحات روحية صوفية تحيي رميم عظام . العلم المادي والتقنية والضيق النفسي والاجتماعي قتلوا الانسان . الانسان ينتقم من جلاّديه مهما طال الزمن .

الثورة الروحية قادمة اذاً . ممالك الجحيم ستسقط . مملكة الالحاد العالمي سقطت .

صورة الله في الانسان لا تحتمل الوجود في المكبس الى الابد . تنفجر يوماً وتستعيد أصالتها . مقاومة الله مستحيلة . النصر لنا . سحق الله الشيطان وعمله .

فيا أيها الاله العظيم

بشفاعة افرام واساقفته الافاضل وجميع القديسين ، أنعم على قرائنا وعلينا بغنى فيض مراحمك مانحاً السلام للعالم ولنفوسنا الرحمة العظمى .

الحــواشــي

١ ـ بعد مطالعة المستشرق البلجيكي مرسال بيرار فصلين لي بالفرنسية قال : انت اول كاتب عربي عرفته يكتب باسلوب علمي اوروبي .

ولكني لستُ عبداً لتقنيات الغرب . فهي لدي الجسم ، أمّا الروح فمبنية على التراث اللاهوتي الشخصاني النسكي الصوفي الأبائي المتمثّل في النهاية بالقديس غريغوريوس بالاماس وخلفائه وآخرهم لوسكي والأب باثيسيوسُ جبل آثوس الحالي .

٢ ـ مقدمة «منظومة الفردوس» (الكسليك ١٩٨٠) تعتمد على مقدمة الترجمة الفرنسية في الينابيع المسيحية (العدد ١٣٧) التي تعتمد على ابحاث Beck . ومع ذلك تقول انه ولد لابوين وثنيين ، فاهتدى واعتمد شاباً . لم يدقق كاتب المقدمة . فيلعذر نقدي .

٣ ـ نصيبين في القسم السوري الذي أسلمته فرنسا وبريطانيا الى تركيا . تقع شمالي القامشلي على بضعة كيلو مترات . كانت حصناً رومانياً هاماً لمواجهة الهجمات الفارسية . تمرمرت كثيراً في الحروب بين الدولتين الكبيرتين . في العام ٣٦٣ توغّل الامبراطور جوليانوس المرتد (الجاحد) ، فاجتاز الفرات وبلغ سلوقية (سلفكية) التي أسّسها اليونان غربي دجلة . واجتاز الى طيسفون مقابلها على النهر ، فأصابه سهم ، فمات . المدينتان هما المعروفتان في العربية باسم «المدائن» على ٣٠ كيلومترا الى الجنوب الغربي من بغداد .

وخلف جوفيان جوليانوس . فاذا بقبائل الهفتليت التركية تهاجم تخوم الامبراطوريتين الشرقية والشمالية ، فاتفق الملكان على صلح خزي للرومان : التنازل عن كمية واسعة من املاك الرومان شرقي الفرات وعن حصن نصيبين المنيع مع اتاوة سنوية كبيرة لقاء تولّيّ الفرس الدفاع عن الامبراطوريتين .

وثارت ثائرة اهل نصيبين لهذا الغدر وتسليم بلدهم المسيحي الى مملكة بدأت في العام ٣٤٠ ـ ٣٧٩ الاضطهاد المشهور باسم «اضطهاد الاربعين سنة» . وحين مرور جثمان جوليانوس خارج الاسوار تظاهر له النصيبيون متحمسين. ولكن وقعت الواقعة (Stein ورستم ، تاريخ الروم ١ : ٧٤ ـ ٧٥) .

٤ ـ التاريخ الكنسي ٣ : ١٦

٥ ـ راجع كتابيَّ «في التوبة» و«الاعتراف والتحليل النفسي» .

٦ ـ الرها هي اديسا اليونانية وأورفه الحالية في القسم المغتصب من سوريا . شهرتها واسعة لما يقال ان يسوع اهدى ملكها الابجر صورته وان الرسول تداوس بشرّها بالانجيل . كانت مركزاً ثقافيا هاما . اصدرت مطرانية حلب السريانية ترجمة لكتاب انكليزي عن الرها .

اشتهرت باسم مدرسة الفرس ، لان المسيحيين في فارس كانوا يتعلمون فيها . وكانت السيطرة فيها لتعليم ثيؤذوروس المصيصة (موبسويستة) لالنسطوريوس . خلافا للاوهام السابقة (منذ القرن الخامس حتى اليوم) فان المسيحية في فارس لم تكن نسطورية . وقد اوضح ذلك ارشمندريت الاشوريين في لبنان والاب Fiey خلافا لما ذهب اليه الاب ديك في المجلة الفرنسية نفسها (مجلة المنارة ، العددان ١ و٢ للعام ١٩٨٦ ، ص ١٦٧ والشرق الادنى المسيحي الفرنسية ، العام ١٩٩١ ، العددان ١و٢ : ٣ـ٩ خلافا لخطأ ١٩٩٠ ، العددان ٣ـ٤ منها ٢٣٥ـ٢٤٤) .

فلما فشلت سياسة الامبراطور جوستنيانوس الكبير[1] في استرضاء غير الخلقيدونيين الا بالطعن في المجمع الرابع المسكوني الخلقيدوني (Daniélou et Marrou, N.H.E,I,p.412) لما فشلت يبدو انه وجّه انظاره الى المسيحية الفارسية. فاستدعى وفداً منها، فباحثهم ، فوجدهم غير نسطوريين ، انما يعتمدون على تفاسير ثيئوذوروس المصيصة . فاختلفوا معه على إلقائه الحرم عليه في العام ٥٤٣/٥٤٤ . واعاد الكرة هرقل بعد النصر ، فاستدعى الكاثوليكوس الى حلب ، فوجده كذلك ، فسمح له باقامة القداس وتناول من يده . وفي العام ٦٨٠ سار الاتجاه الاكبر الى اعتناق الايمان الارثوذكسي . ولكن لم يتم اي حوار . واثبتت تلك الكنيسة فعاليتها بالانتشار شرقا ، فبلغت الصين وبخارى وو . . دوفال Duval رسم خريطة لانتشارها الثقافي نقلها عنه الاب جان سعادة : امبراطورية ثقافية . هي مرتبطة بالكرسي الانطاكي . كان يقطعها عنه الاضطهاد ، فتعود في ايام السلام . في العام ٤١٠ سافر القديس ماروثا (معروف) اسقف ميافرقين (المسماة باليونانية مرتيروبوليس بسبب ماحمل ماروثا اليها من عظام الشهداء) وحضر مجمعها ، فنظّم امورها وصار لقب رئيسها كاثوليكوس . فعن هذه الطريق وعن الترجمات عن اليونانية كان ارتباطها بانطاكيا غير واهٍ (المراجع عديدة ، انما ليست تحت يدي الان) .

٧ ـ كيف استطاع افرام ان يعيش ٥٠ عاما مع اربعة اساقفة دون ان تلدغه افاعي الدسّ والوشاية والغيرة والحسد التي نمت في القرن ٥ ؟ ففي ٤٠٣ ترأس اكاكيوس حلب وسفيريانوس جبله كمية من اساقفة الكرسي انطاكي كحزب لثيؤفيلوس الاسكندرية ضد القديس يوحنا الذهبي برعاية الامبراطورة زوجة الامبراطور المخبول اركاديوس : ارهقوه . وبعد عشرات السنين مزق الوشاة واضرابهم ثيئوذوريتوس قورش وتلوّنوا كابي براقش ، حتى خانه كاهنه دانيال ، ففكّر في العودة الى الدير ؟ رسائله طافحة بالشكوى منهم ،

---

١ ـ افرام الآمدي البطريرك الانطاكي القوي الشكيمة وغيره رفضوا التوقيع للامبراطور (باباذوبولوس ، ص ٣٨٢) .

فشحنوا الجوبينه وبين ديوسقوروس الاسكندرية ، فلم يعبأ هذا برسالته رقم ٨٣ . شكا من فساد القصر ايضا . N.H.E. اخذت بكلامه لجهة هذا الفساد (١ : ٣٩١) . هذا الاضطراب في الاخلاق والقيم يحتاج الى دراسة عميقة ، مع ان ثيؤذوريتوس هو مؤرخ الرهبنة في مناطق انطاكية ومنبج والرها . وكان فيها رهبان عظام جدا . يكفي ذكر سمعان العمودي صديقه .

٨ ـ ٧ : ٦ كرّر بالاماس ذلك (الثالوثيات ٢ ، ٢ : ١٧) . وكان غريغوريوس اللاهوتي قد ألمع الى ذلك بكلام عذب عن الجهاد المضاعف قبل المعمودية وبعدها للمحافظة عليها . الاسهار ، الاصوام ، النوم على القاسي ، الدموع ، رحمة للمعوزين ، التوزيع . الاحسان . . . (٤٠ . ٣١ الينابيع المسيحية ٣٥٨ : ٢٦٧) . كان دير الحرف ترجم «عطية الدموع» . في «امسية في جبل آثوس» معالجة جيدة . كان المتصوف الاكبر سمعان اللاهوتي الحديث المنوّر نوّاحاً اكبر مع انه كان يتجلبب بالنور كثيرا فيضحي نوراً في النور وبالنور الالهي .

٩ ـ ترجمه عن اليونانية الى العربية قدس الاب اسحق عطا الله ـ منشورات النور . الا ان الباحثين يرون في اسحق مذوِّبا لاقوال ايفاغريوس ايضا بعد ان جرَّدها من الاطناب . ولد اسحق في قطر وصار اسقفا على نينوى ، فاستقال بعد اشهر ، ونسك في الاهواز .[1] وامثاله من رافضي الاسقفية او المستقيلين منها عديدون . اخرهم الاسقفان الروسيان العظيمان كوكبا روسيا اغناطيوس بريتشنينوف وثيوفانيس الحبيس (القرن ١٩) . ولله في خلقه شؤون . فالصلاة النسكية تحمي العالم . ألم يجب الله ابراهيم انه لو وجد في سدوم وعمورة ١٠ لما احرقهما ؟

لذلك فالرهبان الحقيقيون يحفظون بصلواتهم العالم من النار والطوفان . والمعترضون على الرهبنة لايفقهون مقاصد الله . الخطيئة طوفان عالمي توقفه صلوات الابرار . المسيح قال عن شيطان عنيف : «هذا الجنس لايخرج الا بالصوم والصلاة» . الشيطان «اسد يزأر» يريد ابتلاعنا (بطرس الرسول) . جميع الناس توافه إلا اذا انزلت الصلاة الملتهبة الله الى قلوبهم .

١٠ ـ طبع الاقباط له مخطوطة عربية عتيقة ركيكة ، انما فيها نكهة . صدرت عن دار المشرق ترجمة فصيحة عن السريانية بعنوان :
مجموعة الرسائل الروحية ـ ترجمة الاب سليم دكاش اليسوعي ـ ١٩٨٦ . الا ان الاب دكاش قال في المقدمة انه نسطوري (ص٩) . سقط هذا الكلام الان .

١١ ـ عالج معجم الروحانية الفرنسي الامر جيدا الا انه لم يذكر أفرام (٧ : ٢٣١٢ ـ ٢٣٣٧)

---

١ ـ خلافا للنبذة عنه في «بستان الرهبان» .

القديس سمعان اللاهوتي بين الطارقين للموضوع ، فكتب عنه الاسقف باسيل كريفوشبين . ولم يذكر الشيخ الروحاني (دكاش ص١٧٢ و١٨٣) . الشيخ الروحاني متصوف في خط النيصعي وديونيسيوس ومكاريوس المنتحل وافرام واسحق ويشبه سلفاً سمعان اللاهوتي الحديث (١٠٢٢) .

١٢ ـ كان الاعتماد بالنسبة لأفرام على الفصل الخاص به في معجم الروحانية الفرنسي (١٩٥٩) لانه دقيق على ايدي المع الاختصاصيين (المجلد ٤ : ٧٨٨ ـ ٨٢٢) . رستم قال انه ولد لابوين مسيحيين (٢٩٢) ، سنة ٣٠٣ . (٢) معلومات محدودة . قال كذلك Hamnan في دليل آباء الكنيسة (ص ١٩٦و. . .) . انما اخطأ في قوله ان مدرسة الفرس تأسست في نصيبين وانتقلت الى الرها . الكردينال تيسران في معجم اللاهوت الكاثوليكي ادق . نقل عنه العدد ٤٤ من الينابيع المسيحية : فيلوكسينوس المنبجي فارسي درس في الرها في مدرسة الفرس حيث تأسست ، وذلك قبل ٤٥٧ . ففي هذه السنة تمّ اغلاقها ، فانتقل الأساتذة والطلاب الى نصيبين (ص١٤) . وعلى هذا N.H.E (ص٤١٤ ـ ٤١٥) : كنيسة السريان الشرقيين (اي في فارس) تتألف اساسا من المقاطعات الساميّة في الامبراطورية الساسانية . رئاستها في سلوقية ـ طيسفون ومركزها الفكري في اديسا (الرها) حيث تعلّم فيلكوسينوس .الا ان الاثنين يقولان ان تعليمها نسطوري. الثابت بعدهما ان المسيحية الفارسية ليست نسطورية. وقد نوّهنا اعلاه بذلك . تقلّبت الرها مع الصراعات ضمن انطاكية . تفاعلها معها واسع جدا . وانطاكية عاصمة فكر يوناني آنذاك . فان كانت المسيحية الفارسية متأثرة بها فبالاحرى جارتها نصيبين التي لما هاجر اليها في ٤٥٧ الاساتذة والطلاب من الرها اعاد رئيسهم نرسيس تنظيم مدرسة نصيبين ، فحلّت محل مدرسة الرها . مات نرسيس في العام ٥٠٢ . كما ذكرت أعلاه : المسيحية الفارسية ليست نسطورية ابداً ، انما تجلّ ثيوذوروس . بذلك بقيت وثيقة الصلة بأنطاكيا . وفيها عدد كبير جدا من الشهداء . استفاد القديس ماروثا من اعتباره لدى القصر الفارسي كمفاوض بيزنطي ليجمع كمية كبيرة من عظام الشهداء ، فسُميت مدينته باليونانية مرتيروبوليس (مدينة الشهداء) . وفي العام ٦١٤ تأثر ابرويز بزوجته الارمنية وطبيبه الارمني ، فنصر المذهب الارمني على المسيحية الفارسية (رستم ١ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧) . وهذا يفسّر رضى هرقل عن مسيحيي فارس ، فسمح بتنصيب اسقف لشتاتهم في سوريا . اعلمني بذلك قدس الاب جان Fiey كدليل على صحة نظريتي ضد نظريته القائلة بانهم كانوا مع الشاه في احتلاله للمشرق ومصر . وربما فسّر تفسيري هذا سرعة تعاطفهم مع الفتح العربي ضد الفرس .

---

٢ ـ خلافا للنقاد القائلين ٣٠٦ .

وأخيراً أرجو ان يقبل القرّاء بصدر رحب افراطي في التصحيح والنقد . هذا خير للحقيقة ولهم من المعلومات غير الدقيقة . هذا ماستفدته من ثقافتي الغربية . وهو ضروري لدخولنا العصر مسلّحين باحدث اسلحته البّراقة المفيدة الايجابية ؛ الحقيقة أولا وأخيراً ولو تململ الناعمون الحسّاسون المتقوقعون في عجرفتهم وعلمهم الناقص . هدانا الله جميعاً الى الحق ، وجمّلنا بالصبر الجميل ورحابة الصدر الكبير .

دير الحرف ١٩٩٣/٨/٢٤ اسبيرو

ملاحظة

«اطلس لبنان» وخريطة «تركيا» في الطبعات الاخيرة من معجم «المنجد» يبرزان المدن السورية التي اغتصبتها تركيا . تبعد نصيبين ٢٦٠ كيلو متراً عن الرها (اورفة) عبر الدرباشية (٦٠) ورأس العين (٧٠) واورفه (١٣٠)= ٢٦٠ ، على ما أكده لي السيد يوسف جرجي القسّ الاديب السرياني . وهذا موافق لقياس المسافة في «اطلس العالم» . اما «مقدمة منظومة الفردوس الفرنسية» ، فقالت ١٠٠ كيلو متر .

وصية القديس إفرام[1]

(توصياته وتعاليمه الأخيرة)

باسم الرب بارك يا أب

أنا افرام أموتُ . ليكن معلوماً لديكم جميعاً ، يا أبناء الرها[2] ، أترك لكم وصيةً رمزاً للذكرى ، تعاليمَ من النعمة ، من الهبة التي أخذتها . حتى إنكم بتذكّر الأقوال تذكروني أنا الذي رأيتموه وعرفتموه .

الويلُ لي ! قد أدركتني فخاخُ الموت . إن حياتي قد دنتْ الى الزوال وتمزّق غلاف جسدي . نُصب الشراع وانقضى أجلي بالكليّة . نفد زيت المصباح الأرضي ووصل الينا رجال إبحار المركب . لقد قضى الأجير سَنته وغدوتُ غريباً عابراً لأن وقتي قد مضى وأنا راحلٌ .

هو ذا الرجال قد أحاطوا بي القضاةُ المتشدّدون ، ليجعلوا الطوقَ الثقيل على عنقي كما لو كنت لصاً . ماذا أفعل ؟ أأبكي ؟ لا أحد يُصغي إليّ . أأصرخ؟ من

(١) او كتاب «العهد» يعطي فيه تلاميذه وصيته الأخيرة كتبها بتوقع مسبق لنهاية أجله .
(٢) ايدسا Edessa (أورفه) قديماً .

الذي يسمعني ؟ الويلُ لي من جرّاء القضاء الرهيب ! الويلُ لك ، ياإفرامُ ، من جراء يوم الدين اذا ما وقفت أمام منبر ابن الله حين يحيط بي الجميع فانذاك سأخجل من أفعالي . هناك يكون الخزيُ الرهيب والويل للمنخزي آنذاك .

أيها الرب يسوع المسيح ، لا تدخل في المحاكمة مع عبدك ولا تفوّض الى آخر حكمَك عليّ ، بل أهّلني أن أمثل أمام منبرك المجيد ! لأن ذاك الذي سوف يحاكمه الله يستحق الرحمة . أقول هذا اذ إني سمعتُ الرسلَ الحكماء يقولون : إن الذي يشاهد الملك ، ولو خطىء ، فلن يموتْ .

*

الويل لي أيها الأخوة ! ما الذي يرعبني ؟ أبكوا متوجّعين على هلاكي لأنه قد اقترب الذي سوف يضعني في بلدة المائتين منذ الدهر .

إن هو شع بصوته الصَدوح يُدهشني كثيراً لأنه يصرخ ويوبّخ قائلاً : قد علا الشيبُ افرام[٣] ولم يخجل ولا يرتدعْ . وفي مكانٍ آخر : «إفرامُ[٣] عجلةٌ جاهلةٌ مروّضة على الكذب والنفاق» (هوشع ١٠ : ١١) . إن قال أحدٌ إن النبي يقصد إفرامَ بنَ يوسف ، من جهتي أعتقدُ ان النبي لم يميّز في رثائه بين إفرام هذا وذاك . لكن داودَ من جهة أخرى يأتي ليقول : «إن إفرام هو قوّة رأسي» . أقول هذا لا لأتكبر ، لأني لا أرغب ان تدنوَ مني مثل هذه الرذيلة . والربّ شاهدٌ على كلامي هذا .

والآن ، أيها الأخوة ، أريدُ أن أعلن لكم أنني سأموتُ . لذلك أتوسّل إليكم أن تذكروني في صلواتكم . تعالوا الآن واغمضوا عينيّ لأن روحي قد فنيت وأنا أموت . حياتكم معروفةٌ لديّ وكذلك حياتي لديكم . عن هذا الفراش لن أنزل من بعدُ ، لأن الأوجاع قد اكتنفتني ولا أستطيع أن أحتمل .

---

(٣) إفرائيم بن يوسف العفيف .

أترك لكم جميعاً ذكري كمرآة لا عيب فيها حتى انكم بالنظر اليها تجتهدون بلا كللٍ في التشبّه بها . طيلة عمري كلّه لم ألعنِ البتّة . علّمتُ وأوصيتُ ووبّخت الجاحدين في كل أيام حياتي دون أن أحيدَ عن مشورات القدّيسين .

أتعلمون ، أيها الأخوة ، أنه لو كان للسيّد كلبٌ يُهمل قطيعه ، يشاهد الذئب فيترك الخراف في الحظيرة دون ان ينبح ودون أن يطرده ، ضربه سيّده وأخرجه من بيته ، لأنه باتَ غير مفيد . إعلموا انه ما من أحد يبغض الرجل الفاضل ، أما الجاهل فلا يُحِبُّه (الناس) . إن أحبّ الجاهلُ توجّهتْ محبّته الى من شابهه . أنتم أيها الأخوة لاتذعنوا لمن ازدرى كلامي فإنه بين الرسل الاثني عشر وُجد هناك خائنٌ وهو يهوذا . إعلموا أيضاً انه امام الكرمة عادةً تنبت علّيقةٌ وبين الورود تظهر أشواك . أماّ ايماني الوطيد فإني أؤكدّه لكم ، أيها الأخوة الصادقون المتحدون بروحٍ واحدٍ ، معترفاً بصدق أن ايماني غيرُ متزعزع . لأني أريد ان يتوطّد رأي المؤمنين الرئاسي غيرُ المتقلقل . وأشهد بالذي نزل على جبل سيناء بشكل نار ، الذي تكلّم على الصخرة الصمّاء فأخرجت ماءً ، الفم الذي تفوّه من أجلنا على الصليب قائلاً : آلهي آلهي ! فارتعدتْ أرجاء الأرض كلّها ، الذي أسلمه يهوذا ، المضروبُ بالسياط في وسط أورشليم ، المجد الذي قَبِلَ البصاقَ من الأثمة ، القدرة الفائقة الذي قَبلَ على وجهه لطمةً . أشهد بالقدوس النار الثالوثية المجد بقدرةِ الله الواحدة غير المحدودة ، بالاقانيم الثلاثة للشعاع العقلي ذاتِ المشيئة الواحدة : إني لم أشكّكَ أبداً في ايماني ولم أتزعزعْ في ثقتي بالكنيسة وبقدرة الله . إن كنتُ قد عظّمتُ في فكري الله الآب اكثرَ من الابن فلا تنحدرْ عليّ رأفاتُ الله . وإن كنت قد أبعدتُ الروحَ القدسَ عن الله فلأظلَمْ ولا أرَ وجههَ . وإن كنتُ قد اعترفتُ في البدء غير ما أعترف به الآن فلأرمْ في الظلمة الخارجية وإن كنت أقول كلَ هذا الآن عن رياءٍ فليحكمْ عليّ بنار جهنّم . وإن أتكلم عن ممالقة فليُقْصِني الربُ من رحمته .

*

هذه هي حياتي التي صبرتم عليها معي في الحقيقة ، أيها التلاميذ ! لم يكن لافرام كيسٌ أو عصا ، لا ذهبٌ ولا فضة ولا ايّ مُلك اقتناه على الأرض . لأني سمعتُ المعلّمَ الصالح يقول في الأناجيل الالهية لتلاميذه : «لا تقتنوا شيئاً على الأرض» . لذلك لم أشتهِ شيئاً من كل ذلك . تعالوا ، أيها الأخوة ، أهدوني السلام الأخير . سامحوني لاني راحلٌ . إذكروني انا الحقير في صلواتكم المقدّسة المقبولة وفي تضرّعاتكم كلّها . لأني أنهيتُ حياتي في الباطل والخطايا . ثم أطلب منكم أيضاً بخوف ، أيها الرجال الأبرار ساكني مدينة الرها ، في ايمانكم بالله الأزلي : لا تنسوا توصياتي القليلة ولاتزدروا أقوالي لأن النعمة الآلهية هي التي أوصت بها .

إياكم يا تلاميذي أن تدفنوني تحت المذبح أو في الهيكل . إن تجرأ أحدٌ فوضعني تحت المذبح فلا يشاهدنّ المذبح السماوي . لأنه لا يليق بالدود الذي أفرز عفناً أن يوضع في هيكل الرب القدوس . ولا تضعوني في أي مكان آخر من هيكل الله . وإن عصى أحدٌ هذه الوصية فلا يستحقّنٌ ملكوت هيكل السماوات هذا ، لأن المجد لا يفيد انساناً لا يليق به . قد ولدنا عراةً نحن البشر كلّنا وسوف ننهض عراةً لنعطي جواباً عمّا فعلناه في حياتنا الحاضرة حين نمثل أمام محكمة المسيح . لماذا اذاً تقدّمون لي الاكرامَ الذي لا أستحقه بسبب أعمالي ؟ **حياة الناس كلّها باطلة حين تذوق المجدَ الذي لا تستحقه** . ياأخوة ، كل جبلة مخلوقة تؤول الى الفساد كما يقول الله . لذلك أبكي وأقولِ ، كما تعلمون ، إن هذا الهيكل المصنوع بيد ينحلّ ويتلاشى ليقوم مكانه الهيكلُ الروحاني بغير فساد[٤] (لا الجسدي الوقتي الذي يفسد حسب اشتهاء الجسد) حين يدوّي بوق المسيح لينهضَ الراقدون منذ الدهر . لأن الدينونة لن تكون للهياكل الحجرية ، لن يدين الله الحجر بل الهياكل الجسدية ، أي الإنسان ، حسب أعماله ويعطي جزاءه لكلّ واحد حسب جهاده وتعبه .

---

(٤) ١ كور ١٥ : ٤٢ - ٤٤ .

انتبهوا أيها الأخوة الاّ تصنعوا قبراً لذكرى رفاتي ، لأن عندكم ما تذكرون ، ألا وهو وصيةُ الله مُخلِصِنا فتحفظونها الى أن يجيء . لماذا تفكّرون مُتعبين بثقل لا يُحتمل ؟ إني لا أريد أن يعرف العالم أين أُدفنُ . لستُ أفضل من الرجال الأبرار منذ الدهر . وإلاّ فسوف يعاتبني الرب قائلاً : يا إفرامُ ، لقد تبعك الناسُ اكثر مني . إن ارادوا إنشاء قبر خاصٍ بك فلربّما لن يتبعوا وصاياي التي تركتها لهم ، لأنهم بفضّلون ذكرك عليّ .

لذا أرجوكم أيها الأحبّاء أن تفضّلوا تعليم المسيح فلا تضعوني مع القدّيسين ، لأني خاطيء وهزيل وأخشى ان اقترب منهم مصحوباً بحقارتي وجهالتي . فإن المادة الجافة حين تقترب وتتّحد بالنار تحترق كلّها وتفنى . أقول هذا كلّه ، لا لأني لا أريد ان أجثو معهم ، بل لأني أرى خطاياي فأرتعد وأخاف . أسمع النبي حزقيال يقول : «حتى ولو صرتم نوح وأيوّب ودانيال فلن يخلص أبناؤكم ولا بناتكم» . أمّا داود فيقول : «الأخ لا يفتدي أخاه . الإنسان لا يفتدي أخاه الإنسان» . وسليمان أيضاً : «ولا جيحزي يتجّرد من برصه» . لا تستخدموا المواكب والمظاهر في جنازتي ، بل احملوني على الاكتاف وادفنوني كحقير مخزيّ ، لأن ايامي قد فنيت بالآلام . ولا يمدحني أحدٌ منكم فإني هزيل أمام الرب ومفضوح من جرى أعمالي . أرتعد بالتمام لأن ليس لي دالةٌ أمام الله . من ذا الذي يكشف عن خطاياي ولا يبصق على جهالتي ؟ أية شركة بين الشر والفضيلة ؟ أيّة صلة بين الخاطيء والبار ؟ أيّة علاقة بين النور والظلمة ؟! إن اشتممتم رائحة أعمالي تهلكون من حمأة خطاياي .

من يضع في جنازتي ثوباً فاخراً يُرَ في الظلمة الخارجية ومن يُطيّبني يُلقَ في نار جهنّم . ادفنوني بقميصي وجبّتي ، بلباسي الاعتيادي ، لأن الزينة لا تليق بالخاطيء المملوء دوداً وعفناً . لن يزيّن مجدُ الاحياء الخطأةَ في الأرض . إني خاطيء فلا يغبّطني أحدٌ . الله يعرفُ أعمالي كلّها ، وشروري أيضا التي فعلتها . انا مدنّس من جرى آثامي ، مرفوض من جرى خطاياي . أيّ ظلم لم أقترفه ؟ الآثام كلّها مع أعمالي الظالمة كامنة في جسدي هذا المائت .

أيها الذين في مصفّ الآباء والأبناء والاخوة والتلاميذ ، أيها الرجالُ الساكنون مدينة الرها ، إحملوا اليّ أثمار صلاحكم وبرّكم أي ما نويتم أن تكرّسوه مدى الدهر تخليداً لذكركم ، وأنا استلمه أمانةً أشتري بها إناءٍ ثميناً ، وأستأجر عمّالاً يليقون برغبتكم المثمرة ، أعني الفقراء والايتام ، الاراملَ والمُعوزين ، الذين لا سقف لهم والجائعين ، المساكينَ كلّهم حتى يصيرَ ذكرُ خلاصكم كاملاً في بلدة الاحياء[٥] . هذا كلّه سوف يؤول لخلاصكم من جهة ، ويُعتبر أجراً طوعياً لي من جهة أخرى بسبب مشورتي . الأجر الحاصل بالأعمال شيء والاجر بالأقوال شيء آخر . هذا «لأن العطاءَ مغبوطٌ أكثر من الأخذ» كما يقول الربّ (أعمال ٢٠ : ٣٥) .

إني أعاهدكم جميعاً باسم الرب يسوعَ المسيح أن أوزّع عطاياكم كلّها على الفقراء ، لأني اكتفي بمحبتكم التي بذلتموها بشتى الطرق . لستُ مستحقاً لها ، لكن الربّ الذي أكرمتموه عن طريقي سوف يجازيكم جزاءً وافراً . وكما سمعتم المعلّم الحكيم يقول : «من قبل نبيّاً باسمي فأجرَ نبيّ يأخذ» . لذلك سيتقبّل المسيح عطيّتكم بصورة كاملة ، لأنكم أكرمتموني بهذه الهبة من أجل أسمه . تقدمتكم مقبولة على غرار تقدمة نوح وذبيحة ابراهيم . لتكن مدينة الرها مباركة ، لأنها قد تباركت رسمياً من قبل الربّ وعلى فمه بواسطة تلاميذه ورسله . هذا هو الذي حصل لما شيّد الملك الأبجر المدينة ، فأرسل رسلاً يتوسّل لاستقبال مُخلّصَ العالَم السيّدَ المسيح الظاهرَ حديثاً ويقول له : لقد سمعتُ عن أعمالك كلّها ، عن ما عانيتَ من قبل اليهود الذين إزدروك . تعالَ إليّ ، واسكُن معي لأن المدينة هذه تكفي لي ولك» . فقد أعجبَ الرب بإيمانه حين استلامه الرسالة ، فأرسل ملائكةً قدّيسين ليباركوا المدينة ويوطّدوا اساساتها . هذه البركة الحالّة عليها سوف تبقى الى مجيء الرب يسوع المسيح ابن الله ، الإله من الإله .

*

٥ ـ ἐ'ν ιη‑ χώρα ιω‑ν ζω‑γιων .

فلا يهملنّ أحدٌ منكم هدفهَ لئلا يغدوَ بلا ثمر . كل من نوى ان يساهم بشيءِ وتخلّى عنه فليُجازَ موتاً كما حصل مع حنانيا لما اراد ان يجرّب روح الله الكلّي قدسُه (أعمال ٥ : ٣) فيخدعُ الرسلَ . لكنّه وُبّخ على ذلك فسقط على أقدامهم .

وبينما كان القديس يتفوّه بالكلمات هذه مسَّ روح دنس أحداً من الرجال الواقفين فسقط قرب سرير القديس وأخذ يصرخ بصورة يُرثى لها . أمّا القديس فقال له : يا رجل ، ماذا أصابك ؟ فانتصب الرجل للحال وقال : «كنتُ أنوي شراء ثوب فاخر لدفنك ، لكنك نبذتَ مثل هذه العطية ففكّرتُ في نفسي وقلتُ لن أشتريه بل أعطي ثمنه للفقراء بحسب الحاجة . فعصيتُ هكذا وصيّتك» . فأجابه القديس المغبوط : «اذهب وأصلحْ ما نويته» . وللحال صلّى عليه واضعاً يده على رأسه فأصبح معافىً وتحرّر من الروح النجس .

وقال القديس أيضاً : كلّ من يضيء سراجاً على قبري يحترق بالنار الأبدية . لأنه ماذا تفيد النار الفاسدةُ الانسان الذي سوف يحترق بالنار نفسها ؟ لأنه حين تظهر مثل هذه النار الرهيبة يُباد كلُ شيء . يكفي لي ألمي ، فلما تضيفون ألماً آخر عليّ ؟! أرثوا لي أيها الأخوة وابكوا علي لأن أيامّي قد فنيت بالآلام ، وسقطتُ في الفخ الذي لم أفكر به . لقد جاء القاضي ومعه الرجال الذين سوف يقيّدونني بحبائلَ ثقيلةٍ ويجرّونني الى أرض الأموات ، الى بلدة لا أعرفها . أتوسّل اليك ايها المخلّص الذي جبلتني . لا تعذّبني ! لا تحطّمني ! فإنك إن فحصتَ بدقة عن استحقاق ما عملتُه لا أنجو من الحكم عليّ . فإني عندما أتذكر أفعالي يعتريني خوف لا يُحتمل وتسيطر عليّ رعدةُ أليمة ناظراً الى الدينونة التي تنتظرني في ذلك الدهر .

لذلك أتوسل اليكم ان لا تدفنوني بالطيوب لأنه لا يليق بالجاهل مثلُ هذا الإكرام ، ولا بالذليل مثلُ هذا المجد . لا تستخدموا أيضاً أية رائحة زكية أخرى لاني تراب ورماد* . قدّموا البخور لهيكل الله أما أنا فرافقوني بصلواتكم .

(*) اتركوا وجوه امواتكم وتأملوا وجه الآله الحي .

لا تقدّموا لي الطيوب بل لله . اني مجبول بالخطايا فارثوا لي . وبدل الطيوب والرائحة الزكية جاهدوا معي في صلواتكم متذكّرين ايّاي دائماً بواسطتها . لأنه ماذا تفيد الرائحة الزكية جسداً مائتاً لا حسّ فيه ؟ قدّموا بخوركم إلى بيت الله لمجده وتطويبه لأنه هو الذي يسكن فيه . لماذا تلفّ جسداً فاسداً بثوب برّاق لن يفيده ؟ دعِ الجسد الأرضيَ لامّه الارض ، لأنه قد أُخذ منها بلا نفاسٍ كما ان المجد الباطلَ لن يُرافقه . الغنى لائق بالرجل المتعظم ، أمّا التواضعُ فيليق بالفقير . المُلك يليق بالشرفاء أمّا الجندية فتليق بالنفر .

لا تدفنوني بين قبوركم لأن هذا لن يفتديني من أيدي الذين يأسرونني . لقد وعدتُ الله أن أكون دائماً بين الغرباء . لقد عاهدت إلهي ان أُدفنَ في مقبرة الغرباء لأني غريبٌ مثلهم . أريحوني معهم لأن كلّ إنسان ، يا أخوتي ، يستريح مع شبهه . أعني أن تضعوني حيث يجثو المنسحقو القلوب حتى يأتي ابنُ الله لينهضَهم ويريحَهم ويسامحني أنا أيضاً معهم .

● صلاة

أنظر ، ياربُّ ، الى بيتي الحقير وترأف عليّ ! سامحني ، يا ابن الله الوحيد ! ولا تجازني حسب أعمالي . لأنك إن فحصت آثامي ، فمن الذي يعودُ يثبت امامك ؟ وإن جازيتنا حسب عظمتك فَمَنْ الذي يستحق رحمتك أثناء الدينونة ؟ لأن الرسول يقول : «كلُ فم سوف يُطبقُ عليه والعالم كلّه يكون مديناً لله» . إني متجاوز نعمته اذ أتفوّه بكلمات الكتاب . ما الفائدة لدمي إن أرسَلُ الى النار التي لا تنطفىء ؟ ترأف عليّ حسب عادتك فتعرف نفسي رحمةَ طول أناتك . إن دِنتَ الأرض كلّها على ما يظهر من عظمتك فلن يخلصَ واحدٌ من آلاف ولا من ربوات . لماذا ياترى أقلق نفسي قائلاً هذا كلّه انا التعيس ؟ أطلب ان يتساوى الحكمُ اثناء الدينوية بين الخطأة الظالمين والأبرار المستقيمين ، بين الودعاء الصالحين والاشرار الخبثاء ! هذا أمر يستحيل تحقيقه . لأن النورَ يُفني الظلمة . كيف يمكن لهابيل البار ان يساوى بأخيه قاين الظالم القاتل ؟ كيف يمكن للابرار ان يسكنوا مع الأثمة في مكان واحد ؟ أتوسّل اليك يا مخلصيّ لا ان تساوي بين الأبرار

والأئمة بل أن تُسرَّ فتبسط رأفاتك عليَّ وعلى المشتركين معي ، لاني أقول وأردد : إن لم تبسط رأفاتك علينا فلن يرَ أحدٌ منّا الحياةَ الأبدية . يشهد الكتاب انك إله صالح أخذت جسداً بشرياً .

دعْ ، يا إفرامُ ، مثل هذه الصلاة . هذا ما يقوله لي الملاك الذي سوف يتسلّمني لن تفيدك تنهداتك المستمّرة لأن القضاة القساة المُرسلون ليسلّموك لا تستعطفهم الهدايا . ثم يضيف أطبق فمك لن يشترك معك الناس كلّهم في الهلاك ! يعتقد الخاطيء ان الناس كلهّم يشبهونه وأنت تحذو حذوَه .

● **التذكارات :**

اقتربوا مني اذاً ، يا أخوتي ، لأن روحي قد فنيت بالكلّية . واصلوا تقدمات صلواتكم من أجل حقارتي ! وبعد ثلاثين يوماً إصنعوا لي تذكاراً(٦) لأن الاموات تفرحُ وتستريح بصلوات التذكارات التي يقدمّها لهم الأحياء القديّسون . عندكم برهان على ذلك من بعض العناصر الطبيعية المخلوقة من الله : من نتاج الكرمة مثلاً عصير الحصرم في الحقل والخمر في الخوابي ، لأنه حين ينضج العنب في الكرمة انذاك تسيل الخمر في الاجاجين . كذلك بالنسبة للبصل حين ينبت زرعه في الحقل ويُطلق براعم أنذاك يفرّح البصل اليابس في البيت .

إن كانت عناصر الطبيعة المخلوقة تتفاعل فيما بينها بهذه الصورة فكم بالأحرى الموتى يشعرون مع الاحياء عند تذكاراتهم لهم ؟ إن وثقتم بكلامي هذا عرفتم ان الحاصل في طبيعة المخلوقات يشير الى انك انت الانسان مقدّمةٌ خلق الله . فإن لم تقتنع بهذه البراهين لأنك تعتبرها غيرَ قيمّة فأصبر عليّ قليلاً لتستمع الى ما هو مكتوب . ربمّا يتقبّل ضميرُك ما يقوله الكتاب المقدّس : إن موسى قد بارك رؤبيم الى الجيل الثالث . إن كان الأموات لا يخلصون فلماذا يبارَك رؤبيم إلى

---

(٦) Mnimosinon تذكار الاموات . يُصنع عادة بتقدمة ذبيحة الهية اي قداس عن نفس الموتى مع خدمة تريصاجيون للراقدين .

الجيل الثالث ؟! وبالنسبة للقيامة يقول الرسول بولس في رسالته الى أهل كورنتس : «إن كان الاموات لا يقومون فلماذا يقبلون المعمودية من أجلهم ؟» (١ كور ١٥ : ٢٩) . فان أبناء الناموس قبل المسيح ، كما يقول الرسول نفسه في رسالته الى أهل غلاطية بانتظار القيامة كان «مغلقاً عليهم» في السرّ بحراسة الشريعة الى أن يتجلّى الايمانُ المنتظر إعلانه (غلا ٢٣ : ٢٣) . ان كان كهنةُ الناموس يطهّرون الخطأة من خطاياهم بواسطة تضرّعاتهم فكم بالأحرى كهنةُ العهد الجديد في المسيح يستطيعون غفران خطايا المنتقلين الى الحياة الأخرى بواسطة تقدماتهم المقدسة وصلواتهم !

حين يأتي يوم تذكاري أنظروا ياأخوتي ألا يخطأ أحدٌ في الهيكل . بل اسهروا بانتباه ، بلياقة ، بتواضع ، بعفة وقداسة حتى لا تصبح خطيئة جسدي الرديئة مستحقةً دينونة أكبر . فإنه الى جانب الخطايا المرتبطة بجسدي توجد خطايا أهمّ منها . فمماً يُرثى له أن أعطي ، بدل التذكار والغفران ، جواباً عن خطاياكم . فيُقال لي في الدينونة : لقد كنتَ ، يا إفرامُ ، سببَ كل هذه المعاصي ، لأنك أنت الذي جمع مثل هذا الحفل الباطل . لقد كُتِب : «سوف يدين الله الزواني والفسّاق» . ونحن ماذا سنقول عندئذ ؟ لقد ذكرتُ قبلًا والخوف يعتريني ان الذي يدينه الله مستحقّ الرحمة . كما ان الخميرة الصغيرة تخمر العجين كلّه ، وكما ان الصدأ الذي يطرأ على الحديد يفسده ، كذلك الخطيئة المتولّدة من الانسان تحارب الأعضاء السليمة والطرق الوقورة ، كما انها تهدّم الماشين في طرقها . الذي لا ينفّذ مشيئتها يبتعد مثل المسافر الذي يقضي يوماً واحداً في بيت ثم يبتعد عنه . فإنَّ الجسد المائت هذا يزول ثم يلبس الجسدَ السماوي غير المائت . بعدما يختبر الفسادَ يقوم كاملًا بلا فساد متطهّراً من كل انحلال . ها هو مصباحُ الكنيسة المضيء بولس الرسول يهتف فيقول مؤكداً على أصواتكم الشقية : «يُزرع بالفساد ويقوم بلا فساد» (١ كور ١٥ : ٤٢) .

*

أخيراً تعالوا ، ياتلاميذي المباركين بقوّة الراعي الصالح ، المعلّم الآلهي يسوع المسيح ربّنا الذي هو إله من إله . أنا لستُ اسحق ، ومع ذلك ستباركون

مثل يعقوب . لستُ موسى ومع ذلك ستكونون مثل يشوع بن نون . لستُ ايليا أيضاً ومع ذلك ستتقبّلون الروحَ مضاعفاً مثل أليشع الذي كان يطلبه . أبتدىء الآن ببركتكم أنتم تلاميذي .

يا ابراهيمُ الرجل العجيبُ ! ليعظم المسيح ذكرك على الأرض . ليكن وجهك شبيهاً بملاك مجد الله ! لتتشبّه بموسى العظيم حتى إن الذين يرونك يُدركون أنك عبد الله المختار . بما أنك التصقت بي ، ليصغِ إليك إله إبراهيم والى صلواتك وتضرّعاتك . ليمتلىء فمكَ قبل ان تفتحه ، حكمةً وفهماً كما يقول النبي : «افتحْ فمك لأملأه حكمةً من عندي» .

وأنت ، ياسمعانُ ، ليصغِ إليك الله حين تتوسّل اليه في صلواتك . ليتك تدخل الى المدينة العلوية وتمتلىء كنيستها ككأس خمرٍ من الشعوب الوادةِ الخلاص .

وأنتَ يا مَارَسُ الرجل الجليلي الوديع المستقيم ، المتواضع البار . انه وديعٌ لا بالطبيعة بل بارادته ، الذي جاهد على رجاء الله واشترك في آلامي . ليعطك الله أجرَك مع الابرار القدّيسين .

ويا زينوبيوس الرجل الجزاريوس الذي معناه رجل صيّاد قوي في الحروب ، لتكن كلمتك كالنار تُحرق كثرة الآثام وليشتعل فيك اللهيب ليقضي على الغابة كلّها . هكذا فليبتلع علمك أعداءك . وليعطيك الله ان تدرك معرفته كلّها . كما ان داود قد ظهر لامعاً متغلباً على جليات المتعالي هكذا فلتتغلّب أنت أيضاً على الضالين وتلبس أسلحة القديسين أي الروح القدس . ليكن عمود الله مرافقاً لك والسيّدُ عوناً مقتدراً .

أمّا أنت يا باڤلونا ، فالويل لامّك ! الويل للبطن الذي ولدك لأنك أصبحت شريكاً للهرطقات كلّها وسرت على طريق القراصنة . هكذا كانت

أعمالك كلها . لقد أُبعدتَ مثل يهوذا الاسخريوطي لأنك صرتَ خائناً . تركت العمود الاساسي الذي يحمل السماوات وتتوّطد عليه الارض كلّها ، فاستندتَ على قضيب وتركت عصا الصليب الذي يقوّي المرْضى ويَشفي أمراض النفوس والاجساد .

وكذلك أنت يا اروانذان الرجل الذي لا يوثق به . لقد أردتَ ان تقضي على كنائس الله المؤسسة بالروح القدس . ليمُحَ ذكرك من الأرض ولا يُكتب في سجل الاحياء . لأنك تركت خمرة الحياة ، دمَ المسيح الخبز السماوي جسدَ المسيح وأكلت أطعمة الذبائح النجسة وشربتَ من مرارة الخطايا الشنيعة . كلمةُ الله ابن الآب الذي جدّفَ عليه فمُك فليُجازِ معصياتك وهرطقاتك كلّها : من الآريوسيين والمانويين والطهريين والافتّين المركيانيّين ، الافنوميين ، الافخيتيين الكفخيتيين ، بفلانيين اوتيليانيين وكل المدنّسين الذين يعبدون الخشب والحجارة ، الشمس والقمر . ايونستون وأسترونوس الذين جدّفوا على مجد الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس .

● ضدّ الهراطقة

مبارك ومميّز كلُ من اختار هذه الكنيسةَ الجامعة ، الحظيرةَ التي لم يدركْها الذئبُ المفترس ، الحمامةَ الطاهرة التي لم يستطع الصقر الوحشي ان يلتقطها ، لأن بيد الرب كأساً مملوءةً حثالةَ خمر يشربها الجاحدون للثالوث القدّوس غير المختلط وللالوهة التي لا بداية لها . هذه الكأس شربها جنسُ اليهود أعداءُ الحقيقة .

تقيأوا واندفعوا بشراسة ضدَّ مخلّصنا يسوع المسيح . ليس هذا بالأمر العجيب لأن الكلبَ المسعور عندما يعتريه المرض ينقضّ على سيّده ويعضّه . هكذا اليهودُ المستشيطون غضباً يجدّفون على سيّدهم .

أمّا نحن فلنمجّد اللّهَ المتعالي الذي لا يستطيع خلفاء الرسل أن يقتربوا منه لأنه لو استطاع الخطأة ان يجدوا سبيلاً للصعود إلى السماء لانقسموا على أنفسهم

وتشتتوا في بيت اللّه ، في المساكن السماويّة كما جرى قديماً مع أجدادهم أصحاب البرج الذين تنطّحوا بنشاط نحو السماء فسقطوا من النعمة الإلٓهية لأن ألسنتهم قد تبلبلت . ان كان هؤلاء قد أصابتهم مثل هذه المأساة لأنهم أرادوا أن يدركوا المواقع السماوية ، فكم بالأحرى ينال عقاباً أشدَّ كلُ من يبثّ بذورَ الشقاق والجحود في قلب الناس والعقائدَ المناهضة للّه الآب والابن والروح القدس !!

ادرسوا اذاً تعاليمي ، أيها الأخوة تلاميذي ، ولا تبتدعوا عن الايمان الذي تسلّمتُه منذ طفولتي وحفظته غيرَ مشوّه ، ولا تجحدوه بسبب التردّد والشك . ان سقط أحد بسبب شكّه ووقف ضدّ اللّه وضدّ كنيسته المقدّسة فلينحدر الى الجحيم حيّاً وليرِثِ اللعنة . وكل من اعتقد ان الابن أقلُّ من الآب فلينزلْ في تراب الأرض بلا دفن . وكل من شكَ في الروح القدس فلا يحظَ بالرحمة في أوان الدينونة . وكل من ناهض الكنيسة الجامعة فليضربه البرص كما ضرب جيحزي الجاهل .

كل من ترك الايمانَ المستقيم ليُخنَقَ بحبل معصية يهوذا الخائن . لأن الايمان الذي تسلّمه الآباء من الرسل القدّيسين ايّاه أخذتُ وتعلّمتُ . هذا الذي كُرز به في كل المسكونة .

كل تجديف على اللّه ينال عقاباً رهيباً . فاهربوا بنباهة من هذا الطعم ، يا تلاميذي ، لأن كل من جدّف على اللّه ووقف ضدّه يزعزع اساس كلمة الايمان ولا يعود يستطيع ان يرفع رأسه من تحت الثقل الكبير ، لأنه أضحى عبداً يجرّه جسده المليء بالأهواء .

فلا نضيفنّ خطايا الى آثامنا . تعزيتي أمام الربّ هي الآتية :

طيلةَ حياتي كلّها لم أجدّف على الرب أبداً ولم يخرج من شفتي كلام جاهل . لقد ازدريتُ ، يا ربّ ، الذين يزدرونك ورذلت اعداءك بالكليّة .

تذكروا ، يا اخوة ، أقوالي واحفروها على ألواح قلوبكم لأني أخذتها من اللّه . وليكن عملكم كمثل حقل مفلوح للّه أعني أن تسهروا دائماً ، ان ترتّلوا وتصوموا ، ان تؤمنوا وتحبّوا الرجاء منتظرين المسيح سيّد الكلّ ومخلّصنا ، وان تُرفقوا كلَ ذلك بالاجتهاد في ضيافة الغرباء لأن الذي يضيف غريباً يتقبّل المسيح نفسه . لا تقولوا عنه انه غريب ، بل قولوا انه عضوٌ منكم . كونوا أوّلاً ثابتين في الايمان مصونين من الأعداء اي من عمّال الاثم ، من الثرثارين والبطّالين . لقد تكلّم الرسول عن هؤلاء ولم يتراجع عن القول : «اعلموا أنه يأتي بعد رحيلي ذئابٌ خاطفة لا يخافون القطيعَ ، يتكلّمون بالكذب لكي يبدّدوا وراءهم التلاميذ» وفي مكان آخر يقول يسوع : «احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحملان وهم ذئاب خاطفة» ، (متى ٧ : ١٥) الذين في فمهم أقوال عذبة كانت عند الشيطان الحسود . لذلك يبذرون الزؤانَ ، فاهربوا ، إذاً ، من معاشرتهم بكل انتباه . وها أنا ، أيها الأحبّاء ، أعطيكم مثلاً : وُجد صياد في منطقة ملكية وقُبض عليه . رأوا أنه لم يفعل شيئاً عاطلاً ، إلاّ أنه دخل منطقة غريبة لذلك عُوقب . اذاً : لا تشتركوا في مجالسهم الغريبة الباطلة ولا تقتفوا آثارَ فكرهم . لأن السكن مع الشيطان لا يفترق عن السكن مع رجل جاحد أثيم ، لأن الشيطان باستقسام باسم يسوع يخاف ويهرب ولا يستطيع ان يبقى حيث يُذكر اسم الربّ .

أمّا أنت ، أيها الانسان ، فتملك جسد المسيح خارجياً ليتك تحصل على روحه داخلياً فتصبح انساناً كاملاً للّه . فإن الانسان الذي لم يحصل على المعمودية يشبه بيتاً معدّاً للملك ، لكن هذا الأخير لم يدخله بعد . ان قرأتَ استقسامات على انسان جاحد أثيم فسوف يستخدم شروره مضاعفاً من الاسهل ان تُقرأ استقسامات على شياطين أشرار من ان يقتنع أبناءُ الاثم ، لأن الشياطين اعترفوا بالمسيح ابن اللّه قائلين : «أنت هو المسيح ابن اللّه» ، بينما يبقى هؤلاء الجاحدون في موقفهم الرافض الكريه ! ان رئيس الشياطين يصرخ ويقول : «ما لنا ولك يا ابن اللّه» (متى ٨ : ٢٩) بينما هم ينكرونه باستمرار . ان كان باستطاعة غرسة الصفصاف ان تنبت حيث لا ماء ، يستطيع جاحد الايمان ان يفقه شيئاً من معرفة

الربّ . ان فكره المتعالي سوف يُسحق كما يكرز النبي أشعيا : «كل جبل وتلّة سوف ينخفض والمعوجّ يتقوّم ووعر الطريق يصير سهلاً» (أشعيا ٤٠ : ٤) . ان كان باستطاعة الصفصاف ان ينبت في مكان صخري يستطيع القراصنة والأثمة ان يتعلّموا الحقيقة . كما يستحيل على الغراب ان يصبح أبيضِ كذلك يستحيل ابدا ان يتنقّى هؤلاء وأن يصبح السرّ صلاحاً . في الشتاء حين يسقط الثلج يبدو الغراب أبيض بينما كان بالامس أسود لكن ما ان تنفض الثلج عن جناحيه حتى يظهر لونه على حقيقته . كذلك الامر مع الخطأة : حين يحسّون ويرهبون الدينونة الآتية يظهرون علامات توبة عابرة لكن بما أنهم غير ثابتين في حالة التخشع هذه ، ينسون بعد قليل من الزمن كل شيء ويعودون إلى شرّهم السابق .

أصغوا ، يا تلاميذي ، الى توصياتي . تذكّروني دائماً . لا تبتعدوا عن طريق الحقيقة ، ولا تنحرفوا عن تقاليدكم . حين تسمعون بحروب واضطرابات في العالم اعرفوا ان النهاية قريبة . تمسّكوا برجائكم لأن كل شيء مدوّنٌ في الكتاب سوف يتمّ «السماء والأرض تزولان لكن حرفاً واحداً من الناموس لا يزول» . قال هذا معلّمنا من هنا نعرف انها حقيقة لا غش فيها . سوف نمثل ، لا محالة ، أمام القاضي . فلنجتهدْ ان نوجد كاملين باعمالنا الصالحة المنجزة بصبر .

* * * *

بينما كان القديس يتكلم بكل هذا بدموع ، وجمع المدينة واقفاً جاءت امرأة اسمها لمبروتتا Lambrotita ابنة ارستيد الشهير فشقت طريقها بين الجمع ، وسقطت أمامه ، وقالت : «باسم اللّه الذي أحببته منذ صغرك . لقد أوصيتنا ان لا نصنعَ لك قبراً لائقاً . فاسمح لي انا عبدتك ان أصنع لك صندوقاً يحوي رفاتك» . تقبّل البار توسّلها وقال لها : «اذهبي واصنعي ما طلبتِ ، لكن ، إياك ان تصنعيه من مرمر لأن المجد الباطل لا يفيد . . .

ثم أرشدها القديس وقال لها مباركاً اياها : «لن يُقطع من نسلك تعليمٌ بار الى الدهر وحين مجيء المسيح ليحوّل السماء والأرض ليذكرْك في سفر الحياة ، في ملكوت السماوات وليكلّلْكِ سلامُ الله الذي كلّل القديسين بأكاليل لا تفنى ، لأن بالله الآب يليق المجد ، والسجود للابن ، والقدرة للروح القدس من قبل الدهور الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين .

عيد القديس إفرام
١٩٩١/١/٢٨

التطويبات

بارك يا أب !

١ ـ طوبى للذي تحرّر كاملاً بالربّ من ترابية هذه الحياة الارضية الباطلة وأحبّ الله الصالح والشفوق وحده .

٢ ـ طوبى للذي أضحى فلاحَ الفضائل وقدّم للربّ باقةَ أثمار كأرض مخصبة .

٣ ـ طوبى للذي أضحى فلاحاً لحسن الفضائل ، وغرس كرمةً روحية ، وحصد فملأ أجاجينه من أثمار الحياة في الربّ .

٤ ـ طوبى للذي يقدّم لاخوته فرحاً روحياً من ثمرة الفضائل التي اجتناها بتعبه لكي يقدّم ثمرةَ الحياة للربّ .

٥ ـ طوبى للذي يقف في الخدمة وفي الصلاة مثل ملاك سماوي حافظاً أفكاره في كل آن طاهرة ولم يُعطِ للشرير سبيلاً يأسرُ نفسه عن الرب المخلّص .

٦ ـ طوبى للذي يشتهي النوح بمعرفة ويُهرق الدموعَ على الأرض بتخشع مثل درر كريمة أمام الرب .

٧ ـ طوبى للذي يحبّ القداسة مثل النور ولم يدنس جسده بالأعمال الشريرة المظلمة أمام الرب .

٨ ـ طوبى للذي يحفظ جسده مقدّساً للمخلّص ولم يعيّب نفسه بأعمال قبيحة ، بل بقي مرضياً أمام الرب .

٩ ـ طوبى للذي يكره كلَ عمل دنسٍ كلُّه قباحة مقدّماً نفسه ذبيحة حيّة مرضية أمام الرب .

١٠ ـ طوبى للذي يملك في نفسه ذكرَ الله ، لأن هذا سوف يُصبح كلّه ملاكاً سماوياً على الأرض خادماً للربّ بخوف ومحبّة .

١١ ـ طوبى لعاشق التوبة القادرة ان تخلّص الخطأة . انه لا يفكّر بعمل الشرّ ، ولا يُنكر النعمة أمام الرب المخلّص .

١٢ ـ طوبى للصامد أمام الرب جندياً شجاعاً كانزاً كنزاً ملوكياً ، أعني جسدَه ونفسه غير مدنّسين أمام الرب .

١٣ ـ طوبى للقابع في قلاّيته كملاك في السماء ، حافظاً أفكاراً طاهرة ، يُنشد بفمه تسابيح للذي عنده سلطان على كل نسمة .

١٤ ـ طوبى للذي أصبح مشابهاً للشاروبيم والسارافيم ، ولا يتوانى في الخدم الروحية ، بل يمجّد الرب على الدوام .

١٥ ـ طوبى للممتلىء فرحاً روحياً على الدوام . لا يتكاسل بل يحمل نيرَ الرب الصالح لانه سوف يُكلل بمجد .

١٦ ـ طوبى للذي ينقيّ نفسه من كل دنس الخطايا ، لكي يتقبّل بدالة في نفسه ملكَ المجد ربنا يسوع المسيح .

١٧ ـ طوبى للذي يتقدّم من الاسرار الطاهرة (أسرار) المخلّص بخوف ورعدة ويعرف انه يتقبّل حياةً أبديةً .

١٨ ـ طوبى للذي يتأمل الموتَ في كل ساعة ويَمحي الاهواء العدائية المعشّشة في قلبه ، لأن هذا سوف يتعزى في لحظة انفصال جسده عن روحه .

١٩ ـ طوبى للذي يتذكر عذابَ جهنّم بصورة مستمّرة ، ويسرع بدموع وتنهّدات ليتوب توبة صادقة أمام الرب ، لأن هذا سوف يتحرّر من الشقاء الابدي .

٢٠ ـ طوبى للذي يتّضع بصورة متواصلة اختيارياً ، لأنه سوف يكلّله ذاك الذي وضع نفسه طوعاً من أجلنا .

٢١ ـ طوبى للذي يجلس في قلاّيته بكل ورع كما فعلت مريم عند قدميّ يسوع وكما أسرعت مرتا (لو ١٠ : ٣٠ ـ ٣٨) لدى استقبال الرب والمخلّص نفسه .

٢٢ ـ طوبى للذي يوقد نفسه بمخافة الله محافظاً فيها دائماً على حرارة الروح القدس ومحرقاً أشواك الافكار الشريرة .

٢٣ ـ طوبى للذي لم يدنّس يديه بأعمال رديئة لأن هذه سوف تُدان في اليوم الرهيب أمام الرب .

٢٤ ـ طوبى للذي يبذر أفكاراً صالحة جيّدة في كل آن ، ويتغلّب بالرجاء على رذيلة الكسل الرديئة التي يحاربها على الدوام نسّاك الربّ .

٢٥ ـ طوبى للذي أصبح كمحارب شجاع في عمل الرب منهضاً المتهاملين ومحرّكاً المتوانين في طريق الربّ .

٢٦ ـ طوبى للذي أصبح مثمراً في الرب حتى يتّخذ الملائكة القدّيسين حرّاساً له كما يكون المزارع نفسه حارساً للشجرة المثمرة .

٢٧ ـ طوبى للذي يحبّ الوداعة بحكمة روحية ولا تطعنه الحيّة الشريرة ، متّخذاً الله الصالح والشفوق رجاءً له .

٢٨ ـ طوبى للذي يكرّم القدّيسين ويحبّ القريب ويطرد الحسد من نفسه الخاصة ، هذا الذي أصبح قايين بسببه قاتلاً أخاه .

٢٩ ـ طوبى للذي يزدري الظالم عملياً ، ولا يتخاذل أمام وجه لهيب اللذات ، لأن نفسه سوف ينديها ندى الروح القدس .

٣٠ ـ طوبى للذي لم يدع غشاوة الظلام الشيطانية تعشّش في فكره فتحرمه من النور اللذيذ ومن فرح الصدّيقين .

٣١ ـ طوبى للذي استنارت عينا قلبه ليشاهد الرب دائماً كفي مرآة ، لأن مثل هذا يستريح من الأهواء ومن الافكار الشريرة .

٣٢ ـ طوبى للذي يحبّ الأقوال الصالحة ويمقت الاقوال العدائية الفاسدة لأنه لن يصير أسيراً للشرير .

٣٣ - طوبى للذي ينصح القريب في مخافة الله ولا يُضلّ نفسه خاشياً في كل لحظة عصا الراعي الكبير الحديديّة .

٣٤ - طوبى للذي يطيع القريب بحسب الله ويصبر على الشدائد بشكر . لأن مثل هذا سوف يُكلّل بسبب اعترافه بالرب .

٣٥ - طوبى للذي لا يسيطر عليه هوى الكسل كفاقد الرجولة ، بل اتّخذ الصبر كاملاً ، هذا الذي بواسطته فاز القديسون بالاكاليل .

٣٦ - طوبى للذي يحبّ الامساك بمرضاة الله ولا يُدان بسبب بطنه كمتنعّم ومدنّس ، لأن مثل هذا سوف يعظّمه الله .

٣٧ - طوبى للذي لا يسكر بالخمر كالابن الشاطر ، بل يبتهج في كل حين بذكر الرب الذي يبتهج به القديّسون بتواصل .

٣٨ - طوبى للذي يدبّر بمرضاة الله ممتلكاته ولا يُدان من الله المخلّص كمحبّ للفضّة وعديم الشفقة على القريب .

٣٩ - طوبى للذي يسهر في الصلوات والقراءات والعمل الصالح ، لأن مثل هذا سوف يستنير ولا ينام الى الموت .

٤٠ - طوبى للذي أصبح شبكة روحية صالحة يتصيّد كثيرين للسيّد الصالح ، لأن مثل هذا سوف يمدحه كثيراً الربّ .

٤١ - طوبى للذي أصبح نموذجاً حسناً للقريب دون أن يصدم ضميره فاعلاً ما لا يحلّ فعله ، لأن مثل هذا سوف يباركه الربُّ .

٤٢ ـ طوبى للذي أضحى طويل الأناة وشفوقاً ولم يستعبده الغضب البربريّ والعداوة الشرّيرة ، لأن مثل هذا سوف يرفعه الرب .

٤٣ ـ طوبى للذي ارتفع بمحبّة صائراً مثل مدينة موضوعة على جبل التي منها تراجع العدوّ بخوف مرتعداً من صمودها في الرب .

٤٤ ـ طوبى للذي أشرق بايمانه بالرب كمصباح منير موضوع على منارة عالية ينير نفوساً مظلمة اتّبعت بدعة الجاحدين غير المؤمنين .

٤٥ ـ طوبى للذي يحبّ الحقيقة باستمرار ، ولم يسمح ان يستخدم فمه للتجديف ، لأنه يخاف من أمر الرب لكل كلمة بطالة[١] .

٤٦ ـ طوبى للذي لا يحكم على قريبه كعديم الحكمة ، بل بحصافة روحانية جاهد لكي يخرج الخشبة من عينه الخاصة .

٤٧ ـ طوبى للذي أزهر قلبه كالنخل بايمان مستقيم ولم تستعبده بدعة الجاحدين غير المؤمنين كما من الاشواك .

٤٨ ـ طوبى للذي أصبح سيّداً على عينيه ولم يغوِه لا عقلياً ولا حسّياً جلد البشرة الذي سوف يذبل سريعاً .

٤٩ ـ طوبى للذي عنده أمام عينيه ساعة الموت ويزدري الكبرياء قبل ان يظهر فساد طبيعتنا في القبر ونتانتها .

---

(١) متى ١٢ : ٣٦ .

٥٠ ـ طوبى للذي يفكّر بالساكنين في القبور بالجملة ويبعد كل شهوة ضارة ، لأنه سوف يقوم بمجد عندما يُنفخ بالبوق السماوي موقظاً أبناء البشر كلّهم .

٥١ ـ طوبى للذي يتأمل بحكمة روحية حلقة النجوم الساطعة بمجد وجمالَ السماء ويرغب في رؤية صانع الكلّ .

٥٢ ـ طوبى للذي يملك في ذهنه النار التي نزلت على جبل سينا وأصوات الابواق وموسى المنتصب في الوسط بخوف ورعدة ولا يتراخى في سبيل خلاصه .

٥٣ ـ طوبى للذي لا يضع رجاءه على البشر بل على الرب الآتي بمجد كبير لكي يدين المسكونة كلّها بعدل ، لأنه سوف يصير كشجرة مثمرة على مجاري المياه .

٥٤ ـ طوبى لذاك الذي أصبح ذهنه بنعمة الله كسحابة مليئة بالمطر وأروى نفوساً مائتة لتنمية ثمار الحياة ، لأن نعمته سوف تؤول الى فخر أبديّ .

٥٥ ـ طوبى للذين يسهرون باستمرار بمرضاة الله لأن الله سوف يحفظهم في يوم الدينونة ويصبحون أبناء العريس ويشاهدونه بابتهاج وسرور ، بينما أنا والذين على شبهي المتهاملون ومحبّو اللذّة سوف يبكون وينوحون عندما يرون اخوتهم في المجد غير المدرك وهم يتعذّبون .

تطوبيات أخرى

بارك يا أب !

للقديس افرام

١ ـ طوبى للذي ازدرى ذلك العيش البشري وتركه ، وفي الله وحده وجد اهتماماً ومعنى لحياته .

٢ ـ طوبى للذي مقت الخطيئة ورذلها حبّاً بالله الصالح والمحبّ البشر وحده .

٣ ـ طوبى للذي أصبح على الأرض ملاكاً سماوياً متشبّهاً بالسارافيم . لديه في كل حين أفكار طاهرة .

٤ ـ طوبى للذي أصبح طاهراً أمام الله ، قدّيساً ومعتقاً من كل العيوب ومن كل الافكار والاعمال الشريرة .

٥ ـ طوبى للذي أصبح كله حرّاً في الرب من كل أمور هذه الحياة الباطلة .

٦ - طوبى للذي يملك في فكره ذاك اليوم الآتي الرهيب ويجتهد في معالجة جروح نفسه بالدموع .

٧ - طوبى للذي أصبح كلّه سحابة دموع وأطفأ بدموعه المتواصلة لهيب أهوائه الشريرة .

٨ - طوبى للذي يسير في طريق وصايا الرب صانعاً في كل يوم مسكناً بصدق عن طريق الايمان والمحبة .

٩ - طوبى للذي يتقدم في أعمال النسك الصالحة راجياً أن ينال من الله الملكوت السماوي .

١٠ - طوبى للذي يخاف من حكم الرب الرهيب بسبب الكلام البطال ويجعل حارساً لفمه حتى لا يخالف الوصية[1] .

١١ - طوبى لذاك الذي أصبحت نفسه شجرة فتية عنده دموع متواصلة بحسب مشيئة الله مثل فيضان الماء .

١٢ - طوبى للذي يزرع زرعاً جيّداً في نفسه الخاصة أي الفضائل وحياة القديسين .

١٣ - طوبى للذي يزرع زرعه ويسقيه متقدماً بدموع حتى يأتي زرعه مرضياً ومثمراً نحو الرب .

---

(١) متى ١٢ : ٣٦ «ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطّالة يتكلّم بها الناسُ سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» .

١٤ ـ طوبى للذي احترق بمحبة الرب كمن النار وأحرق كل فكر دنس وورم نفسه .

١٥ ـ طوبى للذي أصبح طوعاً أرضاً صالحة جيّدة مثمراً ثمراً حسناً في كل حين ويعطي ستين وثلاثين .

١٦ ـ طوبى للذي صار من جهة استعداد قلبه[٢] زرعاً صالحاً في الحقل بذره السيّد في حقله الخاص[٣] .

١٧ ـ طوبى للذي وجد لؤلؤة مختارة سماوية ، وبعد أن باع كل ما كان يملك على الارض اشتراها وحدها[٤] .

١٨ ـ طوبى للذي وجد الكنز المخفي في الحقل فازدرى كل شيء بسبب فرحه واقتناه[٥] .

١٩ ـ طوبى للذي يتذكّر باستمرار ساعة الموت ، ويجتهد أن يكون في ذلك الوقت مستعداً غير خائف .

٢٠ ـ طوبى للذي يقتني دالةً في ساعة انتقاله من هذا العالم عندما تنفصل النفس بخوف ووجع ، لأن الملائكة تأتي وتفصل النفس عن الجسد ، فتمثل أمام المنبر الرهيب الازلي .

* * *

---

(٢) نيّة ـ استعداد داخلي .
(٣) متى ١٣ : ٢٤ .
(٤) متى ١٣ : ٤٦ .
(٥) متى ١٣ : ٤٤ .

● **توصيات**

في ساعة الموت سوف يعترينا خوفٌ شديدٌ عندما تنفصل النفس بخوف ورعدةٍ . لأنه في ساعة الانفصال هذه تكشف أمام النفس أعمالها كلها ، التي عملتها في الليل والنهار ، الصالحة والرديئة ، والملائكة يسرعون لاخراجها من الجسد . لكن النفس تنظر إلى أعمالها هذه وتخشى الخروج . **إن نفس الخاطىء تخرج بخوف من الجسد** ، وتذهب برعدة للمثول أمام منبر الحاكم الرهيب . وعندما تضطر للخروج من الجسد وتشاهد أعمالها تقول بخوف : «أعطوني مجالاً ، ساعةً واحدةً ، قبل أن اغادر الجسد» ، ولكن اعمالها تجيب : «أنتِ فعلتنا ، لنرحل اذاً معك إلى الله» .

لنزدرِ، أيها الأخوة الأحباء ، ذلك العيش الباطل ولنشتهِ المسيح القدوس وحده مخلص نفوسنا ، ذلك لأننا لا نعرف أية ساعة يأتينا الموت ولا يعرف أحدٌ ساعة خروجه من هذه الدنيا . فجأة ، بينما نحن نسير ، بينما نحن نتنعم بلا همّ على هذه الأرض ، يدركنا الأمر الرهيب لكي تؤخذ النفس من الجسد وتذهب في ساعة ويوم لا تنتظرهما وهي بلا جواب عن خطاياها كلها . لذلك أرجوكم أيها الأحباء ، لنتحرر من هذا العيش الوقتي الباطل ، فلا نستعبد له . أنه مليء بالعثرات والفخاخ . لنجنّح نفسنا حتى تطير وتستريح من هذه العثرات والفخاخ . في كل وقت ينصب الشرير فخاخاً أمام نفسنا لكي يعثرها أولاً ويقودها بالتالي إلى الهلاك الأبدي .

نحن نسير أيها الأحباء وسط العثرات فلنتنبّه إذاً لئلا نسقط في فخاخ الموت . أن فخاخ الشرير مليئة بالعذوبة الظاهرة أعني الاهتمام بالأمور الدنيويّة ، بالأموال ، بالأفكار والاعمال الشريرة . فلا تتحلَّ أنت اذاً يا أخي ، بحلاوة فخاخ الموت ، ولا تتهامل ، ولا تستسلم إلى الافكار الشريرة . إن وجد الفكر الشرير مدخلاً إلى النفس ، تستلذ النفس بالهذيذ بالشرّ فيوقعها في الفخ ويميتها ، هذا اذا لم يُطرَد بالصلاة ، بالدموع ، بالأمساك والسهر . كن صاحياً متحرراً من كل

الأرضيات حتى تفر من الاعمال والافكار الشريرة . لا تستسلم ولو للحظة واحدة لاتّباع فكر شرير . لا تسمح للفكر السيء أن يدخل إلى نفسك . إلتجىء دائماً إلى الله بالصلاة ، بالصوم ، وبالدموع حتى تتحرر من العثرات كلها ، من الفخاخ والأهواء .

* * *

● توصيات أخرى

لا تعتقد ، يا أخي ، أنك سوف تعيش وقتاً طويلاً على الأرض . ولا تنصرف إلى حياكة الافكار والأعمال الشريرة . سوف يأتي أمر الرب بغتة فيجدك تخطأ .

ولا تلقى وقتاً للتوبة وللغفران . ماذا تقول للموت ، يا أخي ، في ساعة الانفصال ؟ آنذاك لن يسمح لك بلحظة واحدة . لقد اعتقد الكثيرون أنهم سوف يعيشون طويلاً على الأرض ، فوفد الموت بغتةً ، فوجد رجلاً خاطئاً غنياً يحسب انه سوف يعيش طويلاً ، وفي راحة لسنين كثيرة ، فيعدّ ثروته بالانامل معتبراً أياها كافية لسنين طوال . أتى الموت في لحظة واحدة واختفى كل حساب ، كل غنى ، وكل اهتمام بالزمن الباطل .

من جهة أخرى ، جاء الموت أيضاً فوجد رجلاً صالحاً يجمع كنزاً جيّداً سماوياً بالصلاة والصوم وهو يتطلع إلى الموت دائماً أمام عينيه ، لا يخاف من مجيئه ومن انفصال الجسد .

هكذا توقع أنت أيضاً الموت في كل يوم ، وكن حكيماً وروحانياً . توقع في كل يوم انفصالك عن هذا العالم ومثولك أمام منبر الرب . هيّء في كل يوم مشعلك ، وكن مستعداً حاذقاً . لا تدعه ينطفىء بل أوقده دائماً بالصلوات والدموع . جاهد في كل مناسبة لأنه سوف يأتي زمن الالحاد ، زمن التهامل

والكسل ، زمن القساوة ، والأمر الذي يحجب عنك التفكير بالصالحات وذلك بسبب ضلاله .

انظروا ، أيها الأحباء ، كيف أن الشرور كلها تزداد يوماً بعد يوم . يُقبل الشر علامةً للضيق الكبير الذي سيعم المسكونة كلها . **كل هذا يتم بسبب خطايانا** . تزداد الشرور على الأرض بسبب تهاملنا . فلنكن ساهرين ، محبين لله ومجاهدين لكي نظفر في الحرب على الشرير . لنتدرب على فنون الحرب اللامنظورة ، **فأهمّها التعرّي من الأرضيات** . إن كنّا نتوقع الموت أمام أعيننا في كل يوم ، فلن نفشل أبداً . لنتعرَّ إذاً ، من الاهتمامات الدنيويّة ، لنزدرِ الأرضيات كشيء عابر . آنذاك أيها الحبيب سوف تنال إكليل الظفر . الأرضيات تجذب الانسان إلى أسفل ، **والأهواء تظلم عيني القلب** أثناء المصارعة . لذلك ينتصر علينا الشرير نحن المهتمين بالبشرة العابدين أهواءنا . لأننا نحب ما هو جسدي ، يلتصق فكرنا بكل ما هو أرضي وذلك بسبب تهاوننا .

ان النهار مال إلى الغروب والزمن الحاضر يمضي . أما نحن ، فبسبب عدم إيماننا نعتقد أننا بعد في الصباح . ها إن ملكوت السماوات على الأبواب ونحن لا نريد أن نسمع شيئاً عن العلاقات والحوادث التي أحدثها الله من أجلنا[6] . لقد حصل جوع ، زلازل ، حروب وتهديدات وتحركات للأمم . كل ذلك نحسبه فيما بيننا كالحلم . لا يخيفنا صداه ولا حتى حضوره . إن الأخيار يتجمعون قبل مجيء الشدّة حتى لا يروا الخراب الآتي إلى هذا العالم الظالم . لقد اقترب الحصاد ومعه نهاية الدهر الحاضر . الملائكة يمسكون المناجل وينتظرون الاشارة السانحة .

فلنخف، أيها الأحباء ! لقد أتت الساعة الحادية عشرة والطريق مازال طويلاً . لنجتهد حتى نظلّ سائرين في الطريق . لنتيقظ ونحفظ أنفسنا من نوم الكسل متشبهين بالذين لا ينامون . لا نعرف في أية ساعة يأتي سيد الأرض

---

(٦) متى ٢٤ : ٦ ـ ٧ .

كلها . لنعتق أنفسنا من ثقل الأمور الأرضية وهمها «لا تهتموا أبداً بما على الأرض»[7] يقول الرب : علينا أن نحب بدون تمييز[8] . هذه كانت وصيته لنا . أما نحن فنطرد المحبة لتغيب عن الأرض . تكثر الخطايا . الظلم يعمّ كل شيء بدون استثناء . كل واحد يلتمس بشدّة ما هو أرضي ويزدري السماويات . لا أحد منا يتوق إلى الخيرات المستقبلة . هل أنت ترغب في أن تكون انساناً سماوياً ؟ فازدرِ ما هو اسفل واسع إلى ما هو أسمى . اجتهد أن تكون كاملاً واطلب ملكوت السماوات .

لا تفكر هكذا ، أيها الراهب ، فتقول : «إن تعب النسك كبير وأنا لا أستطيع التحمل ، لا أستطيع أن أجاهد» . انتبه إلى أقوال وصيتي الحسنة . تعلم جيّداً ما أقوله لك ، يا أخي الحبيب ومحب المسيح : إن أردت أن تذهب إلى بلد بعيد آخر لا تستطيع أن تجتاز المسافة كلها في لحظة واحدة ، لكن في يوم تنتقل من محطة إلى أخرى . وبعد وقت وتعب تدرك البلد المطلوب . هكذا يكون ملكوت السماوات وفردوس النعيم . كل واحد يصل إلى هناك عن طريق الأصوام والامساك والأسهار . الامساك ، الدموع والصلاة ، السهر والمحبة هذه هي المحطات التي توصلنا إلى السماء . لا تخشَ شيئاً في وضع أساس للطريق الذي يؤدي إلى الحياة . إن شئت ان تقطع الطريق وحدك وكنت نشيطاً في سعيك ، يصير الطريق سهلاً سوياً تحت قدميك ، فتسير بفرح وتقطع بشكر المحطات كلها . شدّد في كل يوم خطى نفسك في كل محطة ، فلا تجد صعوبة في الطريق المؤدي إلى السماء . إن الرب السماوي قد أصبح بنفسه طريق الحياة[9] لكل الذين يريدون أن يذهبوا بفرح إلى أبي الأنوار[10] .

* * *

---

(٧) متى ٦ : ٢٥ .

(٨) يو ١٥ : ١٢ .

(٩) يو ١٤ : ٦ .

(١٠) يعقوب ١ : ١٧ .

● تضرّع

أيها المسيح المخلص ، لقد صرت من أجلي طريق الحياة التي تقود إلى الآب . هذا هو الفرح وحده ونهاية الطريق هي ملكوت السماوات . لقد صرت من اجلي ، أيها الرب يسوع يا ابن الله ، طريق الحياة واستنارة فغرفتُ مواهب من ينبوعك وذلك بكل قواي وبشوق كبير . فأصبحت نعمتك في نفس عبدك نوراً وفرحاً أحلى من العسل في فم خادمك . لقد أصبحت نعمتك في نفس عبدك مثل كنز أغنى فقري وطرد مني الحرمان والشقاوة . صارت نعمتك ملجأً وقوّة لعبدك ، معونةً ، مدحاً ، فخراً وغذاءً للحياة كلّها . كيف يستطيع عبدك ، أيها السيّد ، أن يصمت أمام عذوبة محبتك الغزيرة ونعمتك ؟! لذلك فتحت فمي غير المستحق . كيف يستطيع لساني بسبب نعمتك أن يسبح ويمجد مانح الخيرات ؟ وكيف أتجرأ أيضاً أن أوقف أمواج نعمتك التي تتدفق في قلبٍ خاطىء تملؤه عذوبة لا توصف ؟! سأرنّم تمجيداً لسيّد السماوات الذي أعطى عبده مواهبه السماوية بغزارة . سأمجد نعمتك ، أيها المسيح المخلص ، لأنه بهذا أتمجد أنا أيضاً . لا أتوقف عن تسبيح نعمتك ، أيها السيّد ، ولن تتوقف قيثارتي عن إنشاد ترانيم روحية . إن شوقك يجذبني اليك ، يا مخلص . أنت فخر حياتي . نعمتك تحلي ذهني فيتبعك . ليصر قلبي أرضاً خصبة تتقبل الزرع الجيد ولتُسقط فيها نعمتك ندى الحياة الأبدية . ولتحصد نعمتك من أرضِ قلبي باقات جيّدة أعني التخشّع ، السجود ، التقديس ، كل ما يرضيك دائماً . أعد نفسي إلى حظيرة فردوس النعيم مع الخروف الضال الذي وجدته . هلا توجد نفسي داخل النور . ذاك الخروف الضال ، لما وجدته رفعته على منكبيك[11] . أما هذه النفس الشقية فامسكها بيدك ، وقدّمها للآب الطاهر الازلي حتى أقول في نعيم الفردوس مع جميع القديّسين : «المجد للآب الازلي ، السجود للذي منح مواهب سماوية لعديم الذكر لكي يقدّم هذا الأخير ثمر تمجيد للملك الكلّ إلى الدهر آمين» .

---

(١١) لوقا ١٥ : ٥ .

دعوة أخرى إلى التخشع !

للقديس افرام

تعالي إلى التخشع ، أيتها النفس ، تعالي إلى التخشع من أجل كل الخيرات التي نلتها من الله ! تعالي إلى التخشع من أجل السيئات التي فعلتها ! تعالي إلى التخشع لكل ما صبر عليه الله من أجلك ! تعالي إلى التخشع وتوبي كيلا تسلمّي إلى الظلمة الخارجية ! توبي ، أيتها النفس الشقية ، كيلا تخزي أمام منبر المسيح الرهيب !

ويلي أنا الخاطىء الذي دنّس طهارة قلبه بسبب عدم شجاعتي ! فإن تهاوني وكسلي أظلما دالة قلبي . إن الشهوة الرذيلة تأمرني كما يأمر السيّد العبد ، وأنا أطيع حالاً كالطفل ، تضلني وأنا شاكر ! من يرثي لي أو يستغيث من أجلي ؟ وحده مخلّصي الكلّي الصلاح يفتقدني أنا اليائس .

ويلي أنا الخاطىء لأني تجرّحتُ وحدي ! ويلي لأنك ، يا سيّد ، قد جبلتني طاهراً بينما أنا بسبب تهاوني ، تمرّغت في الخطايا وتلطخت ! كنت مساوياً للملائكة في الكرامة فأذللت نفسي . لقد تكاثرت آثامي ، يا رب ، قد تكاثرت ولا تحصى كثرتها . كيف أستطيع أن أبتهل إليك ، يا مخلصي ، وفمي ممتلىء من المآثم ؟ كيف

أستطيع أن أسبّحك بضميري المدنّس ؟ كيف أستطيع أن أحبّك وأنا ممتلىء بغضاً ؟ كيف يمكن للحقيقة أن تسكن فيّ وأنا أتسلّح بالكذب ؟ كيف أستطيع أن أتوسّل إليك وأنا لم أحفظ وصاياك ؟ لكن أنت غير الكاذب لا تعرض عني أنا الشقي ، لا ترفضني أنا المرذول ، لا تتركني أنا اليائس ! لأن عدوي يفرح فرحاً جزيلاً متى شاهدني يائساً كذلك ليأسرني بواسطة انعدام الرجاء . لكن أنت بشفقتك لا تخز رجائي ، بل انتشلني من أنيابه وخداعه ومن كل قوة ثائرة عليّ .

لذلك أرجو من كل الذين يعذبهم ضميرهم بسبب خطاياهم أن لا ييأسوا ولا يفرحهم عدوهم ، بل أن يقبلوا بلا خوف نحو الله ، أن يبكوا أمامه . وأن لا يفقدوا الرجاء لأن الرب يسر كثيراً بالتائبين . ويتقبل بفرح عودتهم اليه ، لأنه يقول على لسان هوشع : «بعد كل هذا عد اليّ» . وأيضاً بواسطة الانجيلي متى : «تعالوا الي ، يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم» (متى ١١ : ٢٨) .

* * *

اذاً : لا تيأس أبداً ولو خطئت . كما يقول بولس : هو يستجيب للطالبين اياه (عبرانيين ١١ : ٦) أما الذين يجحدونه ولا يتوبون فهو يبتعد عنهم . ولكن كيف يستطيع المرء أن يطلبه ويجده ؟

أوّلاً وقبل كل شيء عليه أن يحفظ المحبة للاخوة لأن الانجيلي يوحنا يقول «الله محبّة» (١ يو ٤ : ٨ و١٦) . أن كان عنده محبّة ، فعنده الله ، وان كان لديه التواضع فهو شبيه بالله . كل من تكبّر يفترق عن المسيح ، وكل من صبر يتشبه بالله . كل من تذمر يبتعد عن المسيح وكل من خضع لرئيسه يتشبه بالملائكة . كل من عاكس سيّده يصاحب الشيطان . إن أحبَّ الواحد الحقيقة يصير بالواقع صديق المسيح ، والذي يكره أخاه يبغضه الله . والذي يزرع الفرقة بين أخ وأخ يدان مع الشيطان ؛ أما الذي يتألم مع أخيه فيرث المسيح . الذي يزدري الخاطىء يدين نفسه . أما الذي يحزن ويتألم معه فيطهِّر نفسه الخاصة .

كل من شهرّ أخطاءَ أخوته يدنس نفسه ، بينما الذي يسعى بشفقة لإخفائها فمثل هذا يُحفظ في يوم الغضب الذي يتكبّر ويتعظّم بما أنه يعيش في الفضيلة فهذا قد أضاع أتعابه الخاصة ولا يأخذ أجراً ، أما الذي يسعى وراء إخفاء انجازاته ، عن طريق التواضع ، فمثل هذا يرفعه الرب ويجازيه خيراً . كل من افتخر بتقدّمه يسقط ، وكل من تذلّل وصغّر نفسه يرتفع إلى علوّ شاهق . كل من احتدّ وغضب يستحق الدينونة ولا يعاشره المسيح . أما الذي يبقى وديعاً ليّناً فيصبح محطاً للروح القدس . كل من ازدرى أخاه الخاطىء يضلّ ويجهل ، أما الذي يشاطره المحبّة فهو بالحقيقة فاضل . كل من ازدرى أخاً غريباً يتغرّب عنه الله . والذي يقبله بمحبة يقبله الله .

الذي يُسرّ بالاملاك والمباني يتعرّى من الخيرات الأبدية ، أما الذي يجاهد في سبيل الروحيّات فيتذوّق حسناً حلاوة الخيرات الأبدية . الذي يتحلى بالألبسة الفاخرة يتعرّى من اللباس الآلهي ، بينما الذي يتسترّ بملابس عادية يتوق إلى ارتداء الثوب الروحي . الذي يتهاون في أوان الصلاة والتراتيل ولا ينتبه يُغضب الله ! أما الذي يسعى بحماس واجتهاد إلى التراتيل فهو شريك الروح القدس . كل من لم يهتم بقراءة الكتاب المقدّس ولم يطالعه بشوق هو شجرة غير مثمرة أما الذي يفتش عنه بغيرة فهو يضاعف الثمر «مثل شجرة مغروسة على مجاري الحياة» .

كل من يلجأ إلى النوم مستريحاً في «السهرانيّات» فمن الواضح أن مثل هذا انسانٌ جسدي لا روحي . أما الذي يغصب نفسه على السهر بحماس فمثل هذا يطلب المسيح بشوق . كل من يتكلّم كثيراً وباطلاً يُضحي مرذولاً من قبل الله ومن الناس ؛ أما الذي يضبط نفسه بالصمت فهو يمجد الله ويحبّه كثيرون . كل من امتلك من الأخوة أكثر مما يحتاج اليه ولا يعطي الفقير لا يكون قديساً . . . أما الذي يعطي المحتاج فهو يرث ملكوت السماوات .

كل من كان قوياً متمتعاً بصحة جيّدة فتعالى على المرضى والمتواضعين كان ملعوناً من قبل الله ، فيسمعه قائلاً : «كل من رفع نفسه اتّضع» (لو ١٤ : ١١ ،

١٨ : ١٤) . أما الذي يساعد ويشارك ألم الآخر فهو يسمع الرب يقول له : «كل ما فعلتم باخوتي هؤلاء الصغار فبي قد فعلتموه» (متى ٢٥ : ٤٠) . كل من أزعج اخوته خالفاً الواحد بالآخر تزدريه الملائكة والناس . أما الذي يهدّىء روع الغاضبين والمحزونين فسوف يدعى ابن الله .

كل من أهمل الصوم وانصرف لاشباع شهوات جسده لا يكون نقياً ولا طاهراً ؛ أما الذي يبقى صائماً فهو يلازم النباهة والعفة والطهارة . كل من يفرح بكثرة المآكل فهو عبد لشراهة البطن . أما الذي يلاصق الامساك فهو يسود على اهوائه وافكاره السيئة . كل من يسرّ ويبتهج بمجالسة ومكالمة النساء فهو عبد للشهوات الخبيثة ويعذب ضميره ؛ أما الذي يتجنب مثل هذه ويبتعد عن مثل هذه العادات فيعيش بسلام وبضمير نقي .

الذي يسر باناقة الجسد ويتكل على ذلك فهذا لا يتكرس لله بل يتسلى وتلعب به الافكار . الذي يبتعد عن أقربائه بالجسد دون أن يختلف معهم فهذا بالحقيقة قد نزع عنه العالميات لكي يتعبد لله .

كل من تذمّر على تنفيذ الاوامر خسر بوضوح أجرة الطاعة . أما الذي يلبي الأمر بحماس فهو يحفظ جمال نفسه براقاً . الذي يقاوم ويدين من ينصحه فهذا يبتعد عن المسيح ولا يتعلم شيئاً .

بمثل هذه التأملات علينا ، أيها الأخوة ، أن نهذّب نفوسنا ، أن نجاهد وان نتيقظ لئلا نفقد الخيرات الابدية بسبب أهواء الجسد . ويلي ! كم من النعم مهيأة لنا ولا نجاهد في سبيل التمتع بها ، ولا نهتم بل على العكس نفضل الحاضرات ، الوقتيات ، الامور غير الثابتة ولا نذكر الباقيات . يا لها من جهالة ! يا لها من ضلال العدو ! ويلي ! أي عقاب هلاكٍ يهيّأ للخطأة العائشين في الاهمال . ومع هذا لا نخاف ، لا نرتعد ، بل نعدّ هذه الاقوال ثرثرة فارغة وننبسط بأهواء الجسد . هذا لأننا قد ارتبطنا بشهواتنا كبسلاسل حديديّة . ولا يجاهد أحد لكي

يتحرر منها ، بل ينشرح صدره وهو مقيد بها . يا لها من مكائد شريرة يحيكها الشيطان الخبيث ! كيف استطاع أن يظلم اذهاننا لكي نهتم بكل ما هو معاكس ونفضل ما يؤذينا على الخيرات المستقبلة .

تعالوا أيها الأخوة ! تعالوا أيها الآباء !، تعالوا يا عبيد المسيح ! لنهرع إلى تخشع القلب ،لنبك أمامه ليلاً نهاراً، لنتذكر تلك الساعة، لنبك بتخشع. لنتذكرَ كيف أن الصدّيقين سوف يشرقون كالشمس ، أما الخطأة فيحترقون . لنكتسب غيرة في الأعمال الصالحة . لنشدّد أنفسنا بمحبّة في مخافة الله لكي نحظى بالخيرات المستقبلة . تعالوا نسجد بتخشع قلب وبساطة . لأن الله صالح وشفوق وهو يخلّص التائبين . لنبتهل اليه اذاً لكي يدخلنا إلى ملكوته لانه يليق به المجد إلى الأبد . آمين .

عظة عن الصليب الكريم والمحيي

للقديس افرام

● **كيف نعيّدُ**

كل عيد ، كل عمل يقوم به الربُ يسوع المسيح خلاص وفخر لنا نحن المؤمنين . لكن الصليب فخرُ المفاخر كلّها .

أعظم الأعياد عيدُ الفصح حين ذُبح المسيح من أجل خلاصنا (١ كور ٥ : ٧) القائم من بين الاموات ، حمل الله الرافع خطيئة العالم (يوحنا ١ : ٢٩) . هذا العيد هو ملك الأعياد . الأعياد الاخرى مقدّسة وموقّرة ، لكنها تختلف في ما بينها في المجد وبهجة النور الإلهي .

وحده الذي يعيش بموجب وصايا الله يُكرّم هذا العيد ويوقّره . إن عادمي الطهارة والخطأة يبقون بعيداً عنه ، بل وعن الأعياد كلّها .

لكن العيد المفضّل والاكثر ارضاء لله هو التوبةُ مع دموع ، هو الابتعاد عن الخطايا ، معرفة الله وكذلك الرغبة في الخيرات الأبدية . حين يفعل ذلك كل واحد منا ، انذاك يكون فرح عظيم في السماوات (لو ١٥ : ٧) . تفرح الكنيسة وتدعو الصالحين كلّهم قائلة :

«هنيئاً لي لأن ولدي كان ميتاً من جراء خطاياه المختلفة فحصل على الحياة عن طريق التوبة»(لو ١٥ : ٢٤) .

اذاً : العيد الحسن والمرضيّ لله يكون حيث يعيّدُ معنا المسيح أي حيث تتمّ الخدمُ الكنسيّة ، حيث تتلى وتكرّمُ الكتبُ المقدّسة .

يعيّد المسيحُ مع الناس المجتمعين باسمه بمحبّة دون أية عداوة أو مراياة .

يعيّدُ المسيحُ مع الذين يكرّمون الله بواسطة التراتيل ، الصلوات بالتسابيع الروحية . يجتمع هؤلاء كلّهم باسمه . وقد وعدهم المسيح بانه سوف يكون في وسطهم (متى ١٨ : ٢٠) .

طوبى اذاً للذين يعيّدون بمثل هذه الطريقة حتى وان لم يكونوا كثيرين ، لأن السيّد في وسطهم ، فلا يتعرّضون لأي شرّ ولا يؤذيهم أحد .

لنكرّم اذاً أعياد الرب بهذه الطريقة وليس بروح عالميّ ، بل بما يفوق العالميّات . فلا نزينن أبوابنا ، بل لنهرب من الأغاني الصاخبة ، ولا نجمّلنّ وجوهنا ، ولا نلطّفنّ سمعنا بآلات الموسيقى ، ولانلبسنّ الألبسة الناعمة الفاخرة ، ولانستعملنّ الحلى الذهبية .

فلا تقضِ على عمل الله بسبب المآكل (رو ١٤ : ٢٠) . لاتضيِّع الليتورجيا الالهية من أجل بطنك الذي لايشبع مهتماً بتهيئة المآكل . كلنا صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساءً ، رهباناً وراهبات لنكرِّم أعياد الرب بتقوى ، بطريقة مسيحية كما تعلّمنا اي بالمزامير ، بالصلوات والتسابيح الروحية . (أفس ٥ : ١٩ كولسي ٣ : ١٦) .

لنزيّننّ أبوابنا كمسيحيين لايستخدمون أشياء يستخدمها اليهود والوثنيون . لقد زالت العادات القديمة وأزهرت الحقيقة كما يقول الرسول : «لقد زال القديم وها كلُ شيء قد أصبح جديداً»(٢ كور ٥ : ١٧) .

● **الصليب :**

لقد انتفت ضلالة الوثنيين . سُبِيت الجحيم ولم يعد فيها أسر . تحطَّمت قصور ضلالة الآلهة الكثيرة . تحرّر الانسان وملك الله . الحكم في ابتهاج والصليب سائد . تسجد له الامم كافة مع الشعوب ، القبائل والالسنة كلّها . نحن نفتخر بالصليب مع بولس المغبوط قائلين : «حاشا لنا ان نفتخر الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح» (غلا ٦ : ١٤) .

لذلك لنرسم الصليب المحيي على جبهتنا ، على عيوننا ، على فمنا ، على صدرنا وعلى أعضاء جسدنا كلّها . لنتسلح بسلاح المسيحيين غير المغلوب ، بل غالب الموت ، رجاء المؤمنين ، نور الكون الذي فتح الفردوس ، الذي حلّ الهرطقات ، تأييد الايمان القويم ، حارس المؤمنين العظيم ، فخر الكنيسة الخلاصي .

فلا تتركوا الصليب هذا ، أيها المسيحيون في أية ساعة ولحظة . لنحمله معنا في كل مكان ولانفعلن أي شيء بدونه . حين النوم ، حين القيام ، في العمل ، حين الطعام والشراب ، حين السير في البر والبحر . لنقوّ أعضاءنا كلّها بالصليب المحيي حسب قول المزمور : «لا أخشى من خوف ليلي ولا من سهم يطير في النهار ولا من اي شيء يسلك في الظلمة» .

ان كنت ياأخي ،تتخذ الصليب معونة لك فلن تقترب منك الشرور ولن تمسّ التجارب جسدك لأن القوات المضادة ترتعد وتنصرف لدى مشاهدتها اياه .

هو الذي قضى على ضلالة الاوثان ، الذي انار المسكونة ، أباد الظلمة وأعاد النور . جمع الصليب الكلّ من المغرب والشمال والجنوب والشرق وربطهم بالمحبة في كنيسة واحدة ، في ايمان واحد ، في مسيرة واحدة . أي فم ، أي لسان يستطيع كما يليق أن يمدح سور الارثوذكسيين غير المنثلم سلاح المسيح الملك العظيم الظافر ؟

الصليب قيامة الاموات ، مشدّد المعوقين ، عظمة الملوك ، جرأة الرهبان ، حراسة الفقراء .

هو الذي أقيم في وسط الكون ، غرس في مكان الجمجمة لكي تزهر حالاً كرمة الحياة . بواسطة هذا السلاح المقدّس عَبَرَ المسيح جوفَ الجحيم الكثير الشراهة وسدّ فم الشيطان الكثير الحيل الذي لايشبع .

لما شاهد الموت الصليب ارتعد وفرّ هارباً تاركاً كل الذين كان قابضاً عليهم أحراراً من عهد المجبول أوّلاً .

بالصليب تسلح الرسل المغبوطون وداسوا قوّة العدوّ جاذبين الامم كلها لكي يسجدوا له .

لقد اتخذ الشهداء جنود المسيح الصليب درعاً ، وتغلّبوا على مكائد الطغاة كلّها ، وكرزوا بالحقيقة بشجاعة .

هناك من حمل الصليب على كتفيه وازدرى العالم من أجل المسيح فسكن البرّية بفرح وابتهاج كبيرين . سكن الجبال ، المغاور وثقوب الأرض .

يا له من صلاح الله وعطفه ! كم من الصالحات أعطاها الصليب لجنس البشر ! لذلك ينبغي ان نمجّده نظراً لمحبته للبشر .

انتبهوا أيها الاحباء ، ياصحابة المسيح ، كم هي قدرة الله ، وكم هي انجازاته ، وكم من الخيرات أغدق على حياتنا هذا المدبّر الحسن لأنه بعد ان اعاد السلام لحياتنا أعطانا فرصة وسبيلا لكي نتمتع بالحياة الآتية الأبدية .

عظة عن المجيء الثاني

«وبينما كنت أرى .. فجلس القديم الايام ..
تخدمه ألوف ألوف ... فجلس أهل القضاء وفتحت الكتب»
(دانيال ٧ : ٩ ـ ١٠)

● **المجيء الثاني**

عند المجيء الثاني للمسيح يظهر الصليب الكريم أوّلاً لأنه علامة المسيح الملك العظيم ، علامة مكرّمة ومحيية ، وقورة ومقدّسة حسب كلام السيّد الذي قال : «حينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء» (متى ٢٤ : ٣٠) .

ينبغي اذاً ان يظهر الصليب أوّلاً في السماء مع مصفّ الملائكة كلّه في حين مجيء السيّد المسيح ، وأن ينير الأرض كلها من أقاصيها الى أقاصيها بلمع اكثر من ضوء الشمس . هذا ماينبغي أن يحصل في المستقبل. الامر يفوق كلّ قول ، كلّ فكر وكل معنى . الامر يُدهش كلّ سمع . كيف يمكن ، أيها الأخوة الأحباء في المسيح ، ان أروي لكم كل ذلك ؟

تذكرت تلك الساعة فارتعدت ، وأردت ان أتوقف عن الكلام بسبب خوفي الكثير ، لكن كيف يتذكر الواحد ما سوف يتراءى فيها وراء الصليب المحيي وينوي روايته ؟ من يتجاسر على وصفه ؟ أي فم يمكن ان يتفوه بذلك ؟ أي لسان يتكلم

(*) أنظر أيضاً متى ٢٤ : ٣١ ١ كور ١٥ : ٥٢

به أم أي صوت يمكنه ان يعرضه ؟ أيُّ سمع يمكن ان يتقبّله ؟ لأنه عندما تتزعزع قوات السماوات (لو ٢١ : ٢٦) من الذي لايتزعزع ؟ من الذي لايخاف ويرتعد ولايختبىء في تلك الساعة حين ينهض ملك الملوك من مجده وينزل لكي يزور المسكونة كلها ويتكلم مع عبيده ، ويجازي المستحقين ، ويعاقب غير المستحقين لانه عادل ؟

هذه كلها عندما أتذكرها يعتريني الخوف وتُشَلُّ أعضائي كلُّها . تدمع عيوني من الخوف . ينطفىء صوتي . تتجلّد يداي . يلتصق لساني بحلقي ويتوقف تفكيري . لكن رغبتي في إفادتكم تضطرّني الى الكلام . هذه الرغبة تتملّكني وتدفعني ان أصمت لأن الخوف كبير جداً . لأن مثل هذه الاشياء الكبيرة والمخيفة لم تحصل منذ إنشاء العالم ولن تحصل في الاجيال كلها .

● صوت البوق

كما يحصل الآن في كثير من الاحيان حين يلمع برق مفاجىء أو رعدة قويّة يخاف الناس كلّهم وللحال ينكبّ الوجهُ الى الأرض . ان كانت مثل هذه الأشياء الصغيرة تخيفنا فكم بالأحرى صوت البوق الرهيب (١ تسا ٤ : ١٦) الذي سوف يدوّي في السماء اكثر من كل رعد ويقيم المائتين منذ الدهر كلهم ، الصالحين منهم وغير الصالحين . حينئذ في وسط الجحيم سوف تسمع عظامُ البشر صوت البوق فتتحرّك كلّها بسرعة ، وينتظم كلُ واحد في الحالة التي كان فيها حين أتى الى الحياة .

اذاً حين نرى الناس كلّهم فجأة واقفين ، وراكضين ومن كل أقاصي الأرض نحو المحكمة فمن يستطيع ان يهربَ من الرعدة الرهيبة والخوف ؟ فان الملك العظيم الذي يسود الانسانية كلّها ما ان يأمر حتى تُخرج الأرض أمواتها والجحيم أيضاً أمواتها (رؤيا ٢٠ : ١٣) وكذلك كل من ابتلعته الوحوش ، والاسماك في البحر او الطيور الكاسرة ، كل ذلك مثل البرق(متى ٢٤ : ٢٧) يظهر وشعرة واحدة من رؤوسهم لن تسقط .

● النهر الناري

أيها الاخوة ! من يستطيع ان يحتمل رؤية النهر الناري (دانيال ٧ : ٩) كمثل بحر متوحّش يبتلع الجبال والسهول ويحرق المسكونة كلّها مع جميع أعمالها ؟ حينئذ من تلك النار تتلاشى الانهار وتختفي ينابيع المياه ، ينشف البحر ، تسقط النجوم من السماء ، تظلم الشمس ، والقمر يتحوّل الى دم ، وتلتفّ السماء كالدرج . (رؤيا ٦ : ١٤) .

حين نرى ، أيها الاخوة ، الملائكة المرسَلين يركضون بسرعة ليجمعوا عبيد الله الصالحين من أقاصي الأرض الى أقاصيها ، حين نرى سماء جديدة وأرضاً جديدة (٢ بطر ٣ : ١٣) ، حين نرى العرش الرهيب يتهيّأ وابن الانسان المسيح يظهر في السماء والصليب المحيي ينير أقطار الأرض . فسوف يرى الكل في العلاء هذا الصولجان الملكي ، وحينئذ يدركون ان ملك الملوك يطلّ من ورائه .

في تلك الساعة إن تذكّر احدهم أية طريقة سوف يلتقي بها القاضي ، ان تفكّر بخطاياه ، فسوف يقف عرياناً مكشوف الرأس منتظراً اصدار الحكم .

حين يشاهد كل انسان اعماله مكشوفة أمامه حسنة كانت أم سيّئة ، عندئذ يقف بعزم السالكون الطريق الضيّق المحزن ، وجميع الرحماء ومحبّو الغرباء منتظرين بفرح كبير الرجاء المغبوط ، ظهور الاله العظيم مخلصنا يسوع المسيح (تيطس ٢ : ١٣) الذي سوف يأتي لكي يفرّح المجاهدين في الاسهار ، في الصلوات ، في الأصوام وأعمال الرحمة . سوف يأتي ليفرّح المحزونين ، ليفرّح ويرفع الفقراء من اجل اسمه ، الذين لم يحبّوا العالم ومغرياته ، وكذلك الذين تركوا كل شيء وأحبوه وحده (٢ تيمو ٤ : ٨) وتبعوه .

● مثل البرق

سوف يأتي لا من الأرض ، بل من السماء مثل البرق (متى ٢٤ : ٢٧) عندئذ سوف يسمع صوت عظيم يقول : هاهو ذا العريس يأتي ، هو ذا القاضي

يصل ، هو ذا الحاكم يظهر ، هو ذا إله الكل يجيء ليدين السكونة كلها ويجازي كل واحد حسب أعماله (متى ١٦ : ١٧ ورو٢ : ٦ ورؤيا ٢٢ : ١٢) .

عندئذ ، أيها الأخوة الأحباء ، من ذلك الصوت سوف ترتعد أحشاء الأرض من أقصى الأرض الى أقصاها مع البحر والاودية .

عندئذ يعتري الناس خوف وشدّة من ذلك الصوت ومن لحن البوق اللذين سوف يدوّيان في العالم كلّه .

عندئذ قوّات السماوات ستتحوّل من اساساتها ، يركض جنود الملائكة في الامام ، وتستعدّ اجواق الشاروبيم والسارافيم ، الذين يصرخون عالياً : «قدوس ، قدوّس قدوس الكائن الذي كان وسيأتي الضابط الكلّ» (رؤيا ١ : ٨) .

عندئذ كل خليقة في السماء وعلى الأرض وفي جوف الأرض بصوت قويّ تهتف : «مبارك الملك الآتي باسم الرب» (متى ٢١ : ٩) .

عندئذ تتمزّق السماوات ويظهر ملك الملوك واولئك الذين عذّبوه وسوف تبكي عليه قبائل الامم كافة (رؤ ١ : ٧ و١٧ : ١٤ و ١٩ : ١٦) .

● **رؤية الله**

عندئذ تهرب السماء والأرض كما أنبأ يوحنا : «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء»(رؤيا ٢٠ : ١١) .

عندئذ سيجلس على عرش مجده كما سبق فقال وستجتمع امامه أمم الأرض كلّها . أي نفس يمكنها ان تحتمل كل ما سوف يحصل عندما توضع العروش ويقام القضاء وتفتح الكتب ؟ (رؤيا ٢٠ : ١٢) .

عندئذ سوف نرى قوات الملائكة الكثيرة العدد تقف حول العرش بخوف . سوف تقرأ أعمال كل انسان امام الله وأمام الناس كلّهم . فتتحقق نبوّة دانيال القائلة :

«بينما كنت أنا دانيال أرى اذ نُصبت عروش فجلس القديم الايام وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته ناراً مضطرمة ومن امامه يجري ويخرج نهر من نار وتخدمه ألوف الوف وتقف بين يديه ربوات ربوات . فجلس أهل القضاء وفتحت الكتب» .
(دانيال ٧ : ٩ ـ ١٠)

● الدينونة

يا أخوة ! سوف يعتري الناس خوف شديد في تلك الساعة وذلك عندما تظهر أعمالهم مكتوبة . كل مافعلناه في هذه الحياة واعتقدنا انه قد غاب عن وجه الله الذي يفحص القلوب والكلى أي كل شيء ، هو كلّه مسجل : الافعال والافكار ، خطايا كانت أم فضائل .

● الاعتراف

كم من الدموع نحن بحاجة اليها في تلك الساعة الرهيبة ونحن نتهاون ؟ فإنه فقط عن طريق الاعتراف والدموع يستطيع الانسان ان يمحو جرائمه المدوّنة في تلك الكتب . كم علينا ان نتنهد ، ان تدمع عيوننا بحسرة في تلك الساعة عندما ترى أعيننا ملكوت السماوات الذي لا يوصف ؟

حينما نرى بوضوح أمكنة الوان الهلاك الرهيبة* وفي وسطها الناس كلّهم من آدم أوّل الجبلة حتى المولود الأخير يخرّون ساجدين ، انئذ يتحقق ماهو مكتوب : «حيّ انا يقول الرب : لأنه سوف تسجد لي كل ركبة في السماوات وعلى الأرض

(*) هي حالات وليست أمكنة مادية بالمعنى الحرفي للكلمة .

وماتحت الأرض ، كل لسان سوف يعترف بي» (رو ١٤ : ١١ وفيل ٢ : ٩ ـ ١٠ واش ٤٥ : ٢٣) .

عندئذ أيها الاخوة الاحباء تقف الانسانية كلّها بين الملكوت والقضاء ، بين الحياة والموت ، بين الفرح والعوز ، سوف يتطلعون كلّهم الى أسفل . سنقف حول المنبر الرهيب نسأل ، ونُفحص بدقة كبيرة وبخاصة منا اولئك الذين عاشوا في الاهمال .

عندما يرى الناس كل ذلك ، ويتذكرون أعمالهم ويبوحون بها أمام الله ، حينئذ اولئك الذين لم يتوبوا خلال حياتهم سوف يبكون قائلين : لماذا نحن الاشقياء لم نتعب قليلاً بل أضعنا وقتنا في اللعب ؟ لماذا لم نسهرْ ونساعد الفقراء ، لماذا كرهنا أخانا ، وتشبّثنا بالجسد ؟ نعم لقد فعلنا كل ذلك ، ولكن لماذا لم نتب طالما كان لنا وقت للتوبة ؟ بل ضحكنا وتسلّينا وصرفنا عمرنا بلا معنى ؟ ماذا نفعل الآن وقد جاءت الساعة الرهيبة ؟ سمعنا عنها من الناس اخوتنا واستهزأنا بكلامهم . ماذا نعمل الآن نحن الاشقياء عندما تفتح كتب أعمالنا ونُحاكم على كل شيء ؟

وبينما يفتكر عديمو التوبة هكذا ، يسمعون صوت الرب الرهيب قائلاً : «أروا أعمالكم لكي تنالوا أجركم» .

في تلك الساعة سوف تتزعزع مراتب البشر كلّها: رؤساء الكهنة ، الكهنة ، الشمامسة . أوّلاً هؤلاء ثم تأتي بقية المراتب اي من الأكبر حتى أصغر واحد كما قيل : «كل واحد سوف يرفع الى مرتبته لكي يعطي مجداً لله» .

عندئذ يرتعد خوفاً الحكام والحكماء والاغنياء لأن الساعة قد أتت لكي يظهر عمل كل واحد امام الله والناس وسوف يحصد كل واحد ما قد زرع خلال حياته هذه (غلا ٦ : ٧) .

الويل لنا ايها الأخوة . أريد ان اقول ما سوف يحدث بعدها لكن الخوف يمنعني من ذلك . تنهمر دموعي ويغمى علي لأن روايته رهيبة .

عندئذ ، ياأحبائي ، سوف يفحص الختم ، الختم المسيحي أي حياة كل مسيحي تلك التي اخذها من الكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية الرسولية بواسطة المعمودية . يفحص كل واحد ان كان قد حفظ الايمان طاهراً والختم غير مشوّه ، والجسد غير ملطخ والاعتراف الحسن الذي جاهرنا به امام اناس كثيرين وهو التالي :

«أرفض الشيطان وكل أعماله»

أسمعتم ذلك ، أيها الأخوة ؟ لا عملاً واحداً رفضتم ، أو اثنين أو خمسة بل أعمال الشيطان كلّها ، هذا العدوّ الكبير . في تلك الساعة ، اذاً ، يفحص ان كنّا حافظنا على هذا الرفض الكامل ؛ فطوبى للذي حافظ عليه حسب وعده .

لقد رفضتَ بكلمة واحدة كل عمل شيطاني قبيح ، كل خطيئة اي الزنى ، الدعارة ، القتل ، عدم الطهارة ، الكذب ، الحسد ، السرقة ، الغضب ، الكراهية ، العداوة ، الخصام ، الثرثرة ، التكبّر ، الضحك ، الموسيقى والأغاني المطربة ، الترف ، وقبل كل شيء الوثنية والسحر أي الالتصاق بالارواح الشريرة والقوات المظلمة اللامادية الأخرى .

لقد رفض المسيحي هذه الشرور كلّها لما نال المعمودية في البركة[1] المقدّسة . أودّ ان أتابع لكن الخوف يعتريني مصحوباً بوجع . انما أقولها بتنهّد ودموع لأنها رهيبة ولايستطيع أحد ان يرويها بدون دموع وتنهّد .

عندئذ سوف يجد الواحد نفسه امام الملائكة والناس وتنتفي كل سلطة . يسقط اعداء الله على اقدامهم . حينئذ يقول الرب : «يميّز بعضهم من بعض كما

---

(١) في ايام افرام ، المعمودية بالتغطيس في بركة .

يميّز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار»(متى ٢٥ : ٣٢-٣٣) أي الذين أثمروا ثماراً جيّدة ، الناس الصالحين الذين عرفوا الراعي الصالح ، وحافظوا على ختمه غير مشوّه ، وتبعوا راعيهم الذي قال : تعالوا ورائي يا من لم تدنسوا الايمان مع الهراطقة . سوف يضع اولئك الخراف عن يمينه ، اما الجداء غير المثمرين الذين لم يرضوا راعيهم ، بل جلسوا مع الهراطقة ودنّسوا الايمان المقدّس ، الذين ساروا سيرة غير لائقة فعاشوا في تنعّم الحياة ، ورقصوا ومارسوا شرور الحياة ، وخرجوا عن القانون الموضوع ، وتغرّبوا عن كل عمل صالح فامتلأوا من كل خطيئة : كل ذلك يراه الرب في تلك الساعة ، فيصرف نظره عن هؤلاء الناس .

عندئذ يقول للجالسين عن يمينه : «تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم . تعالوا ياأبناء النور ، تعالوا ياوارثي ملكوتي . تعالوا أنتم الذين جعتم وعطشتم من أجلي ولم تحبّوا العالم وما في العالم . تعالوا يا من تركتم العالم وأهلكم وأصدقاءكم .. تعالوا يا من سلكتم البراري والجبال والمغاور وثقوب الأرض (عب١١ : ٣٨) ، اسكنوا الآن مع الملائكة في السماوات» .

وكذلك يقول للذين عن يساره : «اذهبوا عني أيها الملاعين والمحتقرين لانكم لم ترحموا ، بل ازدريتم الاخوة والمسيح . لم ترحموا الفقراء ، لذلك لن ترحموا . لم تريدوا سماع أقوال الانجيل وتلاميذي لذا لن أسمعكم . لقد عشتم في الخلاعة وتمتعتم بملذات الحياة ، بينما انا أنادي في كل يوم عبر الكتب المقدّسة . سمعتم كل ذلك وضحكتم وانا اذكركم به . لذلك أقول لكم الآن : لا أعرفكم . اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية التي أعدّت للشيطان وملائكته» . فيذهب هؤلاء الى الهلاك الابدي» (متى ٢٥ : ٤٦) .

● **أمكنة العذاب :**

الآن سوف اكشف لكم ، يا اخوتي . عن أمكنة العذاب المختلفة كما يصفها الانجيل : هناك الظلمة الخارجية (متى ٨ : ١٢) . هناك جهنم النار (متى

٥ : ٢٢) ، وهناك صريف الاسنان المختلف عن الاوّل . هناك الدود الذي لا يموت (مر ٩ : ٤٤) ، وهناك النهر الناري (دا ٧ : ٩) . يوزع الخطأة على أماكن العذاب هذه المختلفة : كل واحد حسب فداحة وكمية خطاياه .

كما يوجد خطايا مختلفة ، هناك أيضاً عقوبات مختلفة اي ان الزاني يعاقب بصورة تختلف عن القاتل والسارق والسكير .

كل من وقع في هرطقة ما سوف يسمع الأمر الرهيب : ليرم الجاحد خارجاً لكيلا يرى مجد الرب . كل ذي عداوة لم يسامح خلال حياته سوف يهلك حتماً . سوف يُرسَل الكارهون اخوتهم الى الظلمة الخارجية لأنهم عندما يكرهون أخاهم يكرهون المسيح الذي قال : أحبّوا بعضكم بعضاً واغفروا بعضكم لبعض زلاتهم (يو ١٣ : ٣٤ ومتى ٦ : ١٤ ـ ١٥) .

الويل لمحبي الزنى والسكر ، الويل للسحرة ، للذين يتعاطون المندل ومناجاة الارواح ، للذين يلتذوّن بالخمرة وبالرقص والموسيقى المطربة ، الويل للذين يستهزئون بالكتب المقدّسة .

الويل للذين يضيعون زمن التوبة باللعب والضحك فهم باطلا سيطلبون ما أضاعوا ، فلن يجدوه . سيصرخون بدموع وتنهدات دون أن يجدوا عطفاً . الويل للذين يخطفون أموال الغير ! ولكي اختصر كلامي : الويل للذين سوف يكونون الى اليسار لأنهم سوف يغمى عليهم ويرتعدون ويصرفون على اسنانهم عندما يسمعون هذه العبارة : «لا أعرفكم» . عندها سوف يطردون من المنبر الرهيب ويسلّمون بخوف كبير الى يدي الموت لكي يرعاهم (مز ٤٨ : ١٥) .

ان ذكر مثل هذه الساعة الرهيبة هو حقاً مخيف . من يستطيع ان يتكلم عنها ؟ ان شئتم ان تسكبوا دموعاً فتعالوا اسمعوا ما ينتظرنا في ذلك اليوم العظيم .

سوف ينفصل الاساقفة عن أخوتهم الاساقفة ، والكهنة عن اخوتهم الكهنة ، والشمامسة عن الشمامسة الآخرين . . سينفصل الملوك عن بعضهم بعضاً ويبكون كالاطفال ويقفون كالحيوانات . سوف يرتعد حكام الشعوب ويفتشون هنا وهناك دون ان يروا عوناً ، لأن الغنى يتلاشى وكذلك الممالقات . عندئذ يفصل الرهبان العائشون في الكسل ، لأنهم ابتعدوا عن العالم ولم يفكّروا الّا عالمياً . عندئذ سوف يفصل الأهل عن الاولاد والأصدقاء عن بعضهم بعضاً والاقارب كذلك . سوف ينفصل الازواج الذين لم يحفظوا مضجعهم طاهرا (عب ١٣ : ٤) .

يعتريني الخوف عند رواية كل هذا ، فأتوقّف . . حينئذ وهم مطرودون ، مضروبون مدفوعون من قبل ملائكة متشددين ، سوف يصرفون على أسنانهم وينتقلون الى الوراء بعد اقترابهم من ذلك المكان الرهيب حيث يرمى كل واحد في مكان عذابه . عندئذ سوف يشاهدون القرار النهائي ، لانه لن يبقى من احد يتوسّل من أجلهم . ولن يكون لهم رجاء في العودة . لذا يبكون ويضربون قائلين :

كم من الوقت خسرنا لاننا عشنا في الكسل والاهمال ؟ كم ضحك منا هذا العيش الباطل! بينما شاهدنا الآخرين يجاهدون الجهاد الحسن رفضنا نحن الجهاد ،كنا نسمع قراءة الكتب المقدّسة ونستهزىء بها. هناك كلّمنا الله بواسطة الكتب فلم نُعِرها اي اهتمام . الآن نحن نصرخ وهو يصرف وجهه عنا .

ماذا أفادتنا ملذات العالم وتمتعاته ؟ أين هو الأب ، أين هي الامّ اللذان ولدانا ؟ أين هم الاولاد والأصدقاء والغنى ؟ أين الملذات والموائد الفاخرة ؟ أين الاهل والأصدقاء ، الملوك والحكام ، أين الحكماء والمعلّمون؟ من كل ذلك لم نجتنِ نحن الاشقياء أية فائدة .

عندئذ نرى هجر الله والقديسين لنا فنقول : افرحوا أيها الأصدقاء والاقارب أيها الآباء والامهات ، الاولاد والبنات . افرحوا أيها الرسل والشهداء والأنبياء . افرحي يا طغمة الرهبان . افرحي أنت يا والدة الاله السيدة التي توسطت كثيراً من أجل خلاصنا . لكن نحن لم نرد ان نتوب ونخلص . افرح أيها الصليب الكريم المحيي . افرح يا فردوس الفرح الذي خلقه الرب . افرحي ، ياأورشليم السماوية امّ الابكار التي لانهاية لها . افرحي يا ملكة السماوات افرحوا كلكم معاً لاننا ذاهبون الى العذاب الابدي الذي هو بلا عزاء .

إذاً : كل واحد يذهب الى المكان الذي أعدّه بنفسه لنفسه .
ولم يرد ان يتوب وينجو من ذلك الغضب . أسمعتم ، أيها الأخوة ، ماذا ينبغي ان يرث الذين تعبوا وجاهدوا في الحياة الحاضرة ، وكيف سيطرد الى الهلاك الرهيب الذين تهاونوا ولم يتوبوا ؟ سمعتم عن تلك الساعة وذلك اليوم الرهيب .

ان الكتاب المقدّس ، من مشرق الشمس حتى مغاربها ، يهتف بصورة مستمرّة فيقول بواسطة الكنيسة : تعالوا ايها المتعبون والثقيلو الاحمال وانا أريحكم» (متى ١١ : ٢٨) . وأيضاً «أنا هو الحياة والقيامة والحق» (يوحنا ١١ : ٢٥ و١٤ : ٦) .

فلنحب أيها الأخوة ، هذا الطريق وتلك الحقيقة لكي نرث الحياة الابدية بمعونة المسيح ربنا وإلهنا لانه يليق به المجد والاكرام والسجود مع أبيه الذي لابدء له وروحه الكلي قدسة الصالح والمحيي الآن وكل اوان والى دهر الداهرين . آمين .

الميمر الاوّل

رسالة الى يوحنا الراهب في الصبر ، وعدم الانخداع بفكر ابتغاء السياحة ، وفي العفة .

للقديس افرام

● ضرورة المشورة :

لقد وعظنا ثيوذورس التقي عظاتٍ عديدة كيلا ينتقل من موضعه فلم نتمكن من إقناعه ، بل قال : إن آثرتَ ان تعينني وتكون مخلّصَ نفسي بعد الله ، فأرسلني الى ديرك . فأجبته : إني فوضت الاهتمام بالدير الى الأخ يوحنا ، ولايمكنني ان آمر أحداً بالسكن فيه بدون رأيه . فقد فعلت فعلاً حيداً بقبولك الاخ الآتي ذكره . لأنه حين عاد الينا اخبرنا بالعطف الذي حبوه به . فإنه ينبغي ان يكون أمثال هؤلاء مُكرّمين لديك ، هؤلاء الذين أحبّوا الرب اكثر من الأب ، والام ، والاخوة ، والأخوات ، والزوجة ، والاولاد ، والأنسباء ، والأصدقاء . فلقد صنعتَ حسناً اذ جعلت نفسك قدوة في الأعمال الحسنة ، ولا سيما أنك صرتَ مثالاً للاخوة والساكنين معك على غرار مافعل المسيح حين أصعد تلاميذه الى سموّ التواضع ، فقال : «لأني أعطيتكم قدوة حتى انكم كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (يو ١٣ : ١٥) ، لكي يُقنع الفعلُ الذين لا يقنعهم القول . والقديس بولس الرسول يعظنا قائلاً : «فاسألكم ان تقتدوا بي كما أقتدي

أنا بالمسيح» (١كور ٤ : ١٦) . فلا تتهاونوا أنتم في الخدمة الروحية . ولا تتقاعسوا عن صلواتكم لعلة الاهتمام بالحاجات الجسدية . فإن أقوال الرب اذا دُرست ورنمت دائماً تغذي النفس وتحفظها . تقوّي الجسد وتؤدبه وتطرد الشياطين ، وتهزمهم وتجعل في النفس سكينة عظيمة .

أمّا للذين بدأوا بأعمال تفوق طاقتهم فسقطوا في معاطب لانهاية لها ، أريد ان أذكر كلمات الرسول بولس : «أوصي كل من فيكم ان لايسمو بعقله فوق ماينبغي ، بل ان يتعقل تعقل الحكمة» (رو ١٢ : ٣) . ولم يسمعوا للحكيم القائل : «لا تكن صدّيقاً بافراط ولا تكن حكيماً فوق ما ينبغي» (جا ٧ : ١٧) . لأنه اتفق في هذه الايام ان قوماً من الاخوة غادروا قلاليهم ومضوا الى الأرض الجرداء التي لا ماء فيها ولا ثمر لها ، فزجّوا أنفسهم فيها . مع ان الآباء والأخوة وعظوهم عظات كثيرة فلم يذعنوا لرأيهم بل قالوا : نحن سنكون سواحاً . فلما انطلقوا الى البريّة الجرداء جداً ووعوا أنهم مقصورون على الأرض غير المسلوكة طفقوا يستصعبون الأمر جداً .

ثم حاولوا ان يعودوا الى الأرض المسكونة فلم يستطيعوا الخروج من البريّة القاسية جداً لأن وجودهم في داخلها لم يكن بالأمر الهين . فتضايقوا اذ ذاك بسبب عدم الأكل وبسبب العطش والحرّ واستلقوا على قفيّهم والنفس ذابلة .

وكان تدبير من العناية الآلهية ان صادفهم قوم في حالة النزاع فاركبوهم دوابهم وأتوا بهم الى الأمكنة الآهلة . فتوفيت طائفة منهم وأكل الطير والوحوش أجسامهم . والذين نجوا لبثوا مريضين مدة طويلة . وعند ذلك أدركوا بالخبرة ان عليهم ألّا يعملوا شيئاً بدون استشارة .

فكثيرون اذاً اقتادهم فكر العظمة فذهبوا الى أرض قفر وسببوا لأنفسهم موتاً قسرياً . وآخرون لم يؤثروا ان يخدموا مشابهيهم في النفس فسقطوا في هذا العطب . وآخرون لم يرضوا بأن يعملوا بأيديهم فأصابهم العطب . وكذلك

آخرون اذ هزىء بهم فكر الارتضاء بالذات وسمحوا بالمجد الباطل ورغبوا في اقتناص اطراءات السامعين على صيرورتهم سواحاً لم يفتكروا في الاتعاب التي تدهمهم ، فألقوا بأنفسهم في هذه المعاطب نفسها .

فالآن ينبغي ، ايها الحبيب ، **ان لا ننقاد لافكارنا بدون تمييز**[1] . فاننا نحتاج كثيراً الى ان يعرف كل منّا امكانياته وان يتضع لقريبه بمحبة الله . واذا شعر أحد انه قد أتقن الفضيلة وضبط الهوى وسيطر على الشهوات فلا يثق هذا بذاته لئلا ينطبق عليه القول المكتوب :

«ان الملك الجسور يسقط في المساوىء وملاك النور ينجيّه»[2] .

● **في التواضع :**

ربما يعترض أحدكم من الآباء قد اتقنوا هذه الفضيلة في البرية ؟ فيلزم ان نوضح لكم هذه الشهادة من أخبار سير الآباء القديسين وكيف أنهم لم يعملوا شيئاً ماعبثاً وجزافاً . فقد روي عن **مكاريوس الراهب** انه قال :

بينما كنت جالساً في حجرتي بالاسقيط باغتتني الأفكار قائلة : إمض الى داخل البرية ، وافهم ماذا تعاين هناك . فلبثت محارباً هذا الفكر مدة خمس سنين خاشياً من ان يكون من الشياطين .

---

(١) في «بستان الرهبان» قصص مماثلة . وكذلك في «السلم الى الله» . في اقوال الشيوخ جاء : «ان رأيت شابا يصعد الى السماء بمطلق ارادته الذاتية ، فامسك برجله وألقه على الارض ، لان ذلك بلاقيمة له » . وفي اقوالهم طعن كثير في الارادة الخاصة . فالخضوع للشيوخ الحكماء الفطناء المحنكين المختبرين ضرورة ملّحة لامفر منها للراغبين في السلوك المتزن . وروى كاسيانوس عن الشيخ يوحنا اللذي كان راعياً لدير كبير وجمهرة من الاخوة انه قال في اواخره للاخوة وهو يئنّ : «لم أصنع قط ارادتي الخاصة ، ولم اعلّم احداً مالم افعله اولاً (S.C.n.109, p 237 وأقوال الشيوخ ٥ في مين ٦٥ : ٢٤٥ . وانظر سيسوي ٤٥) .

(٢)افرام يميل مثل باسيليوس والسلمي الى الدير المشترك .

فتأمل فهم الرجل ! انه لم ينقد ولم يتبع الفكر ، بل لبث يمحّصه صائماً ساهراً ومصليا ليعرف أهو من الشياطين أم لا ؟ فنحن اذا خطر لنا الفكر ونحن مقيمون ننفر ونستوحش . وليس فقط أننا لانفحصه مصلين بتوجع ، بل اذا وعظنا آخرون لا نقتنع ولا نخضع لرأيهم ، لذلك يسبينا المعاند بسهولة . ثم انه لما توطد الفكر واستمر لدى الراهب مكاريوس خرج الى البرية فصادف هناك بحيرة ماء في وسطها جزيرة . أتت نعام البرية لتشرب منها . رأى وسطها رجلين عاريين . وبعد ان فاوض بعضهم بعضاً قال لهما مكاريوس الراهب :

كيف يمكنني ان أصير راهباً ؟ فقالا له : ان لم يزهد أحد في العالم وأشياء العالم كلها متجرداً منها لا يستطيع ان يكون راهباً . فقال لهما :

«أنا ضعيف ولا استطيع ان اكون مثلكما» فقالا له : ان لم يمكنك ان تكون مثلنا فأقم في قلايتك وابك على خطاياك . يالعظمة تواضع الانسان الالهي ويالسمو فهم النفس الخاشعة . لم يجعل نفسه مستحقاً للأمر ، بل قال لهما : أنا ضعيف ولا أستطيع ان أكون مثلكما . فنحن لم يقم في وجهنا اضطهاد ولا اضطهدنا أحد ونسلك في التهجم والاعتداد بالنفس منذ مبادىء سيرتنا . ونبدأ بأفعال تفوق طاقاتنا كمجرِّبين للرب الاله ، الأمر لمخيف جداً . الويل للانسان المتوكل على قوته ونسكه وعلى ذكائه دون أن يكون اتكاله على الله لان منه وحده العزّة والقوة .

اذا فحصنا سيرة القديس انطونيوس الراهب نجده صانعاً كل أفعاله باعلان الهي . ألم يقم في دير ، ألم يحتج الى ملابس ، ألم يأكل خبزاً ، ألم يعمل بيديه ، ألم يكن له تلاميذ كفنوه ودفنوه عند موته ؟ وليس انطونيوس المغبوط وحده الذي سار هذه السيرة بل سائر الآباء الذين تمم الله بواسطتهم آيات وأشفية . لأنهم كانوا كالمصابيح البهية مشرقين بالفضائل . فلنقتف نحن ياأحبائي سيرتهم ومذهبهم ولنسلك في الطريق الملوكية غير حائدين الى ميامنها أو الى مياسرها . فلنثابر على السكوت ، والصوم ، والسهر ، والصلاة ، والدموع ، والصلوات الجامعة ، وعمل اليد ، ومخاطبة الآباء القديسين ، واطاعة الحق ، والاستماع الى الكتب الالهية لئلا يتحوّل فكرنا الى ارض بور تنبت فيها الأهواء .

ولنهيء أنفسنا لنستحق تناول الاسرار المقدسة الطاهرة، لكي ننقي أنفسنا من الافكار الدنسة المتولدة فيها ويسكن الرب فينا فينقذنا من الخبث. وقبل هذه كلّها، فلنحفظ المحبة الصادقة بعضنا لبعض وللجميع. فبسبب القريب ننال الحظ الشرير والحظ الصالح. لان القائل صادق هو: «انكم كلما فعلتم ذلك بأحد اخوتي الصغار فبي فعلتموه» (متى ٢٥ : ٤٠). وقد قال يسوع للذين لارحمة لديهم: «انكم كلما لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه» (متى ٢٥ : ٤٥).

كان القدماء يذبحون عجولاً وكباشاً وخرافاً لاعيب فيها ونقية ويقدمونها ضحية. فلنقرب نحن جسدنا للرب بالروح القدس (رو ١٢ : ١) ولانَصمْه بالافعال المحظورة ولاندنسه بفكر ما لئلا تكون ضحيتنا غير مقبولة. أمّا الحال التي يجب ان نقتني بها القداسة فهي حال الذين لهم عقل العين المستيقظة وذكر الله الذي تضيء أشعته كل قلب.

● في العفّة:

أما العاجزون عن التمسك بهذا الفكر فيحتاجون الى النماذج والرسوم ليقتنوا أثر هذه الفضيلة ويتقنوها. فليكن رسمنا مثل هذا: ان الذين يتسابقون في الحرب التي تنشب في العالم، ترسم لهم صور على الحيطان والالواح تمثل فيها رواية الحرب كيف ان بعضهم استشهدوا وبعضهم وقعوا جرحى، وكيف ان قوماً قد هربوا ويلحق بهم قوم يمتشقون سيوفهم ويحصدون مصارعيهم كحصاد السنابل. وهذه الاشياء تصنع ليتمثل بها الصائرون اليها فيما بعد ولذكر فضل السابقين بالنسبة الى من بارزهم في الحرب. وقد رسم كثيرون جهاد القديسين في هياكل الصلوات [٣] ليقتدي به متوطد القلب وليتفرج عليه الناظرون اليه. وبما ان سيرتنا مزمعة ان تكتب وتصور وتنصب على علوّ شاهق ليعاينها الجميع فاحرصوا بل فلنحرص على ان نتقن الفضيلة لئلا يرسم في ايقونتنا شيء مزموم وغير ملائم. فإنه مستقبح بالحقيقة ان يبصر الواحد في ايقونة رجلاً يكلم امرأة عاهرة.

(٣) الايقونات كانت تزين الكنائس في ايام افرام.

ولا سيما اذا كان من المظنون فيهم أنهم لابسو التدبير الحسن . فان كان ذكر مع ذكر على رأي القائل ذكورهم يعملون الفحشاء بذكور ، فمن ، ياترى : يجرأ على معاينة تلك الايقونة . لانه يجب ان يهرب المرء من المنظر . فاننا نعلم يقيناً ان عذاباً لا يحتمل سيحل بمن يوجد في مثل هذا الهوان . فلنهتم بان نجعل وضع الرواية التي تصف أخبارنا ، واتقانها حسنين وممدوحين يستنهضان من ينظر جمالها الى اتقان الصالحات . فلا يصور فيها شيء رديء النوع ولانوع لايمت الى الفضيلة بصلة لأن الرواية المتعلقة بأهل صادوم ماثلة مثولاً لايضمحل تخبر بكيفية إحاطة اولئك المتكالبين على الشهوة بمنزل لوط الصدّيق الى ان ضربوا بالعمى ، واحترقوا بالمطر الناري ، وصاروا رماداً هم وأرضهم التي ارتكبوا عليها الفحشاء (تك ١٩) . فهذه الرواية ، كايقونة ، توعب خوفاً . وضعها الأله خالقنا في ضمير كل واحد منّا حتى اذا مانظرنا الى مثل ذلك المثال الرادع نرتدع عن الافعال الطالحة . فاما الذين يغمضون عيونهم عن تلك الرواية التي اقامت لنا عظة فاولئك يسقطون بسهولة في هوّة اللذات .

فأنت ، اذاً ، ليكن ناظر ذهنك مقترناً بمثل هذه المعاينة لكي تصدم بالخوف الأهواء النجسة وتجعل الأهواء المضطرمة تبتلع بانتظار السخط عليها لان من يتصور ذلك الرجل الذي يبعثه الله لايجزع . وينقبض ذهنه ان لم يكن يستعمل هذه المعاينة بهذيذ قلب رائد .

اما انا المتواني فاني لما نصبت في ذهني تلك الرواية تنهدت ووضعت رأسي بين ركبتي لما تصورت جزي تلك النار والأرض نفسها مضطرمة ومملوءة جميعها كبريتاً ودخانا وقاطنوها قد ذابوا كالشمع . ترى اما تستطيع نماذج وحوادث المصابين في الماضي ان تحرّك النفس الصخرية وتذيبها وتلينها ؟ فلنتفرس باستمرار في هذه الرواية منذ الآن . بل فلنتأملها بغير فتور لكي نهرب ونفلت من اختبار النقهات الآتي ذكرها بواسطة الحرص على الاشياء المفضلة . لأن التواني ينشيء عدم الخشية ومنها كليهما تنشأ العادة (الرديئة) . والذين يسقطون في عادة الشر يعثر انتشالهم منها . فهم جانحون كل حين الى افساد الثمر الروحاني .

وينبغي أيضاً ان نحضر ذكر يوسف كأنه في أيقونة وننعم النظر في أمره كيف ان المصرية جذبته وأمسكت بثوبه وكيف ان محب الله ترك رداءه وهرب من ارتكاب ماهو دنس[٤] .

ولنعاين في ذهننا كفي أيقونة الشيخين اللذين كانا في بابل كيف انهما دعوا سوسنة المغبوطة[٥] الى ارتكاب الفعل الشنيع فاستعملت هي فكراً مؤمناً شجاعاً فحطمتهما . فلنجاهد نحن بشجاعة هكذا ولاسيما أننا نؤمن انه ليس خفيّ الآ سيظهر (مرقص ٤ : ٢٢) . وذلك لكي يُثنى علينا بثناء الفضيلة والمديح ونكون مع الممدوحين لامع المذمومين . فاما للذين يلتمسون معرفة كيف يتصرّف الاخوة فيما بينهم ويسترضون الاله الحقيقي فاذا صليتم من اجلنا رسمنا لكم أخيراً ، بمؤازرة النعمة لنا ، كل مايمكن قوله في هذا الباب . وليكن بيننا وبينكم على مدى الحياة ، الربُ الممطر سروراً ، وقداسة ، وسلاماً ، ورجاء صالحاً على الذين يتبعونه بالحقيقة . قبّل عني الاخوة الذين معك . يقبلك الاخوة الذين ههنا والمجد لله دائماً .

---

(٤) تكوين ٣٧ - ٥٠ .

(٥) دانيال ١٣ .

الميمر الثاني

توبيخ لذاته : إعتراف

يا اخوتي ، تألموا معي وليكن لكم تحنّن ورأفات . فان الكتاب لم يقل باطلاً : الأخ أمنع من مدينة محصنة» (أمثال ١٨ : ١٩) ، لأنه قوي كقوة المملكة المتوطدة ، ويقول أيضاً :

«اعترفوا بعضكم لبعض بزلاتكم وصلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا» (يعقوب ٥ : ١٦) . يا من إصطفاكم الله ، اقبلوا توسّلاً ممن عاهد الله أن يرضيه فكذب على خالقه ، وذلك لكيما أنجو بطلبتكم من الخطايا المحيطة بي ، وأصير معافى ، وأنهض من سرير الخطيئة المفسدة . فاني منذ طفولتي قد صرت إناء رديئاً مرفوضاً . والآن اذ أسمع بالدينونة ، أتهاون بما ان خطاياي وجرائمي تفوق الملء .

إني أعظ الآخرين ان يبتعدوا عن الأشياء غير النافعة ، واياها افعل مضاعفاً . ويلي في اي يأس وقعت ؟ ويلي في أي خزي حصلت ؟ ويلي الآن ! إن باطني ليس كظاهري . فلهذا ، ان لم تشرق علي رأفات الله سريعاً فلا رجاء لي في أعمالي ، ولا رجاء واحداً للخلاص . فإني أتكلم عن الطهارة وأفكر في الفجور . أنشيء اقوالاً في عدم الهوى والهذيذ في الاهواء النجسة موجود فيَّ ليل نهار . فاي

حوالي ٢٦٠ كيلومتراً الى الغرب من نصيبين على طريق القوافل التجارية بين انطاكيا والهند والصين .

استقرّ افرام في الرها ، فاحتلّ لدى اسقفها برسيس المكانة التي احتلها لدى أساقفة نصيبين . كل هذا يذكرني بالقديس يوحنا الرحيم الذي حلّ لديه يوحنا موسخوس وتلميذه العظيم صفرونيوس الدمشقي بطريرك القدس لاحقاً . احترمهما الى حد تحدُّث سكان الاسكندرية عن خضوعه لهما ، مع انهما كانا راهبين . ومن يحترم الاساقفة العظام الا الرهبان وأندادهم من رجال الفضل والتقوى والعلم ؟ القديسون اخوة أينما اجتمعوا في نصيبين أو الرها او الاسكندرية أو . .

لا شك أن افرام درّس في مدرسة الرها .

الشماس افرام مارس الوعظ شعرا ونثراً ، وقاد الترنيم وتلاوة العذارى والأطفال الأناشيد . كان الهرطوقي بردسان شاعرا يلقّن أشعاره الهرطوقيات من اتباعه ليتظاهرن بها قبل قرن . جاء افرام يردّ الصاع صاعين بنشائد من عيون الشعر . المترجم الفرنسي لمنظومة الفردوس لا يخفي اعجابه بشعر افرام . والترجمة العربية جيدة ورقيقة . فافرام إمام من اجاد الشعر والنثر في السريانية .

هل تنسّك في البراري ؟ يبدو للنقّاد انه لم يختلِ الا لمدد مختلفة في بعض المناسك . أحب النساك والنسك ، وامتدح البتولية ، الا أن الوعظ والتعليم والعناية بالمساكين في المجاعات كان شغله الشاغل أكثر من الهرب الى البراري . القديس غريغوريوس اللاهوتي كان ينسك ويعلّم .

في العام ٣٧٣ ضرب طاعون المنطقة ، فتفانى في الخدمة ، فسقط شهيد الواجب . شمل نشاطه المنطقة ، فامتدّ حتى آمد (ديار بكر) الى الشمال الغربي من نصيبين ، فتؤلف مع هذه والرها مثلثا . قضى حوالي ٥٠ عاما مع أساقفة أجلاء في نصيبين والرها[٧]. لا حرمنا الله من أمثال هؤلاء الأساقفة وهذا الشمّاس المتواضعين اللطفاء .

اعتذار لي ؟ ويلي أي فحص قد أُعِدَّ لي ؟ بالحقيقة إني ارتدي زي الديانة الحسنة لا قوتها (٢ تيمو ٣ : ٥) . بأي وجه أتقدم الى الرب الاله العارف مكنونات القلوب ؟ انا دَيِّن بمثل هذه المساوىء وأجزع ان أقف في الصلاة لئلا تنحدر علي نار من السماء فتبيدني . فإنه ان كان الذين قدّموا في البرية ناراً غريبة قد خرجت من لدن الرب نار فأحرقتهم (لا ١٠ : ١ - ٢) فماذا أتوقع أنا المثقل بهذا المقدار العظيم من الذنوب ؟

أأقطع رجائي من خلاصي ؟ حاشا . فهذا هو مايحرص عليه العدوّ . فاذا انحدر أحد الى اليأس يستولي الشيطان عليه . فانا لاأيأس من نفسي لأني أثق برأفات الله وبتوسلاتكم . فلاتكفوا اذاً عن التضرع الى المتعطف عليّ لكي يعتق قلبي من عبودية الاهواء الشائنة . فقد عمي قلبي ، واستحال فكري الحسن التدين ، وأظلم ذهني ، وصرت مثل الكلب العائد الى قيئه (٢ بطرس ٢ : ٢٢) فما ذهني بنقي ، ولا لي دموع في صلاتي . اذا تنهدت نشف ماء وجهي من الخزي . اقرع صدري الذي هو خزانة الاهواء المهلكة . لك المجد أيها المحتمل الكل . لك المجد أيها الطويل الاناة . لك المجد أيها المتأنّي على البشر . لك المجد أيها المتعطّف على الناس . لك المجد أيها الصالح . لك السبح أيها الحكيم وحدك . لك المجد أيها المحسن الى النفوس والاجساد . لك المجد أيها المشرق الشمس على الاشرار والصالحين والممطر على الابرار والظالمين (متى ٥ : ٤٥) . لك المجد يا فادي الامم كافة والطبيعة البشرية كلّها كانسان واحد . لك المجد يا فادي طيور السماء والوحوش والدواب والبرايا المائتة كمن يغذّي عصفوراً صغيراً واحداً . فان البرايا كافة اياك ترجو لترزقها طعامها في حينه (مزمور ٣ : ٢٧) . فإن قدرتك العظيمة ورأفتك مسبغتان على أعمالك جميعها .

فلهذا أطلب اليك ، ياالله ، ان لاتطرحني مع القائلين : «يارب يارب ولايعملون ارادتك» (متى ٧ : ٢١) : بشفاعة جميع الذين أرضوك ، لأنك أنت تعرف الهوى المكتوم فيَّ ، وأنت الخبير العالِـم بجراحات نفسي . إشفني يارب فأبرأ . جاهدوا معي في الصلوات ، يا أخوة طالبين الرحمة من صلاح الله .

ونفسي المرة بسبب الخطايا حلّوها بالكرمة الحقيقية التي أغصانها لكم . أعطوا العطشان من ينبوع الحياة الذي قد أهلتم لخدمته . أنيروا قلبي ، يامن صرتم أبناء النور . أرشدوني ، أنا الضال ، الى طريق الحياة ، يامن قد ثبتم فيها . أدخلوني من الباب الضيّق الملوكي (متى ٧ : ١٣) كما يدخل السيد عبده يامن صرتم وارثين الملك . فان قلبي قد انسكب . فلعل رأفات الله تدركني بتوسلكم قبل ان أجذب مع فاعلي الاثم . وهناك تنكشف علانية جميع المفعولات في الظلمة .

فماذا يصيبني اذا رآني مديناً الذين يقولون الآن إنني بلا عيب ؟ تركت الصناعة الروحية ، وخضعت للاهواء . لا أؤثر ان أعلم ، انما أشاء ان أعلّم . لا اؤثر ان أطيع ، انما أشاء ان أطاع . لا اختار التعب انما اؤثر ان أتعب . لا أريد ان أعمل ، انما أشاء ان أحض على العمل . لا اؤثر ان أكرِّم ، إنما أود ان أكرَّم . لا اؤثر ان أعيِّر . لا اريد ان أحتَقَر انما اشاء ان أحتقِر . لا اؤثر ان يُتكبر علي انما اشاء ان أتكبر . لا اختار ان أوبَّخ انما اشاء ان أوبِّخ . لا اريد ان أُرحَم انما أطلب ان أرحَم . لا أشاء ان أُنتَهر ، انما أؤثر ان أنتهِر . لا اؤثر ان أُظلَم انما أشاء ان أظلِم . لا أختار ان أُضَرّ انما أطلب الضرر . لا اؤثر ان أُغتاب انما أشاء ان أغتاب . لا اشاء ان أُمسَك انما اؤثر ان أمسك . حكيم في الوعظ وغير حكيم في العمل .

أقول مايجب ان يُعمل وأعمل ما لا ينبغي ان يقال . من ذا لا يبكي علي . أيها الابرار والصديقون ، ابكوا علي انا الذي استولت عليه الاهواء .

أيها الابرار والصديقون ومحبو النور ومبغضو الظلمة ، ابكوا علي انا الذي أحب أعمال الظلمة لاعمال النور . ايها المختبَرون ، ابكوا على المنفي غير المختبِر . أيها الرحماء والودعاء ، ابكوا علي انا غير الرحيم والغضوب . ايها الصابرون على كل مذمة ، ابكوا على الغريق في الآثام . يامحبو الخير ومبغضو الشر ابكوا علي انا الذي ترك العالم بالزي فقط . يا مرضيي الله ، ابكوا على مُرضي الناس . يا مقتني المحبة التامة ، أبكوا على الذي أحبّ قريبه بالاقوال وأبغضه بالافعال .

أيها المهتمون بأنفسكم ، ابكوا على المفتش عن الاشياء الغريبة . يا مقتني الصبر ابكوا على غير الصبور والعادم الثمر . أيها المتعطشون الى الأدب والتعليم ، ابكوا على فاقد الأدب والمرفوض . ايها المتقدمّون الى الله بلا خجل ، أبكوا علي انا غير المستحق ان اتفرس وانظر الى علو السماء .

أيها المقتنون وداعة موسى ، أبكوا علي انا الذي أضعتها باختياري . أيها الحائزون على عفة يوسف ، ابكوا عليّ انا الذي دفعها وطرحها . أيها المحبون امساك دانيال ، ابكوا عليّ انا الصائر غريباً عنه .

يا من أحرزتم عدم القنية الذي حازه الرسل ، ابكوا على المتعبد لها كثيراً . أيها المؤمنون والراسخو القلب لدى الرب ، ابكوا على ضعيف النفس والجبان المنفي . يامحبي النوح ومقصيي الضحك ، ابكوا على محب الضحك ومبغض النوح . يامن قد حفظتم هيكل الله بلا دنس ، ابكوا علي انا الذي قد دنسته وقذّرته . يا من يتذكرون الفراق والطريق التي لابدّ منها ، ابكوا على غير المتذكرّ وغير المتهيء لهذا السفر . يامن قد رُسمت في اذهانهم الدينونة التي بعد الموت ، ابكوا على المعترف بانه يذكرها ويفعل ضدّها . أيها الوارثون لملكوت السماء ، ابكوا على الوارث لجهنم النار . ويلي انا الذي لم يترك عضواً سالماً من الخطيئة أو حاسة لم يفسدها وانا غير مبال بذلك .

يا اخوتي ، هاقد كشفت لكم كلوم نفسي فلا تتوانوا في أمري ، أنا المتألم . لكن أطلبوا الى الطبيب من أجل السقيم ، الى الراعي من أجل الخروف ، الى الملك من اجل الأسير ، الى الحياة من أجل المائت ، لكي أنال الخلاص من الخطايا المحيطة بي بيسوع المسيح ربنا ويرسل نعمته ويعضد نفسي السريعة الانزلاق . فاني أستعد لمقاومة الأهواء وفي عراكي معها يشل الثعبان المحتال باللذة قوة نفسي ويقيدني مأسوراً بها . وأنشط أيضا في انقاذ المحترق فتلفحني حرارة النار وتجذبني الى وسط لهيبها ، أغدو طالباً خلاص الغريق ولكن لفقداني الدربة أغرق معه .

أرغب ان أصير طبيباً للهوى بينما قد استولى علي شخصياً . وعوضاً عن الشفاء يجرحني أنا المريض . أنا لم أزل أعمى ، ومع هذا أروم أن أرشد العميان . فلذلك ان محتاج الى صلوات كثيرة لكي أعرف قدرتي لتظللني نعمة المسيح ، وتضيء قلبي المظلم ، وتسكن فيَّ معرفة الهية عوضاً عن جهل . فأنه لاتعسر على الله كلمة ما . فهو منح شعبه مسلكاً في البحر غير المسلوك . هو أمطر عليهم المنّ (خر ١٦ : ٤) ومن السماء بعث اليهم بالسلوى كرمل البحر (عد ١١ : ٣١) . ومن صخرة صلدة منح العطاش ماءً (خر ١٧ : ٦) . بصلاحه خلّص الواقع بين اللصوص . (ياليت صلاحه يخلصني انا أيضاً الواقع في خطايا كثيرة كمكبل من جرى التكبّر! فليس لي دالة لدى فاحص القلوب والكلى ولايستطيع ان يشفي وجع نفسي أحد سواه ، هو العالم باعماق القلب . كم من مرّة أقمت في ذاتي حدوداً بيني وبين الخطيئة المحطمة للشريعة (وبين) المعاندين الذين من النتائج المضادة يحركون الخواطر للحرب! فغيّر ذهني التخوم وهدم الحيطان إذ لم تكن للتخوم قوّة تصونها في خشية من هو أفضل من الجميع ، ولأن الحيطان انما تؤسس على التوبة الخالصة .

فلذلك أقرع الآن ليفتح لي (متى ٧ : ٧) وأستمر في الطلب حتى انال المطلوب . لقد وهبتني خيراتك ، واما انا فقد قابلتها بالمساوىء . أمهلني انا القاسي فلست أطلب عفواً عن كلمات باطلة ، بل انما أطلب الى خيريتك صفحاً عن أعمالي التي لابرَّ فيها . ياربّ ، جرّدني من كل فعل خبيث قبل ان يدركني الانقضاء ، لكي أجد نعمة لديك في ساعة الوفاة اذ ليس في الهاوية من يشكرك .

يارب ، خلّص نفسي من الخوف ، وبيّض حلتي القذرة من أجل رأفتك وصلاحك لكي اذا ما سربلتني انا غير المستحق بالبياض أؤهل لملكوت سماواتك ، واذا ماحصلت في السرور الذي لاينقرض أقول :

المجد لمن خلص من فم الاسد نفساً مغمومة ، وجعلها في جنّة النعيم لأنه بك يليق ايها الآله الكلي قدسه ، المجد والعزة والاكرام الى أبد الدهور . آمين . . . .

الميمر الثالث

في هدم الكبرياء

للقديس افرام

باطل كل نسك ، كل صوم ، كلُ طاعة ، كلُ هجر للمقتنيات ، كل غزارة تعليم ، اذا كان فاقداً تواضع الرأي . فكما ان التواضع هو بدء وكمال الصالحات ، كذلك التعاظم بالفكر هو بدء الشرور ونهايتها . وهذا الروح النجس متعدد الانواع والصور . ولذا فهو يجتهد في ان يتسلّط على الجميع كما انه ينتصب فخاً لكل ذي مهنة . فالحكيم يتكبّر بالحكمة والقوي بالقوة ، والغني بثروته ، والمليح الوجه بجماله ، والخطيب بخطابته ، والحسن الصوت بحسن صوته ، والحاذق في صنعته بحذقه ، والحسن التصرف بحسن تصرفه . وكذلك مايطرأ من تجارب للروحانيين : فهو يمتحن المتواضع بالطاعة اي يجعله يفتخر بطاعته ، والممسك بالامساك ، والصامت بالصمت ، والعديم المقتنيات بهجر القنية ، والمتعلم بسرعة تعلّمه ، والمتخشع بحسن التخشع ، والعالم بالعلم . فالمعرفة الحقيقية مقترنة بالتواضع .

ان روح الكبرياء حريص على ان يزرع في الجميع زؤانه . ان الرب قد عرف رداءة هذا الهوى وانه يفسد أي انسان كائناً ما كان عمله اذا ما تأصّل فيه .

لذلك أعطانا التواضع سلاحاً عليه قائلًا : «اذا فعلتم جميع ما أُمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون انما فعلنا ما كان يجب علينا فعله» (لوقا ١٧ : ١٠) فلِمَ نستدعي الى نفوسنا الخفة وفساد الذهن مع ان الرسول يقول : «إن ظن أحد انه شيء وهو ليس بشيء فقد غرَّ نفسه . فليختبر كل واحد عمله وحينئذ يكون افتخاره من جهة نفسه لا من جهة غيره» (غلا ٦ : ٣ - ٤) ولِمَ نخادع ذاتنا ويفتخر بعضنا على بعض بانه شريف من أشراف العالم فنحتقر الأدنى ؟ ان الرب يعلم بان الحظوظ الرفيعة عند الناس مرفوضة لدى الله . أو لِمَ نتعالى على الأضعف فينا لكوننا مُمسكين اي صائمين ؟ او لِمَ نتعاظم بفكرنا على الصامتين لكوننا نتعب اكثر في الخدمة ؟ ان الرب يمدح مريم اكثر لانها اختارت النصيب الاصلح الذي لا ينزع منها (لوقا ١٠ : ٤٢) . أو لِمَ نتعظم ، لكوننا صامتين ، على المجاهدين في الخدمة ؟ ان ابن البشر لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فداء عن كثيرين (متى ٢٠ : ٢٨) . فانه ينبغي في كل أمر أن يقصى التكبّر بالفكر .

ألأننا جالسون في مكان هادىء نتشامخ ؟ ولكن ماذا ينفعنا المكان ان لم نكن نعمل بتواضع ؟ فالرسول يقول : «ونحن غير ناظرين الى الاشياء التي ترى ، بل الى التي لاترى . لان التي ترى وقتية واما التي لاترى فابدية» (٢كور ٤ : ١٨) . أم لاننا نسكن في جب أو مغارة ننتفخ ؟ فهذه علامات الموت وعدم الاهتمام بالامور الأرضية . فلا يكن ما اخترته لذاتك سبيلًا لنهج الفضيلة درباً للسقوط في الكبرياء .

● **مثال الانبياء**

اننا نحتاج الى ان نمتلك التواضع بقوّة . أأنت موسر ومقتن حدود السرّ ؟ لكنك لم تبلغ ما كان عليه ابراهيم الذي قال عن ذاته : «أنا تراب ورماد» (تكوين ١٨ : ٢٧) . أُفوِّض إليك أمر الاهتمام بالشعب ؟ فموسى قد تقلّد منصب رعاية الشعب وكان كليم الله ومعاين مجد الرب . ومع ذلك فلم يترفع قلبه ولم يتوان في اقتناء التواضع . وشهد الكتاب المقدس له قائلا : «وكان موسى رجلًا حليماً جداً اكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (العدد ١٢ : ٣) . أأنت جميل

الوجه ، شديد البأس وحامل التاج ؟ ولكنك لم تبلغ ماكان عليه داود الملك الذي وضع نفسه قائلا : «أنا دودة لا انسان ، عارٌ عند البشر ورذالة في الشعب» (مزمور ٢١ : ٧) . أأنت ذو معرفة وحكمة وامساك ؟ ولكنك لم تبلغ ماكان عليه الفتيان الثلاثة ودانيال النبي . اما أحدهم فقال : «لك ، أيّها السيّد ، البر ولنا خزي الوجوه كما في هذا اليوم لرجال يهوذا . . لأجل تعدّيهم الذي تعدّوا عليك . فلنا ، ايها السيّد ، خزيُ الوجوه ولملوكنا ورؤسائنا وآبائنا لأنّا خطئنا اليك» (دانيال ٧ : ٨) . واما الفتيان الثلاثة فقالوا : «وقد أجريت احكام حق في كل ماجلبته علينا وعلى مدينة آبائنا المقدسة اورشليم . لأنك بالحق والانصاف جلبت هذا كله علينا من اجل خطايانا . قد خطئنا وأثمنا وابتعدنا عنك وأذنبنا في كل شيء . . لكن اقبلنا لانسحاق نفوسنا وتواضع ارواحنا» (دانيال ٣ : ٢٨ - ٢٩ - ٣٩) .

فاذا كان الصدّيقون قد عبّروا عن تواضع كهذا فكم يجب علينا نحن الخطأة ان نتواضع أكثر ، لأن لمن يترفع ويتكبر بفكره ذهنَ الجسد كما قال الرسول : «لانكم ان عشتم بحسب الجسد تموتون ، وأمّا ان أمتم بالروح أعمال الجسد فتحيون» (رومية ٨ : ١٣) . ومن لم يقتن الفضيلة أولاً فلا يستطيع أن يضبط الاهواء . أو ماسمعت عمّا قاساه الرسول بولس (٢ كور ١١) ؟ ومع هذا كلّه فقد وضع ذاته قائلاً «لست بشيء» (كور ١٢ : ١١) ، لكي يقصي التشامخ .

من يتشامخ يشبه من يعيّر الله بفضائله وهو مرذول ، ولذا آثر الرب المعتني بحياتنا ان يجعلنا غرباء عن هذا الهوى المفسد ، فعلّم قائلا : «اذا فعلتم ماأمرتم به فقولوا انّا عبيد بطالون ، انما فعلنا ما كان يجب علينا ان نفعله» (لوقا ١٧ : ١٠) . والرب لم يعلمنا التواضع فقط ، بل أرشدنا الى اتّضاع الفكر اذ اتزر بمنديل وغسل أرجل التلاميذ (يوحنا ١٣) . ولذا قال : «تعالوا الي ياجميع المتعبين والمثقلين وانا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لانفسكم لان نيري لينٌ وحملي خفيف» (متى

١١ : ٢٨ - ٣٢) . واذا ما وافتك المحزنات على خلاف ماتنوي وصبرت عليها كأنك كنت تترقّبها فاعلم انك قد بلغت قياس انسان ذي فضيلة ومتواضع .

ألك الايمان كلُّه ؟ أثبت لنا ذلك . أرنا المعجزات والآيات . أقم الموتى بصلاتك . افتح أعين العميان . أخرج الشياطين . طهّر البرص . اشف المقعدين . امشِ على الماء كما تمشي على اليابسة . حوّل الماء الى خمر . أشبع بصلواتك جموعاً كثيرة من خمسة أرغفة وسمكتين ، لأن القائل صادقٌ هو : «الحق الحق أقول لكم : «إن من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أعملها انا ويعمل أعظم منها» . (يوحنا ١٤ : ١٢) . ولكن قد يعترض معترض قائلاً ؛ اذا لم يعمل أحد تلك الاعمال والافعال اللائقة بالله أفما له من رجاء خلاص ؟ طبعاً لنا رجاء خلاص ، وان لم نفعل تلك الاعمال ، وذلك ان اعترفنا بضعفنا وقلة ايماننا . فإن الضعيف انما يلتمس رحمة لاتعظماً . فان كنا الى الرحمة محتاجين وإياها نطلب فنحن بحاجة الى التواضع ، لكي نجذب به الينا رأفات الله . فانه قد كتب : «هو الذي ذكرنا في مذلتنا وخلّصنا من مضايقينا (مز ١٣٥ : ٢٤٣ - ٢٤) . «واتضعت فخلصني» (مز ١١٤ : ٦) .

لا نترك في النفس المتواضعة اثراً للاشياء التي يمقتها الله ، لانه في النفس المتواضعة يسكن الآب والابن والروح القدس . فانه كتب : «أية شركة بين البر والاثم ؟ واية مخالطة للنور مع الظلمة ؟! وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال ؟ واي حظ للمؤمن مع الكافر ؟ واي وفاق لهيكل الله مع الاوثان ؟ فانكم هيكل الله الحيّ كما قال الله : «اني أسكن فيهم وأسير فيما بينهم واكون لهم آلهاً وهم يكونون لي شعباً . فلذلك اخرجوا من بينهم واعتزلوا ، يقول الرب ولا تمسوا النجس فاقبلكم ، واكون لكم أباً وتكونون أنتم لي بنين وبنات يقول الرب القدير . . واذ لنا هذه المواعد ، ايها الاحباء ، فلنطهّر أنفسنا من كل أدناس الجسد والروح مكمّلين القداسة في مخافة الله» (٢كور ٦ : ١٤ - و٧ : ١) . فاذا اجتهدت ، اذاً ، في ان تعتزل من الامور العالمية وتبتعد عن مصاعب العالم الشرير ، فجاهد

جهاداً متواصلاً بحذر ضدّ مشاركة روح الكبرياء النجس ، وذلك لكي يقبلك الرب فإنه بالحقيقة : «كل مترفع القلب رجس عند الربّ» (امثال ١٦ : ٥) .

أما تخطر على بالك تلك النار التي أنت مزمعٌ أن تعبرَ فيها ؟ فإذا عبرنا ، اذاً ، في تلك النار وظهرنا أنقياء بلا معاب فحينئذٍ نعرف ذاتنا مَنْ نحن . فإن ذاك اليوم سيُظهر عملَ كل واحد على ما كتب وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو (١ كور ٣ : ١٣) . فلنتضرّع الى الربّ بتذلّل عظيم لكي ينقذنا من الخوف المنتظر ويؤهلنا لذلك الاختطاف حين «يُختطف الصدّيقون جميعاً في السحب ليلاقوا المسيح في الجو» (١ تسا ٤ : ١٦) ، ويجعلنا نرث ملكوت السماوات مع الودعاء والمتواضعين . وأمّا للمتكبرين والمستكبرين بفكرهم فويل لان لهم أتونَ النار اذ في الكبرياء يسكن القائل (اي روح ابليس) «إني بقوّة يدي عملتُ وبحكمتي لأني بصيرٌ فنقلتُ تخومَ الشعوب ، ونهبتُ ذخائرهم ، وأنزلتُ الجالسين على العروش كما يفعل ذو بطش» (أشعيا ١٠ : ١٣) . لكن الرب «سيّدَ الجنود يرسلُ على سمانه هُزالاً ويُضرِمُ تحت مجده ضراماً كضرام النار» (اشعيا : ١٠ : ١٦) .

فلنهرب اذاً من الكبرياء بما أن الرب يبغضها ، ولنأتِ الى تواضع الذهن الذي به أرضى جمهور الصديقين الربّ . فإن تواضع الذهن قربانٌ عظيم ، وشرفٌ كبيرٌ ، ونجاح باهر ، وكرامة عظيمة للذين اقتنوه . فالتكبّر بالفكر حطّ قدر ذلك الفريسي ، أمّا العشار فارتفع بتواضع ذهنه . ومعه فليؤهلْنا الرب للحظ الذي لا يفنى .

الميمر الرابع

حضّ على التوبة

القديس افرام

● دعوة الى التخشّع والتوبة:

تعالوا يا أحبائي يا رعية الآب المختارة، ويا جند المسيح الموسومين، تعالوا لننال حياةً أبديةً، وهلموا لنتبع خلاص نفوسنا. املأوا عيونكم دموعاً فتتفتح فوراً عيونُ ذهنكم. تعالوا جميعاً الأغنياء والفقراء، أيها الرؤساء والمرؤوسون، أيها الشيوخ والشباب، أيها الأبناء والبنات، ويا جميع المريدين أن يُفتدوا من التعاذيب الخالدة ويصيروا وارثين لملكوت السماوات.

فلنتضرّعْ مع داود النبي إلى الرب الرحيم قائلين: «اكشف عن عيني فأبصرَ معجزاتٍ من شريعتك» (مز: ١١٨ : ١٨)، «وأنر عينيّ لئلا أنام نومة الموت» (مز ١٢ : ٣). ولنهتف كما هتف الأعميان: «ارحمنا، يا رب يا ابن داود». وإذا ما رجانا قومٌ لنسكت فلنزْدَدْ صراخاً، ولا نضجر إلى أن يفتح يسوع معطي النور أعين قلوبنا (متى ٢٠ : ٣٠).

تقدموا إلى المسيح، أدنوا منه، تأملوا فيه، واستنيروا ولا تخز وجوهكم (مز ٣٣ : ٥). وليكن لنا رأي سديد وشوق إلى الملكوت والفردوس. للحال استهينوا

بأمور هذا الدهر، وجدّوا، فالساعة الآن هي الحادية عشرة، وأسرعوا لئلا يُغلق الباب دونكم، فقد اقترب المساء الذي يوافي معطي الأجرة بمجد عظيم «ليكافىء كل أحد بحسب أعماله» (رومية ٢ : ٦). ولنتبْ، يا أخوة، ما دام لنا وقت. فقد سمعتم قول المسيح : «هكذا يكون فرحٌ عند ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب». (لوقا ١٥ : ١). أيها الخاطىء، لماذا تتوانى ولماذا تيأس إذا كان يصير في السماء فرحٌ إن تبتَ؟ فمن تخاف؟ الملائكة يفرحون، أفتتوانى أنت؟ رئيس الملائكة هو الكارز بالتوبة، أترهب بعد؟ الثالوث الطاهر، الذي لا يسعه مكان والمسجود له هو يدعوك، أفتتنهّد بعد؟ فلا تشعر بحلاوة الاهتمام بهذا العالم لئلا تمرمرنا النار الخالدة والدود الذي لا ينام.

● يوم الحساب:

فلنبكِ هنا قليلاً لئلا نبكي هناك بكاءً مؤبداً إذا ما عُذِّبنا. احذروا أن يتقاعس أحدكم فإن مجيء المسيح يكون بغتةً كالبرق. في تلك الساعة يحمل كل واحد وقر نفسه، ويحصد كل واحد ما زرعه. سيقف كل واحد بخوف ورعب منتظراً أن يسمع القضاء من الله. فلِمَ نضطجع بعدُ ولا نستعد؟ لماذا لا نهتم بالحجج التي نعتذر بها ما دام لنا وقت؟ لِمَ نستهين بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح.

أفتظنون أن أقواله وأقوال القديسين والأنبياء لا تديننا في ذلك اليوم؟ قد سمعتم ما قاله الرب لتلاميذه: «من يسمع منكم فقد سمع مني، ومن احتقركم فقد احتقرني، ومن احتقرني فقد احتقر الذي أرسلني» (لوقا ١٠ : ١٦). «من رذلني ولم يقبل أقوالي فله من يدينه. الكلمة التي نطقتُ بها هي تدينه في اليوم الأخير» (يوحنا ١٢ : ٤٨). وما قاله في مكان آخر: «السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» (متى ٢٤ : ٣٥).

● التوبة قبل الانقضاء:

فهلمّ إذاً، يا اخوتي، قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب لنلقِ أنفسنا في لجة رأفات الله. فقد سبق له أن دعانا قائلاً: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٨). فالوادُّ الناس والمحتمل البشر يدعو الجميع في كل حين. المتحنّن والطويل الأناة على الجميع «يريد أن جميع الناس يخلصون» (١ تيمو ٢: ٤). هو لا يدعو المختصين به، بل الجميع قائلاً: «تعالوا إليّ جميعكم فإني لا أُخرج خارجاً من يقبل اليّ» (يو ٦: ٣٧). من هو الذي يقبل اليّ؟ هو الذي عنده وصاياي ويحفظها ويسمع قولي ويؤمن بي وبمن أرسلني.

مغبوط هو من يسمع قوله ويحفظه، وشقيٌّ هو من يخالفه لأن ذلك الكلام سيدينه في اليوم الأخير، كما كتب: «إن الوقوع في يدي الله الحي أمر هائل» (عب ١٠: ٣١) فتبْ، أيها الأخ، ولا تقنطْ. تبْ، أيها الخاطىء، وأنت واثق وناظر إلى تعطف المسيح القائل:

«إني لم آتِ لأدعو صدّيقين بل خطأة إلى التوبة» (لو ٥: ٣٢). تب لئلا تخجل أمام الموقف الرهيب حيث يقف برعدة ألوف ألوف وربواتٌ من الملائكة ورؤساء الملائكة، وحيث تصير الأشياء المكتومة ظاهرة، وتُفتح الكتب، ويميز الرب بعضاً من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء (متى ٢٥: ٣٢). فتفتح الكنوز، ويتمتع بها الصديقون. حينئذ طوبى للذين جاعوا وعطشوا إلى البر فإنهم سيشبعون هناك (متى ٥: ٦) وويلٌ للمشبَعين فإنهم سيجوعون ويعطشون (لو ٦: ٢٥) وطوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم سيضحكون ويفرحون، وويلٌ للضاحكين الآن فإنهم سينوحون ويبكون بلا فتور (لوقا ٦: ٢٥). طوبى لمن رَحموا فإنهم سيُرْحَمون (متى ٥: ٧). وويل للذين لا رحمة عندهم.

* * *

● **نصائح أخرى في التوبة:**

فلنحرص إذاً على أن نخلص غير ناظرين إلى المتوانين والمتنعمين فإنهم يجفون سريعاً كالحشيش. ولا نحبنَّ هذا الدهر فإنه يعرقل سير الذين يحبونه. يُطرب ساعة واحدة ويرسل الانسان إلى العذاب عارياً. اسمع قول يوحنا الانجيلي المتكلم في اللاهوت: «لا تحبوا العالم ولا ما في العالم. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة. والعالم وشهوته يزولان وأما من يعمل بمشيئة الله فإنه يبقى إلى الأبد» (١ يوحنا ٢: ١٥ - ١٧).

واسمع قول الرب: «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (متى ١٦: ٢٦) وهذا القول يديننا في اليوم الأخير. فلِمَ تتوانى يا شقيّ؟ أما علمتَ أن كل واحد سيؤدي حساباً لله عن نفسه؟ (رو ١٤: ١٢). أما تأكدّ لك أن كل واحد إنما يحصد ما قد زرع؟ وكل واحد سيحمل حمله (غلا ٦: ٨ و٥). وبما ان لك وقتاً بعد فبدّد وسقَ خطاياك، فإن الإله المتعطف على الناس يدعوك قائلاً: «تعالوا الي يا جميع المثقلين» (متى ١١: ٢٨). وإذ يأمر بذلك فلا ييأس أحد، ولا يتجاسر أحد على القول: إني لم أخطأ. لأن من يقول إني لم أخطأ هو أعمى وأشقى الناس كافة، لأن يوحنا الانجيلي يقول: «إن قلنا ان ليس فينا خطيئة فإنما نُضل أنفسنا وليس الحق فينا. نجعله كاذباً ولا تكون كلمته فينا» (١ يوحنا ١: ٨ - ١٠).

فالحاجة ماسة إذاً الى الدموع لغسل إرادتنا قائلين ومرنمين مع داود الصدّيق: «تغسلني فأبيض أكثر من الثلج» (مز ٥٠: ٩). «في كل ليلة أغمر سريري بدموعي وأميع بها فراشي» (مز ٦: ٦). هذا خطىء ليلة واحدة فبكى كل ليلة. فلذلك ظهر سعيداً، لأن النبي سبق فأبصر القائل: «طوبى لكم أيها الباكون الآن فإنكم ستضحكون» (لو ٦: ٢١). فلا نتقْ إلى مثل هذه الرذائل، ولا نُطرب بمطربات العالم، ولا نشتهِ غنى هذا العالم. أبغضْ الشبابَ المتنعم والزينات والوشاء. أمقتِ التلوينات بالأصباغ، والتصفيق، والتزيين، والتبختر، والأغاني الشيطانية، المعارف والصفارات وتحلية الأيدي، والأصوات غير المنظمة والوحشية. إن هذه كلها بذار الشيطان. قد سمعتم قول الرسول: «فأوصيكم

وأرشدكم وأناشدكم في الرب أن لا تسلكوا فيها بعد كما يسلك الأمم ببطل بصائرهم الذين أظلم فهمهم وتغربوا عن حياة الرب» (أفسس ٤ : ١٧ ـ ١٨).

● المعمودية :

وبما أننا قد تركنا أعمال الماضي فلا نعد إلى الأشياء السالفة لنعملها ثانية. لقد رفضنا الشيطان ووافقنا المسيح بحضور شهود كثيرين. فانظر إلى من وافقتَ وعاهدتَ، ولا تستهنْ به. واعرفْ أن ملائكةً دوّنوا في تلك الساعة أقوالك وعهودَك وخضوعك، وخبّأتْها في السماوات إلى يوم الدينونة الرهيب. أما تخشَ وترتعد لذلك؟ إذا ستُحضر الملائكة في يوم الدينونة الصك الذي عليك وكلمات فمك أمام المقام الرهيب حيث يقف الملائكة مرتعدين. وحينئذ تسمع الصوت: «أيها العبد الشرير من فمك أدينك» (لوقا ١٩ : ٢٢). ارحم نفسك، ولا تزدرِ بها. افتحْ عينيك وأبصر كيف أن قوماً كثيرين يجاهدون ويحرصون على أن يخلصوا، وكيف يُجهدون أنفسهم في كل عمل صالح ويحفظون أنفسهم من الجسد والسأم والبغض والضحك والزنى والتنعم والخصومة، وكيف أنهم قد أحبوا الطريق الضيقة ويسهرون صائمين باكين أشقياء وقد أعدوا مصابيحهم بهيةً، وكيف أن فمهم يسبح كل حين ويمجد العريس الذي لا يموت، وان عيونهم تتأمل جماله ونفوسهم مبتهجة برؤيته.

* * *

● مجيء المسيح والدينونة (متى ٢٥):

انه قد اقترب ولا يبطىء لأنه آتٍ ليُفرّحَ الذين يحبونه، ويعزّي الذين ناحوا وبكوا لا على المائت وخسارة الأموال الوقتية بل لأجلِ الخطيئة السهل ارتكابها والملكوت الذي لا نهاية له ونعيم الفردوس البهج الذي اخرجنا منه لما خالفنا وصية الله، ويعود اليه الآن النائحون والباكون. إنه يأتي ليكلّل الذين جاهدوا حسناً والذين أحبوا الطريق الضيقة الحرجة، ويرحم الرحيمين ويطرب المتمسكنين من أجله، ويشبع بالخيرات الذين جاعوا وعطشوا من أجله، ولينير مكتومات الظلمة،

ويظهر أفكار القلوب. وباختصار هو يأتي ليكافىء كل واحد بحسب أعماله (رو ٢ : ٦). فيخرج الى استقباله بدالة أصحاب المصابيح البهية مبتهجين واثقين بأن مصابيحهم لا تنطفىء. حينئذ إذا رأيت ذاتك في غم عظيم وخيبة مرّة وشدة لا تطاق وشاهدت مصباحك ينطفىء تقول: يا للخزي والخجل، يا اخوتي: أقرضوني قليلاً من الزيت فقد انطفأ مصباحي. فيجيبونك قائلين: لعله لا يكفي لنا ولك، فالأحرى أن تذهب إلى الباعة وتبتاع لك (متى ٢٥ : ٩) فتمضي بحزن وتوجّع وتنهّد مرّ باكياً فلا تجد أبداً زيتاً فتشتري. لأن موسم الحياة قد انقضى، وانصرف الفقراء الجالسون على أبواب الكنائس ليبيعوا الزيت هناك، فتتضايق متحيراً وتقول باكياً ومنتحباً: أمضي فأقرع باب المسيح.

وإذا أتيت تقرع يجيبك العريس من الداخل: الحق الحق أقول لك إني لا أعرفك (متى ٢٥ : ١٢). «أبعد عني يا فاعل الإثم» (لوقا ١٣ : ٢٧). ما رحمتَ، فلن تُرحَم. ما سمعتَ صوت الفقراء فلن أسمع أنا صوتك. كنت تسمع كتبي المقدسة فتضحك. حللتَ أوامري وأوامر أنبيائي ورسلي. قتلتَ بشرتك ودنستها، وأوعبتَ فمك سأماً وثلباً، وعملتَ مشيئات الشيطان، واطّرحتَ مشيئاتي وابغضتَ قريبك. وبعد هذا كله تتضرّع الآن لكي تدخل إلى حيث لم تُرسلْ شيئاً، لا دموعاً ولا بكاءً ولا صوماً ولا سهراً ولا تسبيحاً ولا بتولية ولا صبراً ولا صدقة. وذاك إنما هو مسكنٌ للذين تمسكنوا من أجلي، هذه مملكة للرحيمين. هذا فرحٌ للنائحين. هذا سرورٌ للحزانى والتائبين. هذه راحة للساهرين والصائمين. هذه الحياةُ للأرامل ولليتامى. ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحاً مؤبداً وقد كُتب: «ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خَطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه» (١ كور ٢ : ٩).

وقد سمعت الرب يقول: «لا تخافوا ممّن يقتل الجسد» (متى ١٠ : ٢٨). ويقول هذا في فصل آخر: «طوبى لكم إذا اضطهدوكم من أجلي» (متى ٥ : ١١) ولهذا يقول الرسول: «لا تضلّوا فإن الله لا يُستهزأ به. والانسان إنما يحصد ما زرع. فالذي يزرع في جسده فمن الجسد يحصد الفساد، والذي يزرع في

الروح يحصد الحياة الأبدية» (غلا ٦ : ٧ ـ ٨)، «لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالترنيم» (مز ١٢٥ : ٥). فأنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم ومهّدوها لقبول بشارة الانجيل. ولا يخنقْ قلوبكم الاهتمام العظيم بالعالم. فلنسعَ لأجل الحاجة لا للتنعم. ارتضوا بالقوت الكافي. فإن تعبكم سيكون عظيماً إن ابتغيتم التنعّم والاستكثار. «ما الحاجة إلا إلى واحد» (لوقا ١٠ : ٤٢)، كما قال الرب.

هذا السرور هو للحزانى وللتائبين. هذه الراحة هي للساهرين والصائمين. هذه الحياة هي لليتامى والأرامل. ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحاً مؤبداً: «فأنت قد نلتَ خيراتك في حياتك» (لوقا ١٦ : ٣٥). «اذهب عني الى النار الأبدية» (متى ٢٥ : ٤١).

وأثناء وقوفك هناك يبلغ مسامعك صوت الفرح والابتهاج وتعرف صوت رفقائك فرداً فرداً. حينذاك تتنهّد باستمرار قائلا: ويلي أنا الشقي كيف عُدِمتُ هذا المجد ومُيِّزتُ من رفقائي؟ لقد كنتُ معهم طيلة حياتي، والآن قد انفصلتُ عنهم. في الحقيقة لقد أصابني ذلك بعدل لأن أولئك يُحرَمون من الأغذية وغيرِها وأنا كنت أسرع إلى الأغذية والأعشبة. أولئك كانوا يرنمون وأنا كنت أصمتُ، ويصلّون وأنا أتنزّه، يضعون ذواتهم وأنا أتكبر، ويستهينون بذواتهم وأنا أتزيّن، ويبكون وأنا أضحك. فلهذا هم يبتهجون، والآن أنا انتحب، ويُسَرُّون وأنا أبكي. يملكون مع المسيح إلى الدهور التي لا نهاية لها وأنا أُرسَل مع معاندي المسيح الى النار الخالدة.

الآن علمتَ أن كل واحد يأخذ بحسب أعماله، ولكنك لا تنتفع بهذه الأقوال لأن ليست هناك منفعة من التوبة والندامة. لأجل هذا توصينا الكتب المقدسة بأن الحظوظ الصالحة التي أعدها الله للذين يحبونه لم ترها عين ولا سمعت بها أذُن ولا خطرت على قلب بشر (١ كور ٢ : ٩).

* * *

● غذاء النفس:

أنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم ومهدوها لقبول بشارة النجيل، ولا تخنق قلوبكم اهتمامات العالم الكثيرة. **فلنطلب ما هو ضروري لا ما هو للتنعّم.** «إنما الحاجة إلى واحد» (لوقا ١٠: ٤٢) كما قال الرب. وليس شيء أعلى قدراً من النفس، فلنهتمّ ونستعدّ كل يوم لأجلها ولا نِفني زماننا في الاهتمام بالجسد. لكن إذا جاع الجسد وطلب طعاماً فتذكر أنت أن النفس تطلب حاجتها أيضاً. وكما أن الجسد لا يستطيع أن يحيا بدون أن يستعمل الخبز، كذلك النفس تكون مائتة إن لم تغتذِ بالحكمة الروحانية. لأن الانسان من نفس وجسد. لذا قال المخلص: «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من عند الرب» (متى ٤: ٤). فأنت كوكيل حكيم (لوقا ١٢: ٤٢) أعطِ إذاً النفسِ أغذيةَ النفس، وامنح الجسد أغذية الجسد، ولا تدع نفسك تموت. لكن غذّها بالأقوال، بالمزامير والتسابيح، بالترنيمات الروحية، وبقراءة الكتب الإلهية، بالأصوام والأسهار، بالصلوات والعبرات، بالرجاء والهذيذ في الخيرات المنتظرة.

فمن يزرع في جسده التمتعَ بالعالم والتنعّم والأغذية فمن جسده يحصد الفساد، ومن يزرع في الروح صلاة وسهراً وصوماً فمن الروح يحصد الحياة الأبدية (غلا ٦: ٨).

لنضع أمام أعيننا كل حين الآتي ليدين الأحياء والأموات، ولنتذكّر دائماً الحياة الخالدة والملكوت الذي لا يفنى والتصرف مع الملائكة والعيش مع المسيح. تذكر أن ليس في العالم سوى الدموع والتعييرات، المثالب والأتعاب، الأمراض والشيخوخة، الخطايا والموت. فلا تحب العالم. تذكّر القائل **«صلّوا بلا انقطاع»** (١ تساه: ١٧). ما دام لنا وقت للتوبة فلنداوِ بالعبرات ما اجترمناه وأثمنا به. فوقت التوبة قليل وملكوت السماوات لا نهاية له.

نحن نطوّب القديسين ونتوق إلى أكاليلهم ولكننا لا نشاء أن نتشبّه بهم في جهادهم. أتظنون أنهم كللوا بغير أتعاب وأحزان؟ أتريد أن تسمع شيئاً عن أية

راحة كانت في هذا العالم للقديسين؟ [اقرأ الأصحاح ١١ من الرسالة الى العبرانيين الاعداد ٣٣ - ٤٠ والاصحاح ٦ من كورنتس الثانية ٤ - ١٠] لقد كانوا في وسط هذه الشدائد، في سرور عظيم وكابدوها وأشباهها بما أن نظرهم كان متجهاً نحو الخيرات المعدة في السماوات.

● **خلاصـة:**

إن ذكر اسم الله يطرد الشياطين. وأنت إذا شئتَ أن تنجو من العذاب الخالد فليرنم لسانك وليُصلِّ عقلك حينما تتحرك يدك لتعمل. لا تشمئز من أحد البتة. ويلٌ لمن لا شريعة له. فإذا استضاء العالم كله يبقى هو مظلماً. الويل للمفتري فإن لسانه سينعقد، وعذراً لن يجد أمام القاضي. الويل للمستكبر فإنَّ ثروته تهرب والنار تقبله. الويل للمتواني فإنه سيطلب الزمان الذي أضاعه سدى فلا يجده. الويل لمحب الزنى فإنه قد دنس الحلة العرسية وسيخرج بخزي من العرس الملوكي. الويل للثلاب والسكير فإنهما سيرتَّبان مع القتلة ويعذبان مع الزناة. الويل لمن يتنعم زماناً قليلاً فإنه سيُطلب للذبح كالخروف. الويل للمرائي فإن الراعي سيُنكره والذئب سيخطفه.

الطوبى لمن يسلك الطريق الضيِّق فإنه سيدخل السماء لابساً الأكاليل. الطوبى لمن سيرته متيامية وعقله متواضع فانه قد تشبَّه بالمسيح وسيجلس معه. مغبوط من قد صنع الى الفقراء احسانات كثيرة فانه سيجد كثيرين ينتصرون له اذا ما حوكم. الطوبى يكلِّف نفسه العناء في كل شيء لأن الغاصبين يختطفون ملكوت السماوات (متى ١١ : ١٢). لنعزِّ ذواتنا ونعظها وليُنزه الواحد منا نفس الآخر. ليكن حديثنا عن الدينونة وعن اعتذارنا أمام منبر الرب.

● **ذكر الموت والدينونة:**

إن كنتم تعملون عملاً ما أو تمشون أو تتناولون الطعام أو في مضاجعكم أو في أي شغل آخر فاهتموا في كل حين بالدينونة وبمجيء الحاكم العادل. وتذكروا هذا في قلوبكم، وليقل بعضكم لبعض: ترى كيف هي الظلمة البرّانية، والنار

التي لا تطفأ، والدود الذي لا يموت وصريف الأسنان؟ (متى ٨: ١٢). فليخاطب بعضكم بعضاً بهذه كل حين ليلاً ونهاراً. فمن يذكر الموت دائماً لا يخطأ كثيراً.

يا أحبائي، لنبتهل بقلب متوجع وبدموع وتنهّد من أجل أن لا نخيب من سماع ذلك الصوت المغبوط. لنتجرّد من التنعّم الذي ههنا لننال هناك فرح الفردوس ونعيمه. ولنبك ههنا قليلاً لنضحك هناك. لنجعْ لنشبعَ هناك. ولندخل من الباب الضيّق والطريق الحرج (متى ٧: ١٤) لنمشيَ هناك في الطريق الواسعة. فلنصغ إلى ذواتنا، ولنسمعِ الرب القائل اتبعوني (متى ٤: ١٩). ولنتركْ كل شيء ونتبعه وحده (متى ٩: ٢٧). فله المجد والقدرة مع الآب والروح القدس إلى أبد الدهور. آمين.

الميمر الخامس والسادس

مئة فصل *

كيف يكتسب الانسان التواضع

للقديس افرام

مئة نبذة تشتمل على أخبار وأحاديث وتعليم ووعظ وكيف يُقتنى التواضع وعدمُ الكبرياء.

١ ـ بدءُ الثمرة هو الزهرة، وبدءُ التواضع هو الطاعةُ في الرب. ثمرُ الطاعة هو طولُ الروح، وطولُ الروح هو ثمر المحبة. والمحبة هي رباطُ الكمال (كول ٣: ١٤). والكمالُ هو حفظ وصايا المسيح. ووصيةُ المسيح منيرةٌ تُضيء العيون. والعيونُ المستنيرة تهرب من طرق معانديٍ الشريعة. ليكن لك التواضعُ مجلساً، ولتكن لك كلماتٌ بهية لكي تكونَ كاملاً في محبّة المسيح، لأن المخلّصَ قد قال: «كونوا كاملين كما ان أباكم السماوي هو كاملٌ» (مق ٥: ٤٨).

من أين يتولّد استعلاءُ الذهن؟ انما يتولّد من عدم الطاعة والخضوع والاذعان، ومن انقياد الانسان لرأي نفسه. أمّا المتواضعُ فهو مطيعٌ سريعُ الاذعان

---

* يقول القديس فوتيوس الكبير حول هذه الفصول المفيدة: يستقي منها الانسان نعمةً وقدرةً وبهذه الفصول المئة حول التواضع يتسلّح «Ɛ̃ης S'au'bης εσbιν ηpτνμένοs καί χάpιτοs Nai Suáμεωs υά Ιαπειγoppoσυγηs λóοs, κεpoλαιοιs έληπλωμεγοs« (Migne P.G. 103 660B).

وديعَ يكرّم الصغار والكبار. وإني واثق أن من أحرزه ينال من الرب الثوابَ الجزيل والحياةَ الأبدية.

٢ - ان سكنتما اثنان في حجرة واحدة فانتبها الى ذاتكما بيقظة عالميْن ان الرب هو بينكما لأنه قال: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فانا أكون هناك فيما بينهم» (متى ١٨ : ١٩). واذا كنا لا نُبصره - لاننا غيرُ مستحقين - فهو بما انه آله قد عرف ونظر افكارَ كل واحد وعمله.

٣ - إن كل خبز لذيذٌ عند الرجل الفاسق[1]، ولا يُرجعه عن عادته حتى الوفاة. الرجل الذي يَطفرُ من سريره يقول في داخله: من يُبصرني ومن أخشى؟ فحيطانُ بيتي تسترني، والعليُّ لا يذكر خطاياي. فهذا لا يعلمُ أن عينيْ الرب مضيئتان اكثر من الشمس بربوات الأضعاف، وناظرتان جميعَ طرق الناس، وفاحصتان النواحي المكتومة. فلذلك يُنتقم منه في أسواق المدينة من حيث لا يعلم.

● **التقوى**

٤- ان اخترتَ لذاتك التقوى فاحذر ان يلقيَ الخبيثُ في ذهنك تحت ستار الورع فكراً غريباً أي المجدَ الباطل والكبرياء. فاذا كنت لا تؤثر أن تتعب مع اخوتك فاعمل كما يعمل اخوتك ونظراء نفسك، واحفظ الورعَ. لان التراخي يُلغي التقوى ويجلب التعييرَ على صاحبه. أقرنْ بالورع الحرصَ[2] والمعرفةَ فتكون تقياً حقيقياً.

---

(١) راجع حكمة سيراخ حيث يُشار رمزياً الى الجسد. (سيراخ ٢٣ : ١٧ - ٢١) (أو ٢٤ - ٣١) لأن الانسان الزاني كل خبز يَحْلو له فلا يكلّ الى ان يفرغ والانسان الذي يتعدّى على فراشه قائلاً في نفسه من يراني حولي الظلمة والحيطان تسترني ولا أحد يراني فماذا أخشى ان العليّ لا يذكر خطاياي. وهو انما يخاف من عيون البشر. ولا يعلم ان عينيْ الرب أضوأ من الشمس عشرة آلاف ضعفٍ فتبصران جميع طرق البشر وتطّلعان على الخفايا. هو عالمٌ بكل شيء قبل أن يُخلق فكذلك بعد ان انقضى. فهذا يُعاقب في شوارع المدينة وحيث لا يظنّ يُقبض عليه ويُهان من الجميع لانه لم يفهم مخافة الربّ» (سيراخ ٢٣ : ٢٤ - ٣١).

٥ـ اذا اقتنيتَ تواضعاً فتيقظْ جداً لئلا يحتال عليك العدوّ ويقودك الى طريق غريبة وذلك بان يلقي في ذهنك خواطرهُ كما تقول الحكمة: لاتقل «إني أختفي من الرب، ومن يسمعني من العلاء؟ لستُ أُذكرُ في شعب كثير. لأن ما هي نفسي بين الناس الذين لا يُحصون» (سيراخ ١٦: ٦١ـ ١٧). ولكن سيراخ الحكيم يعقّب على ذلك بقوله: «الجبالُ واساسُ الأرض تزلزت مرتعدةً من نظره اليها[٣]» فينبغي اذاً ان نقرن بالتواضع الايمانَ، لنشقّ اتلامَ (أي خطوط الفلاحة) التواضع مستقيمةً.

● الصبر على الهوان

٦ـ دخل أخ الى دير لكي يترّهبَ فأُسلم الى شيخ كبير في حجرته واتفق بعد أيام ان حاربته الافكار فقال: لا أرتاح في وجودي مع هذا الشيخ، فوعظه آخ اخر قائلاً له: لو وقعت بين أيدي البربر، ودُفعت اليه عبداً أكنت تقول: لا أشاء أن اكون مع هذا؟ فلما سمع الأخ هذه الأقوال تخشع، وسجد سجدةً، وقال: اغفر لي وزاد قائلاً: من اراد ان يترهب ولا يصبر على السّب والهوان والخسارة لا يستطيعُ ان يكون راهبا.

● الاستعلاء بالفكر

٧ـ اذا أقبل أحدٌ الى السيرة الرهبانية نشيطاً بفكره يحتال العدوّ عليه بان يُضرمَ فيه الدالةَ والوقاحة. فاذا انتهى أمره في الرهبانية الى احراز التقوى وكان شاباً بعد، يمنحه نشاطاً في النسك اكثرَ من قدرته على تتميمه. فالمحبّ والخائف الرب حقيقةً لا ينقاد للفكر الأوّل والثاني. وان وقع في خديعة الشياطين فمخافة الرب الذي أحبّه في الحقيقة تُضيء قلبَه ليسلكَ في الطريق المستقيم، فإن الوقح

---

(٢) الحرصُ أي: بحيطة واجتهاد واحتراس. قال يسوع: «كونوا حكماء كالحيّات» (متى ١٠: ١٦). فالحياة الروحية بحاجة الى نباهة وسعي حثيث وبطولة لا الى السذاجة والبلادة والتواني. هي حلبةُ مصارعين لا حلبةُ تنابل.

(٣) حكمة سيراخ (١٦: ١٨ ـ ١٩).

والفاقد الخجل لا يوقن بالدينونة. وكذلك المتصلّف والمتعظم، لأنه يحسب ذاته عظيماً. هذا هو هوى الاعتداد بالنفس.

هوى الاعتداد بالنفس.

فقلْ للذي يحاربك: أبعدْ عني أيها الفكر الخبيث فمن أنا، وأيةُ فضيلة قد أتقنتُها حتى تلقيَ في قلبي هذه الخواطر؟ القديسون بعضهم رُجموا وبعضهم نُشروا وبعضهم امتحنوا... حتى ان سيّد الجميع نفسه سُمِّر من أجلنا على الصليب واستُخِفَ بالخزي (عب١٢ : ٢). فأنا السالك في الخطايا كل زمان حياتي، بماذا اعتذرُ يوم الدينونة؟.

هذا يطرد عنك **الاستعلاء بالفكر**. وان كنتَ تقوّمتَ فافهم يقيناً ان ذلك لم يكن بقوّتك، بل كما يقول القائل: «لا انا، بل نعمة الله التي معي» (كور ١٥ : ١٠). ان آذتك الوقاحة تفكر في أعمالك وقلْ مردداً: أنا مساهم في مساوىء كهذه، فكيف أجترىء على فتح فمي، بينما الرب يقول: «ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يُعطون عنها جواباً في يوم الدين» (متى ١٢ : ٣٦). فيجب ان تسجد للرب على حسب ما يعلم قائلاً:

«ايها الرب الضابط الكلّ، آلهَ آبائنا ابراهيم واسحق ويعقوب ونسلهم الصدّيق، الصانع السماء والأرض وكل رتبهما. يا من قيّدتَ البحرَ بكلمتك، يامن أقفلتَ اللجة وختمتها باسمك المرهوب المجيد، يا من يرتجف الجميع ويرتعدون أمام قدرتك لان جلالَ مجدك العظيم القدوس لا يُواجه، وسخطك بالوعيد على الخطأة لاقرارَ له، ورحمة موعدك لا حدّلها ولا يُستقصى أثرها لأنك أنتَ الرب العالي المتحنن الطويل الاناة الجزيل الرحمة التواب على خطايانا ومساوىء الناس. أنت، يا رب، على قدر غزارة صلاحك وعدت الذين يخطأون اليك بالتوبة وغفران الذنوب. وبكثرة رأفتك حددتَ توبة للخطأة من أجل الخلاص. فانت، يا رب، ياآله القوّات، لم تدع التوبةَ للصدّيقين ابراهيم واسحق ويعقوب الذين لم يخطأوا اليك، بل جعلتَ لي التوبة أنا الخاطىء. لأني خطئتُ اليك اكثر من عدد

رمل البحر. قد تكاثرت آثامي، يا رب قد تكاثرت آثامي. ولست بأهلٍ ان ألتفتَ وأنظرَ الى علوّ السماء من كثرة ظلمي....»[١].

وذلك لكيما يطردَ عنك الابتهالُ هذا والخوفُ الوقاحةَ هذه[١]

٨ـ حاربَ فكرٌ غريب أخاً رغمَ أنه قد اقتنى شيئاً من الفضائل، فأراد ان يغلب فكرَ الاستعلاء بالرأي، فأدنى يده من أسفل المرجل (الدست) المتوقّد ناراً وقال في ذاته: ها أنتَ تحترقُ فلا يترفعْ عقلك فيما بعد. فها نحن نَرى الفتيانَ الثلاثة في وسط اللهيب المضطرم ولا يترفع أحدهم بقلبه، بل باتضاع عقل عظيم سبحوا الله ممجدين في وسط الأتون وقائلين: «لكن اقبلنا لانسحاق نفوسنا وتواضع ارواحنا» (دانيال ٢ : ٣٩). وبهذه الطريقة غلبَ شيطانَ التكبر بالفكر.

٩ـ اذا وُجد انسانٌ روحانيٌ حريص ومحبٌ عظيم في اتقان الفضائل فلا يحتقره أحدٌ بل يجب ان تعضدوا أمثال هذا، لأنهم مُرضون لله ومفيدون للجماعة. واعتبروا أمرَ الذين سقطوا في عمق البحر كيف خلصوا بسبب الصدّيق الذي بينهم كما كتب: «لا تخفْ، يا بولسُ، فانه لا بدّ لك ان تقف أمام قيصر. وها ان الله قد وهبك جميعَ السائرين معك» (أعمال ٢٧ : ٢٤). وكذلك بنو اسرائيل تغلبوا على الفلسطينيين وجبّارهم جليات بداود النبي.

١٠ـ بعد أن ارتدى أخٌ اللباسَ الرهباني في دير، حوربَ بان يخرجَ من ديره. فألقتِ الافكارُ في ذهنه هذا الرأيَ: إعتبرْ غراسَ البستان وانظر كيف أنها لاتنمو ان لم يقْلَعها البستاني من المغرِس (المشتل) فسائلَ وينصبها في موضع آخر. فميِّز الاخ

---

(٤) الوقاحة هذه صلاة منسّى ملك اليهودية وقد وردت في كتاب ترتيب الاجيال العبراني. أنظر الى العهد القديم ٢ أخبار الايام ٣٣ : ١٣ و١٨ تُتلى في صلاة النوم الكبرى.
وهي في الحقيقة ليست من تأليف منسّى، بل منشأة في القرن الثاني. سفر الملوك يتهم كثيراً منسّى. سفر اخبار الايام يلمح الى توبة ما. مسيحياً، عبارة «الذين لم يخطأوا اليك» لا تتفق مع كلام بولسِ: «الجميع خطئوا واعوزهم مجد الله» (رو ٣ : ٢٣).

الفكرَ وقال: هل يقتلعُ البستانيُّ الغراسَ باسرها ولا يتركُ منها ما يستطيعُ انماءَه في مكانه؟ ومع هذا فالفسائل التي تُقتلع لا تُصان من التلف كالباقية في المغرس. فصِرْ أنت اذاً واحداً من الذين لم يُقتلعوا. وبهذا غلب الفكرَ بمؤازرة النعمة.

١١- ان آثرتَ ان تسكنَ في دير مشترك فاحذرْ ان يلقنكَ الفكرُ مكراً لتدبير المؤامرات الكثيرة قائلاً: إنني أتعب كثيراً لكنَ طعامي قليلٌ فلا تُنقصْ عملَ الله من أجل الطعام. لأنك اذا فكرتَ في هذا لا تكون متبعاً المحبة والاجدرُ بنا ان نسمع الصوتَ الخلاصيَ القائلَ: «من ترى الوكيلُ الامينُ الفطنُ[1] الذي أقامه سيِّده على خدمِه ليعطيهم مكيالَ القمح في حينه. طوبى لذلك العبد الذي اذا أتى سيِّده وجده يعمل هكذا. في الحقيقة أقول لكم انه يقيمه على جميع ما هو له ولكن ان قال ذلك العبدُ في قلبه إن سيدي يُبطىء في قدومه فجعل يضربُ العبيدَ والاماءَ ويأكل ويشربُ ويسكر، يأتي سيدُ ذلك العبد في يوم لاينتظره وساعة لا يعملها ويفضله ويجعل نصيبه مع الكافرين» (**لوقا ١٢ : ٤٢ - ٤٦**) أو (**متى ٤٢ : ٥٤ - ٥١**). هناك يكون ابكاء وصريف الاسنان (متى٨ : ١٢). فلنفوّض الى الرب كلَ شيء، ولا نطالب نظيرَنا في العبودية بشيء.

١٢- سمعتُ الرسولَ يقول **للمتقدم الى الكهنوت**: «تأمل في ذلك. لا يستهنْ أحدٌ بفتوتك» (اتيمو ٤ : ١٢) فاحذر ان ان تستعملَ الوصية بهوى، فقد قيل في فصل آخر: «إدعوا رعيةَ الله لا كمن يتسلّط على ميراث الله، بل كمن يكون مثالاً للرعية وحين يظهر رئيسُ الرعاة تحصلون على اكليل المجد الذي لايبلى» (١بطرس ٥ : ٢- ٤). وقال الرسول بولس: «اقتدوا بي كما أقتدي انا بالمسيح» (اكور ١١ : ١). فإن الكبرياءَ غريبةٌ عن المؤمنين وذلك على حسب قول الرسول بطرس: «ان الله يقاوم المستكبرين ويؤتي المتواضعين نعمة» (١ بطرس ٥ : ٥ ويعقوب ٤ : ٦).

---

(٥) اللفظة اليونانية δυγετoس = ομιvopp تعني مدركاً حاذقاً فهيماً. لفظة «فَطِن» تجمع هذه المعاني وهي عكس الغبي الساذج.

١٣- اذا آذاك روحُ **الضجر** فلا تنقد لهذا الفكر، بل اثبت في المكان الذي نصبك الله فيه مكرراً الهذيذَ في شوقك الى الله حين أتيتَ في الابتداء الى باب الدير. وتمسّك بهذا الشوق الى النهاية، لئلا يتمَ فيك المقولُ: «فكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه» (دانيال ٧ : ٧). واصطبْر للرب فيها بعد كمجاهد ظافر بصبره على الذين يضربونه.

«فان الذي يصبر الى المنتهى فذاك يخلص» (متى ١٠: ٢٢).

١٤- كان أخ يتدرج في الدير المشترك وكان دائماً صامتاً ليقطعَ من ذاته الدالة. فقال فيه المبتدئون رفقاؤه: ترى، أيتكلم عن تقوى أم أنه لا يحسن التكلّم؟ وآخرون قالوا: ان فيه شيطاناً. وأما هو فكان يسمع هذه الاقوال ولايجاوبهم، بل كان يعطي مجداً لله في قلبه.

١٥- قال أخ: إني سألتُ الرب أن يمنحني **كلمة التواضع** لكي أقولَ لفكري اذا فعل أخي أمراً ما (اي اذا امرني ان افعل شيئاً ما) : هذا هو ربُّك فاسمعه واذا فعله آخرون (اي اذا أمرني آخر) هذا هو أخو ربك. واذا أمرني ثالث: اسمع ابنَ ربك. فأقاوم بذلك الافكارَ الخبيثة. وهكذا كان يعملُ عمله بلا قلق تؤازرهُ النعمة في ذلك.

١٦- بينما كان الأخوة يعملون في الليل عملاً اضافياً علاوةً على فريضة العمل تأذّى أحدهم من البرد فعاد الى حجرته. فتذمّر منه آخرُ، فأرسلو اليه أخاً يناديه. ولما أتاه الاخ المُرسل وجده يتألمُ بشدّة، فقال له: الاخوة يسألونك عن حالك كيف أنت؟ ويقولون لك: لا تبالِ بعملك فنحن نعمل ذلك. فقال: سأذكرُ محبتكم. أنا أتيتُ لا تعبَ معكم فمنعني مرضي. فذهب الرسولُ الى مرسليه وقال لهم: ان الأخ منهوكُ القوى كافة وقد قال: إني كنتُ أريد ان أتعبَ معكم.

١٧- تدرّجَ أخ في دير مشترك فحاربته الافكارُ لجهة التعب فأجابها قائلاً:

أيها العبدُ الرديء، قد بعت [6] فماذا يمكنك ان تصنع بعد؟ فمنحه الله تعزية.

١٨- كان الاخوةُ يوماً يأكلون، فقام أخ ليسقيمهم. فتناول منه أحد الشيوخ، فاذا بالماء حارٌ جداً، فقال له الشيخ: أحرقتني، يا ولدي. فمضى الاخ الى حجرته وضرب ذاته قائلاً: ترى لو كنتَ عبداً لانسان شرس الخلق وصنعت هذا، أما كان يُثخن لحينه جسدك بالجراح؟ فلا تتوانَ.

١٩- مغبوط الراهب الحافظ وصايا الرب والمهتم بهذه الثلاث:
١- المواظبة على الصلاة (كولسي ٤ : ٢ ورومية ١٢ : ١٢) والاشتغال بها. ٢- العمل ٣- الدراسة. فإنه قد كتب: «كفّوا إذنْ واعلموا اني انا هو الله» [7] (مزمور ٤٥ : ١٠). وأيضاً «امّا انا فمسكينٌ وفقير وفي الشقاء منذ حداثتي» (مزمور ٦٩ : ٥ ومزمور ٨٧ : ١٥) وأيضاً «وفي شريعته يهذّ نهاراً وليلاً» (مز ١ : ٢).

٢٠- اذا رأيت أخاً متهاوناً في أمر خلاصه فلا تَعثرْ بتوانيه ولا تُضارعْه في الكسل، بل احفظ ذاتك نقياً. فكيف نريد ان نجدَ رحمةً عند الله ان يحملْ بعضُنا أثقالَ بعض، (غلا ٦ : ٢). فلنحرصْ على ان لا نصنعَ عثرةً أو شكاً. فإن من لا يُغوي أخاه بأي وجه من الوجوه سيُدعى بالحقيقة عظيماً في ملكوت السماوات.

٢١- لا تتوانَ في أمرِ خلاصك أينما أقمتَ، لانه كُتب في ناموس موسى: «اذا ابتعت عبداً عبرانياً فليخدمْك ستَ سنوات وفي السابعة يخرج حراً مجاناً. وان قال العبدُ قد أحببت مولايَ وزوجتي وبَنِيَّ لا أخرج حراً... يثقب مولاه أذنه بالمثقب فيخدمه الى الأبد» (خروج ٢١ : ٥-٦). أيها الراهبُ، قد زهدتَ في الدنيا أو في العالم، وصرتَ محرراً لأن المسيح قد حررك (يو ٨ : ٣٦). فلا تحب

(٦) أي أنت صرتَ مبيعاً (مبيوعاً بالعامية).
(٧) أي دعوا الاهتمامات الدنيويّة.

من جديد التعبدَ للعالم الباطل لئلا تصيرَ اواخرُك شراً من اوائلك» (٢ بطرس ٢ : ٢٠). بل فلنعبدِ المسيحَ الذي حررّنا.

٢٢- اذا أقمتَ في مكان شهير الاسم، فاحذرْ ان يتسلّطَ عليك تكّبرُ العقل. فلا ترذلْ بذهنك الاخوةَ كانهم من جماعةٍ حقيرةٍ لأن الرب وحده يعرف خفايا القلوب، وذلك ائلا تكونَ أنتَ متباهياً بالورق واولئك حاصلين على الثمر. الأولى بك ان **تضعَ نفسَك** بقدر ما تطيق فتجد نعمةً لدى الرب، لأن قدرة الرب عظيمةٌ، ولأن المتواضعين يُعظَمونه ويمجدونه.

٢٣- اذا أقمتَ في طاعة أب روحي فلا تضعْ حدوداً لنفسك قائلاً: لا يمكنني ان اعملَ هذا أو ذاك. فانك ان لم تعملْ فلن تفلت من دينونةِ المعصية، فأنت تحتاجُ منذ الآن الى ان تصونَ نفسك بحسن تدبير، اذ ان هذه الافكار لا تثبتُ في النفس. واذا اتفق ان أمرت بما يفوق الطاعة **فلا تقاوم ترتيبَ الرئيس بغضب، بل بتواضع** وتوسّل. فبصوت منخفض تعرف الرئيسَ بالأمر الذي يفوق طاقتنا. ولنقاومْ حتى الدم في مجاهدتنا الخطيئةَ (عبرانين ١٢: ٤).

٢٤- قال أخ تضرعتُ الى الله لكي يُحلَ بركتَه ونعمتَه على عمل يدي حتى أقومَ بتهيئةِ الطعام لأهلِ الدير كافةً، دون ان يكون لي فضلٌ في ذلك.

٢٥- على المتقدّمين (اي الرؤساء) ان يراعوا استطاعةَ كل واحدٍ من المطيعين متذكرين الربَ القائلَ: فأعطى ثمراً الواحد مئة والاخر ستين والاخر ثلاثين (متى ١٣ : ٨)، وذلك لكي يَرضى كلٌ في مرتبته.

٢٦- اذا خرجتَ من الدير المشترك فأقمتَ منفرداً ثم عدتَ بعد مدّة طويلة الى المكان الذي خرجتَ منه، فذلك الفكرَ كأنك تبدأ الآن بالسيرة الرهبانية، فتنالَ راحة. ولا تكنْ لك (في البدء) تقوى ثم تصير بعد أيام بلا ورعٍ. بل فليقهرْك التواضعُ في كل حين فتمجدُ نعمةَ الله.

٢٧ـ قد يتّفقُ ان ينجحَ أحد الأخوة في التقوى، فيجنّدُ العدوُّ عليه أحدَ الاخوة المتوانين جداً لكي يزعجَه. فيعرضُ ان يتجنّبه الأوّل بحسب جهله. وقد يحدثُ بعد إصلاحِ ذاتِ البين ان تثورَ الافكارُ المضادة عليه[٨] فيقول: أهلكتَ التقوى. ها قد انفضحتَ أمام اخوتك، فماذا تنتظرُ. استعملِ الصراحةَ لئلا يُسيئوا استعمال بساطتك كضعيف وذليل لأنه قد كُتب: «مع المعوج تبدو ملتوياً» (مز ١٧: ٢٦)، ولا تتذلّلْ لرجلٍ أحمق.

وليس معنى هذا كذلك والا فتماثلُ فاعلي الاثم لان الرسولَ يقولُ: لا تنغلبْ للشر بل أغلب الشرّ بالخير (رومية ١٢: ٢١). والربُّ يوصي قائلاً: «من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخرَ» (متى ٥: ٣٩). على هذا المنوال ينبغي أن نبدو ملتوينِ مع المعوج، غيرَ خاضعين للخطيئة لأنه قد كُتب: «الحقَ الحقَ أقول لكم إن كلَ من يعمل الخطيئةَ هو عبدٌ للخطيئة» (يوحنا ٨: ٣٤). فإن لم يقاومِ الأخُ بهذه الخواطر ويجاهدِ المضادين، فلا يَدَعونَه يثبتُ في طريق الفضيلة بل يُصيّرونه غضوباً. وساخطاً ومقرّعاً، فظَ الاخلاق لايَجني نفعاً لذاته، بل يُعطي النفوسَ الأخرى فرصةً للارتداد[٩]. أمّا اذا سلك في السيرة الشريفة بتعقّل فيُصبح أوفرَ حكمةً في المصارعة بما أنه يكون قد اختبر المضرّةَ وعرفها.

٢٨ـ كان أخوان يحلاّن أثناء السهرة عقدَ خيوط الكتان الملفوفة. فكان خيط الكبب ينقطع دائماً. فطفق أحدُ الاخوين يغتاظ في فكره على الأخر. ثم شاء[١٠] أن يغلبَ الغضبَ ولا يُغمَّ أخاه فلجأ الى الحيلة التالية: الا وهي انه أخذ يقطع خيوطَ كتانه هو حين كان أخوه يمدّ كتانه. وهكذا وُجدت الكبتان معقدتين. فانطلقا ولم يُحزن أحدُهما الأخر ولم يعلم الأخ ما صنع أخوه.

---

(٨) على الأول التقيّ.
(٩) أي يُفسد الآخرين. الارتداد هو الرجوع عن الدين أو المذهب أو الطريقة.
(١٠) هذا الأخر.

٢٩ـ كان أخ يقرأ الميمر في السهرة وفأثر ان يتمم الفصلَ، فاستمرّ قليلاً في القراءة، فطفق راهبٌ آخر يتذمر منه قائلاً: قد سمعَ. قفْ فلم يقفْ. فقال له آخر: تُرى لو أمرنا الرئيسُ ونحن نتغدّى بان نشرب قدحاً اضافياً اما كنا نقبل ذلك بسرور؟ فلما سمع الاخ ذلك سجد سجدة قائلاً: إغفرْ لي.

٣٠ـ قال أخ لاخيه: لماذا ترفع الفضارة (أي الصحن الكبير) بسرعة ولا تدعنا نأكل؟ فاجابه: أنا عبدٌ. وما يأمرني به الذين هم أكبر مني فاياه أفعل. فلما سمع الاخ ذلك قال: إغفرْ لي.

٣١ـ أنا أعتقد انه من المفيد للاخوة أن يأخذَ الرئيسُ المتقدم على ذاته كلَ اهتمام المطيع[١١] ويجعل الاخَ بلا همّ وبدون ان تغلبه الاشياء التي تتجاذبُ ذهنَه، وخاصة بدون أن يدعها تعوقه بالاهتمام بالزائرين العالمين، وذلك لكي يشتغلَ فكرُ الاخ بالصلاة وحدها، فيبادر مرتقياً الى سموّ الفضائل كالنحلة التي تعمل بحرص، فان الرسول يقول «ان العشرةَ الرديئة تفسد الاخلاق السليمة» (اكور ١٥ : ٣٣). فان غرقاً عظيماً يغش النفوس في المكان الذي لا يراعي السلوك فيه القوانين والتدابير الروحية.

٣٢ـ أيها الراهبُ، اذا زارك أخ راهبٌ أو عالمي فلا تنفق على ضيافة فوق طاقتك لئلا تندم بعد انصرافه على الأشياء التي أنفقتها، بل قدّمْ الشيء الذي ييسّرُه الرب فانه من الافضل ان تقدّمَ مسلوقات بمحبة من ان تقدم مسمّنات ببغض فالرب يحبّ الراحمَ الباش (رو١٢ : ٨).

٣٣ـ أيها الأخوة لم أبتغ من هذا ان أزيلَ منكم الغرباء بل أن يكونَ قربانُكم حسنَ القبول بلا عيب على حسب ما يعلم القائل: «كونوا مضيفين بعضكم لبعض من دون تذمر» (١ بطرس ٤ : ٩). وأنتم لا تحتاجون الى أن أكتب اليكم

---

(١١) أي الراهب الخاضع لطاعته OKLKاشlOπUس

في محبة الضيافة لانكم قد علمتم ان ضيافة الغرباء هي أفضل من فضائلَ عديدة اذا أضاف ابراهيم بها ملائكة (عب ١٣ : ٢) وبسببها لم يهلك لوط مع الصدوميين[١٢]. وكذلك لم تهلك راحاب الزانية مع العصاة حين قبلت الجاسوسَين بسلام (يشوع ٢ : ١) فإن المسيح يقول: «كنت غريباً فآويتموني» (متى ٢٥ : ٣٥)، «وطوبى للرحماء فانهم يُرحمون» (متى ٥ : ٧).

٣٤ـ اذا زادك أخٌ ووقفتما تقيمان الصلاة المعتادة، فأمرتَ الأخَ ان يتلو شيئاً يسيراً مم قد حفظه، فاستعفى للمرّة الأولى والثانية والثالثة فلا تكرهه، فإنه يوجد كثيرون لا يعرفون ان يكرزوا بالفضيلة بالقول بل بالعمل. وبهذا تسرّ قلب أخيك لأن الخصومة لا تكون أبداً طريقاً الى الفضيلة، بل من طبعها ان تنشيء غضباً.

٣٥ـ اذا تعهدتَ مريضاً فاحرص على الّا يزرع العدوُ بينكما كلاماً لغواً ووقيعة (أي ذكرُ معايب الناس)، لئلا تخسر ثوابك فإن للمحال مثلَ هذه العادة وذلك يجعل الواحدَ يخسر بالسمع والآخرَ بالنطق. وانما عليك ان تعزّي المريضَ بأقوال الكتب الإلهية وبآلام المخلص.

٣٦ـ اذا زارك أخ غريب فأعنه على قدر طاقتك لتكونَ مساعداً لمحبة الضيافة فيمهدُ الرب طرقَك.

٣٧ـ اذا خرجتَ الى العمل مع اخوتك فساعدْ أضعفَهم قوّةً على قدر الاستطاعة التي وهبك اياها الله متيقناً أنك تأخذ من الله ثوابَ التعب والترثي. واذا كنتَ خائرَ القوة وسقيماً فلا ترغبْ في التكلّم كثيراً، ولا تأمر وترتب الوجائب مجترئاً، بل اخترِ الصمتَ والهدوءَ. فاذا رأي الربُ تواضعك يُقنع قلوبَ اخوتك بان لايصنفوا عليك ثقلاً.

---

(١٢) تكوين ١٩ : ١ ـ ٣ و١٥.

٣٨ـ المتوحدون يُطوبون الذين في الاديرة المشتركة لانهم يسيرون سيرة يغلبون فيها. والذين في الاديرة المشتركة يطوبون المتوحدين ولا سيما منهم [١] اولئك الذين يسلكون بتوانٍ والمثقلون بالضجر[١] أمّا الكامل الرأي فينفر بسهولة من فخاخ العدو لأن هوى حب المال هو كليُّ الرداءة حتى انه أصلُ كل شر (اتي ٦ : ١٠). فعلينا ان نعرف بماذا يُقتلع أصله اي بان يكون «اتكال الانسان على الله بكل قلبه ونفسه» (أم ٣ : ٥).

٣٩ـ اذا كنتَ نشيطاً في عملك وصانع الامور العظيمة فلا تتشامخ بهذا، ولا تحتقر الاخوة الذين هم أضعف منك قوة فانك لا تتم بذلك الفضيلة بل الاحرى بك ان تكرم الله وتتقيه ليرزقَك القوةَ حتى النهاية. فالمتوكلون على قوتهم هم جهّال (ام ٢٨ : ٢٦) والمفتخرُ فليفتخرْ بالرب (اكور ١ : ٣١).

٤٠ـ يجب ان لانحسدَ الأخ على نجاحه لأننا جسد المسيح نحن (اكور ١٢ : ٢٧). أيها الراهبُ، اذا شكاك رئيسُك أو من يُفوضِ اليك العمل مريداً تحسين العمل فلا تقبل التوبيخ بتثاقل، بل الاوْلى بنا ان نُجيدَ العمل بصورة أكمل وبضمير صالح لكي يشكر الله من يبيع السلعة ومن يبتاعها. ولنقل للذهن: ترى، لو ذهبنا في اليوم التالي نبيع أو نشتري، أما يُصيب الكدرُ والاغلالُ ذهنَنا بسبب الغشّ وعدم الاتقان.

* * *

٥٢ـ اذا أصابكَ مرضٌ فلا تكاتبْ باستمرار والديك الجسديين، ولا تلجأ

---

(١٣) أي من سكان الاديرة المشتركة.

(١٤) تجربة شيطانية تنفّر المتوحّد من توحّده وراهب الدير من الحياة المشتركة مع الرهبان. والضجر عدوّ الانسان من المهد الى اللحد. النصر عليه مستحيل الّا بيسوع وتدريب المدرَّبين بين الروحيين الحاذقين.

الى معونة زائلة وعناية بشرية، بل الجديد بنا ان نطيلَ اناتنا منتظرين رحمة الرب لكي يدبّر أمرنا في كل شيء فإنه قد يكون الوقت زماناً يحتاج فيه الجسدُ الى التأديب. فلنرضِ الله في كل النوائب، فانه هو المعتني بنا (١ بط ٥ : ٧).

٥٣ـ مرض أخ مرة فجسمَ نفسه عناءَ العمل (أي غصب نفسه على للعمل) وبكى على انفراد في حجرته متضرّعاً الى الرب لكي يمنحه عافية. ثم قال في نفسه: يا ويلي انا المتواني في حقّ نفسي في كل حين ولا أهتم بصحتها، بينما طلبت الى الرب بدموع شفاءَ جسدي. ثم لما تألم يسيراً قال: ايها الرب يسوع المسيح، اشفِ نفسي وجسدي لئلا اكونَ عبئاً على الاخوة. ولا أقول هذا، يا رب، معتقداً ان الانسان يقتات من قوته فانك إن لم ترزقه، ايها السيّد، حاجاته والأشياء التي تكفيه فهو ليس بشيء. بل، ياسيّدي، هب الصحة لعبدك البطال، فانك أنت هو الله اله التائبين وبي توضح كلَ صلاحك لأني غيرُ مستحق.

فبريء وهو بعد ينجز عمله، وقال ما جاء في كلام بولس الرسول: «متى ضعفتُ فحينئذ انا قوي» (٢كور ١٢ : ١٠). فإنه في الحقيقة اذا مرض الانسان تصير نفسه ملحّة إلحاحاً لا يوصف. حسنٌ هو التأديب اذا شكر المؤدب. ومن نال هذا فليقل: «أنقبلِ الخيرَ من الله ولا نقبل منه الشر؟ (أيوب ٢ : ١٠). «ليكن اسم الرب مباركاً (ايوب ١ : ٢١).

٥٤ـ اذا جلستَ بعد تنفيذ القانون فلا تدع الضجرَ يغلبك بايحائه اليك ان تكفَّ عن العمل في اليوم الثاني أو الثالث من الاسبوع. فهذا يطرأ على البعض في الأديرة المشتركة، لانه يلقي في ذهن الراهب أن يرتاحَ اليومين الثاني والثالث من الاسبوع، ويدعه يتلوّى بأفكاره حتى نجاز العمل في باقي أيام الاسبوع. فانت تشدد في كل أمر كيلا يجد المقاوم ما يفعله. جاهد في النهار، ولا توثق عقلك بالاوهام والحزن، فيشتغلَ بالصلاة.

٥٥ـ اذا زهد أحد في العالم، وخرج الى الأخوة، وطفق يتدّرب وهو مبتدىء

بعد يُلقي الخبيثُ في نفسه شهوةَ الحظوى بارتداء اللباس الرهباني (الاسكيم) قبل الزمان المعينّ له، وذلك كيلا يحتمل الاخ كبر الشهوة فيهرب من الميدان (من الجهاد).

وان صبر ولبس الاسكيم. يوحي اليه أن يخرج من الدير المشترك ويقيم متوحداً مورداً له هذه الاسباب: اخرج من هنا واسكن متوحداً واعمل قليلاً، انك ضعيف ولا يمكنك احتمال تعب هذا العمل. واذا خرج الاخ غيرَ محتمل بشهامة تعب النسك يجد اتعاباً تتكاثر بوفرة واذا اتفق أصابه مرض يندم أيضاً على تركه مكانه.

٥٦ـ قد يتفق ان يمدَّ الخبيثُ اخاً بنشاط في النسك وتقشف في السيرة حتى حدّ الافراط. ثم يورد له بعد زمانٍ يسير طولَ المدّة وخطرَ الاصابة بمرض الجسم من جراء التعب المضني الذي يقاسيه الى أقصى حدّ. فان كانت نفسُ الاخ ظامئة الى الخلاص فلا يثق بالافكار الخداعة، بل يذعنُ الإرشاد الناس المختبرين والمتّقين للرب ومشورتهم، فيصدّ عنه هجومَ الافكار. واذا كان لا يسلكُ طريقَ الفضيلة يجني عليه الهوى فيرتبطُ بالنسك غيرَ مؤثر ان يكون في المكان مع الأخوة نظرائه، وذلك لكي يستعملَ الشهوة كما يشاء. لكن أمثالَ هؤلاء يتردّون في حفرة السقوط لانهم انما باشروا عملَ الفضيلة لارضاء الناس، ولأن أساسهم لم يكن على الصخر بل على الرمل (متى ٧: ٢٥ ـ ٢٦). ولذلك حين نزلت الامطار وجرت الانهار وهبّت الرياح وصدمت ذلك البيت بالافكار سقط (متى ٧: ٢٧). فقد توهّموا انهم قد حازوا الفضيلةَ، فصاروا متشامخين. ولما سقطوا ألقوا بذواتهم في وهدة اليأس الذي لا يجوز الجنوح اليه. فانه قد كُتب: «اذا عثر الرجلُ فلا ينصرعْ» (مز ٣٦: ٢٤). «وليست مرضاتي بموت المنافق لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا» (حز ٣٣: ١١). أما السالك بما يُرضي الله فاذا أجرى كل فضيلة فلاَ يتشامخ ولا يترفع، بل يواظب على التفكير في عظمة الرب وكيف انه «وضع نفسه وصار يُطيع حتى الموت، موت الصليب» (في ٢: ٨)، وينذهل من خشية الموت كما يعلم القائل: أحسب ذاتي ترباً ورماداً (تك ١٨: ٢٧).

ان من يريد أن ينسك بحسب ما يشاء الله لا يفوض أمره الى سقطةٍ رديئة . وإذا ماجنحت نفسه الى هفوة ما بما أنه انسان فاذا قد علم الرب فقدانَ الشر من قلبه يثبّت نفسَه ويعضدها بعظات عبيده. اما من يوعظ فيجاوب انما يشبه فرساً شموساً لا يرهبُ اللجامَ حتى يودي براكبه، لأن القاسي القلب يسقط في المساوىء.

إن من يريد أن ينسك بحسب ما يشاء الله لا يفوض أمرَه إلى سقطةٍ رديئة . وإذا ما جنحت نفسه إلى هفوة ما ـ بما أنه إنسان ـ فإذ قد علم الرب فقدانَ الشر من قلبه يثبّت نفسَه ويعضدها بعظات عبيده . اما من يوعظ فيجاوب انما يشبه فرساً شموساً لا يرهبُ اللجامَ حتى يودي براكبه ، لأن القاسي القلب يسقط في المساوىء .

٥٧ ـ من يتوانَ في أمر خلاصه وفي العمل في الدير المشترك يصرْ مثالَ توانٍ لاخوة كثيرين . أمّا المهتم بخلاصه فيؤهل لشرف عظيم في السماوات ، لأنه صار مثالاً صالحاً في العالم الحاضر ، وأثار نشاط الاخوة المتوانين الى مباشرة الفضائل . فكما ان المحارب الاوّل في الصفوف أثناء الحرب يحظى بكرامة لدى الجميع هكذا يكرمُ اللّهُ من يتيقظ في عمله .

● **فضيلة الراهب :**

٥٨ ـ أيها الراهبُ ، اذا خطئتَ وفعلتَ ما لا يجب ، فلا يخادعْك الفكرُ ، فتتعظم وتقول : ان الراهبَ افضل من الانسان العالمي ولو فعل شروراً كثيرة . فإنه قد كُتِب : «ليس من وصّى بنفسه هو المزكى بل من وصّى به الرب» (٢ كور ١٠ : ١٨) . فأنت إفحص أعمالك أولاً ان كنتَ قد نهجتَ بالحقيقة سيرة زاهدٍ ، لتعلمَ ما اذا كنتَ قد رفعتَ ذاتك أو غلبتَ الشهوة ، وأحببتَ المسكنة ، أو أبغضتَ النميمة ولم تحبب الباطل أو مقتَ الخطيئة ، ورفضتَ اللذة وغلبتَ العالم ولم تؤذِ أحداً ، أو اذا لم تسخط حين شُتمتَ ، ولا تترفع اذا مُدِحتَ أو إذا كنتَ قد أحببتَ الربَ بكل قدرتك وقلبك وقريبَك كنفسك (لو ١٠ : ٢٧) . فإن كنا

لا نحفظ هذه فلا نتعظمنّ بكلامنا ، اذ يجب علينا ان نبكي أمام صلاحه لكي يَشفي قساوةَ قلبنا ، ويجعلَنا مستحقين لان نسيرَ السيرةَ الضيّقة الفاضلة . الويل للراهب الذي أضاع الورع وتمادى بجسارة في شرب الخمر . فإن لم يتيقظ فسوف يضطرّ في نهاية حياته إلى ان يذوقَ المرّ ، بينما الذي يحفظ طرقه بمعونة الرب سوف يرث مجداً أبدياً .

يجب ان لا نضع قانوناً على المبتدئين حتى لا ينتقلوا من شيخ الى آخر . هذا اذا كان الانتقال مستحسناً لأن مكائد الشيطان عديدة .

ويجب ان لا يسمح لمن هو فتىً ان يدلّ (اي ان تكون له دالة) على الاخوة ، بل الأليق ان يكون في سكون وطاعة .

وينبغي ان لا يشكك المتقدمون الاطفال ويصيروا لهم قدوة سيئة لأنه كتب : «ويل لمن يسقي صاحبه ويسكب عليه مرارته» (حبقوق ٢ : ١٥) بل يجب ان نصير قدوة للمؤمنين . وليس لمن يريد الخلاص ان يلتفت الى هفوات الآخرين ، بل ان ينتبه الى ذاته لانه قد كُتب : «لذلك نحرص أيضاً . . . ان نكون مرضيّين عنده . لأنه لا بدّ اننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينالَ كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً» (٢ كور ٥ : ٩ ـ ١٠) .

ان كان أحدٌ لا يطيع من هو أكبر منه كما يجب فليحتمل هذا (أي الأكبر) وهنَ المبتدىء . فإن هذا التعب نفسه يصون اتعاب الزمن الذي عبر اذ ان الرسول يقول : «يجب علينا نحن الأقوياء ان نحتمل وهن الضعفاء ولا نرضي أنفسنا . فليرضِ كل واحد منا القريب للخير» (رو ١٥ : ١ ـ ٢) .

٥٩ ـ لا يثبت الراهب في مكان ما ولا يجد راحةً ان لم يحبب الصمت والامساك أوّلاً لأن الصمت يعلّم الهُدوء والصلاة المستمرة ، ولان الامساك يجعل

الذهن غيرَ مغلوب وغير مشتت . وأخيراً ان السلام يتبع ذاك الذي يتمسك بالصمت والامساك [١٥] .

● اثناء التجربة :

٦٠ ـ في اوان التجربة تُعرف دربة المؤمن . فيجب الا نضجر [١٦] في أوان المحنة ، بل ان نتيقّظ في الصلوات ونصنع الصدقة [١٦] . ان الذين يركبون البحر يتيقظون اذا داهمهم الشتاء القاسي ويغالون في السهر ويستغيثون بالرب كما كتب في سفر يونان النبي : فاشرفت السفينة على الانكسار فخاف الملاحون وصرخوا كل الى آلهه وألقوا الامتعة التي في السفينة الى البحر ليخففوا عنهم (يونان ١ : ٤ ـ ٥) . وهذا الامر هو نموذج الزهد في الامور الأرضية لأنه يجب ان نستهين بالامور الارضية العالمية ونستعيض عنها بما هو للحياة الأبدية ، وان لا نيأس من ذواتنا اذا طرأت علينا محنة . فإننا نرى النبي غيرَ يائس من خلاصه وهو في بطن الحوت ، بل ثابتاً مصلّياً وقائلاً : «إلى الرب صرخت في ضيقي فاستجاب لي . من جوف الجحيم استغثت فسمعتَ صوتي (يونان ٢ : ٣) ، لأن الرب لم يُعرض عن المستغيثين به بالحق .

فنحن الآن فصاعداً ، اذا نزل بنا ضيق فلنلجأ الى الرب على حسب ما يأمر للقائل : «انهم في ضيقتهم قد التمسوك» (أشعيا ٢٦ : ١٦) . ولا يمكن ان نجتاز بحر هذا العمر الحاضر بدون محنة . فإذا تمسّكنا بالايمان بالرب فسوف يُدخلنا الى ميناء الحياة فنخلع عنا التعب ونلمس الحياة وعدم البلى .

---

(١٥) الصمت يعمق الحياة الداخلية فينفق الصامت طاقاته في الصلاة المستمرة والهذيذ بالله هذيذاً ساكتاً هادئاً لا تغتاله الثرثرة والكلام البطال . امّا الامساك فيفرّغ الذهن من الهموم الباطلة فلا يغلبه الفكر العالمي ولا تتجاذبه أمواج العمر . والعقيّ هي ازالة التمزّق الداخلي بين قوى النفس التي قطّعتها الخطيئة ألف قطعة . آنذاك يحلّ السلام الداخلي .

(١٦) الضجر هنا يهدم الرجاء والصبر وضبط النفس . اليقظة في الصلاة موضوع رئيسي في كلام ايسيخيوس دير العلّيقة بسيناء عن صلاة يسوع . امّا الصدقة الطاهرة فهي عمل أبينا الرحمن (لو ٦ : ٣٦) .

٦١ ـ اذا داهمك الضجر فلا تسقط ، بل تضرّع إلى الرب فيمنحك طول الروح . وبعد الصلاة اجلس واجمع شمل أفكارك وعزّ نفسك على حسب ما يأمر القائل : «لماذا تكتئبين يا نفس وتقلقين» [١٧] فيّ ؟ ارتجي اللّه فإني سأعود أعترف له وهو خلاص وجهي والهي» (مزمور ٤١ : ١١) وقل : لماذا تسأمين يا نفس ؟ هل ينبغي ان تكون سكنانا دائماً في هذا العالم ؟ واسمع القائل : «انا في الأرض غريب (مزمور ١١٨ : ١٩) ، مثل آبائي . تذكر الذين سبقوا فأقاموا في الدير الذي أنت فيه وتأمل واعلم انه كما انصرف اولئك من هذا الدهر هكذا بلا ريب سنرحل ونتصرف نحن بمشيئة اللّه . أمّا حياة الصدّيقين فهي كائنة بعد الوفاة . لذا لما اشتاق النبي الى الحياة الآتية هتف قائلاً : «كما يشتاق الأيّل الى مجاري المياه كذلك تشتاق نفسي اليك يا اللّه . ظمئتْ نفسي الى اللّه ، الى الاله الحي ، متى آتي وأحضر أمام اللّه» (مزمور ٤١ : ١ ـ ٢) ، فإن القديسين كانوا يحسبون هذا العمر الحاضر حبساً (مزمور ١٤١ : ٨) . ولذلك قيل في سفر آخر : «الآن تطلق عبدك أيها السيد على حسب قولك بسلام» (لو ٢ : ٢٩) . وعلى هذا المنوال رغب الرسول في «أن ينحلّ فيكون مع المسيح» (في ١ : ٢٣) .

٦٢ ـ حنق شيخان على شيخ آخر فاتفق ان مرض أحدهما فمضى أحد الاخوة ليفتقده ، فتضرّع الى الاخ قائلاً : بيني وبين الشيخ فلان خصومة وأودّ ان أعزّيه واستعطفه لكي نتصادق من جديد . فقال الأخ : إن تأمرني ، يا معلّم ، فأنا أمضي وأعزّيه . فمضى الاخ وافتكر في ذاته قائلاً : لعل الشيخ لا يقبل التضرّع والتعزية فيزداد النفور . وبتدبير من اللّه أتاه أحد الاخوة بخمس تينات وقليل من التوت . فاختار الاخ تينة واحدة وقليلاً من التوت وحملها الى حجرة الشيخ ، وقال له : هذه البركة اهداها انسان الى الشيخ فلان (اي الشيخ المريض) ، فقال هذا لي : خذها فأعطها للشيخ . فبهت الشيخ إذ سمع هذه الكلمات ، وقال للأخ : أهو ارسل هذه الي ؟ فأجابه الاخ : نعم . فاستلمها

---

(١٧) ترجمة دار المشرق عن العبرية : «لماذا تكتئبين يا نفسي وعليّ تنوحين ؟ ارتجي الله فاني سأعود أحمده وهو خلاص وجهي وإلهي» .

قائلاً للأخ : «نِعْمَ القدوم قدومك» ولما انصرف الاخ من لدن الشيخ أتى الى حجرته واخذ تيناً وقليلاً من التوت أيضاً وحمله الى الشيخ المريض ، وسجد سجدة وقال : اقبل هذه ، يا معلّم ، فقد أرسلها إليك الشيخ فلان . فسأله ألعلّنا قد تصادقنا ؟ فأجابه الأخ : نعم ، يا معلّم . فقال له الشيخ : «المجد للّه» . وتصادق ، بنعمة اللّه ، الشيخان ، وعادا الى المسالمة بثلاث تينات وقليل من التوت ولم يعلما بما فعله الاخ[١٨] .

٦٣ ـ احتيج في دير مشترك الى أحد الأخوة ليتسلم منصب الخولي (اي وكالة الانفاق) . فاختار الرئيس بحسب ايثاره أخاً يقوم على هذه الخدمة فلما عزم الأخ أن يغادر حجرته أودع آنيتها عند أخ آخر قائلاً له : ان اتفق ان اعتزلت منصب الخولية فعليك ان تردها اليّ . فعاهده الاخ على ردها . وبعد قليل من الزمان تنحّى الاخ عن وظيفته قائلاً في نفسه : «إني مستريح أكثر في هدوء حجرتي . فسأل الاخ قائلاً : ردَّ الي الآنية التي اودعتك إياها . فأبى ان يردها . ولما رأى الاخ الأول ان الاخير قد احتدّ ولا يريد ان يُعيد إليه شيئاً مما له سكت . فتضرع إليه اخ آخر قائلاً : اصنع فعل محبة . ان كان الاخ قد أودعك شيئاً فلا تحرمه من متاعه لئلا يطرحك الحكم العادل خارجاً . فقال لهذا : لا شيء له في ذمتي . وبعد خمسة أيام أو أكثر اضطربت أفكار الاخ الذي أخذ الاواني وخرج من الدير بحزن كبير . فإن الرئيس وعظه كثيراً ألّا يخرج من الدير ، فشتمه وخرج . وأمّا المدبّر ففتح حجرته بأمر الرئيس ووزع الأواني التي فيها على الأخوة . ثم حدث بعد أيام قليلة ان ندم الأخ وعاد الى موضعه فوجد حجرته مفتوحةً والعدةَ التي كانت فيها قد وُزِّعت . فحزن جداً ولم يلبث ان استوفى أجر ما فعل بالأخ .

---

(١٨) سخر القديس باسيليوس الكبير من أخيه القديس غريغوريوس النيصصي واتهمه بالسذاجة لارتكابه كذبة مماثلة . لله دره . الكذب هو الكذب . وهو عدوّ الحق والحق هو يسوع ، بينما الشيطان هو أبو الكذابين . (يو ٨) .

(١٨) القصة نفسها يرويها القديس كاسيانوس : لا ذكاء ولا دهاء ولا حذف ولا «حربقة» في الكذب بل الخبث والاعوجاج والانحراف و«الشيطنة» . كان الأفضل ان يعلم الشيخ المريض بمسعاه ، وان يعرض على الشيخ الآخر مسعاه .

٦٤ ـ سأل أخ آخر قائلاً : إن المعلّم قد أقامني على وظيفة صنع الخبز فأصنعه للأخوة . والفعلة عالميّون يتفوّهون بألفاظ غير لائقة ، فلا انتفع اذا سمعتُها . فماذا أفعل ؟ فأجابه قائلاً : أما رأيت كيف ان الصبيان يتعلّمون الكتابة بين الكثرة (من الناس) ، وكل واحد منهم يدرس امثولته لا ما تعلّم رفيقه ، عالماً انه سيتلو عن ظهر القلب على المعلم ما قد كتبَ له لا ما قد أملي على رفيقه . اذا كان الهوى يغلبك فاسمع للقائل : «امتحنوا كل شيء وتمسكوا بما هو حسن» (١ تس ٥ : ٢١) . من يهذر بين الكثيرين يسبب الخصومات العديدة والمقت لنفسه . من لا يشفق على شفتيه فهو يُحَبُ . مخافة اللّه عونٌ عظيم للنفس ، تطرد منها الظلمة وتجعلها صافية نقية .

٦٥ ـ لنجدّ في العمل بروح الصلاة [١٩] ، لأننا سننال ثواباً ان أتممنا العمل بلا غش . فمن يتوانى في عمله عن مماحكة او محبة ذات أو محبة فضة فسيسمع المكتوب : «أعطِهم مثل صنع ايديهم» (مز ٢٧ : ٤) . ومن يعمل بضمير صالح كأنه يخدم اللّه لا الناس (١ كور ٣ : ٢٣) ، يُؤهَّلْ لذلك الصوت المبارك : «أحسنتَ أيها العبد الصالح الأمين ، قد وُجدتَ أميناً في القليلِ فسأقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربك» (متى ٢٥ : ٢١) .

اذا انطلقت من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك (تك ١٢ : ١) وأراحك الرب آلهك في المكان الذي أنت عازم على الاقامة فيه فلا تودّ ان يشتهر اسمك في المكان فيما بعد ولو كنت رئيساً وعظيماً جداً في أرضك ، بل قل لذهنك ما قاله النبي : «أنا بائس ومسكين فأسرع اللهمّ إليّ» (مز ٦٩ : ٦) لكي يعضدك اللّه ويرفع شأنك [٢٠] .

---

(١٩) قاعدة رائعة . افرام هو القائل : «الصلاة أم الفضائل» هي أمّ الصوم النقي ، والعمل البار ، والصدقة الطاهرة ، والقراءات الروحية الممزوجة بالروح القدس .

(٢٠) سخر باسيليوس من عضو في مجلس الشيوخ صار راهباً دون التواضع : «ضحّيت بالشيخ (أي عضو مجلس الشيوخ) سنكليترس ولم تصر راهباً» (المؤسسات الرهبانية الكتاب ٧ الفصل ١٩) .

٦٦ ـ لماذا تضعف نفس الاخ في قلايته ؟ متى كانت النفس تتخيّل الأمور الأرضية وتلاطف شهوات هذا العالم واللذات الباطلة النافذة الى النفس تُشلّ قوّتُها . فمن هنا ينشأ سأم الأخ اذا جلس في قلّايته . أمّا اذا مقت هذا العالم وطغيانه ونذر ذاته وعبدَ الربَّ بكل قلبه وبكل نفسه فلا يقوى عليه صغرُ النفس ، فيعمل عملَه براحة بعد ذلك ، ويكافح المجد الباطل . فعبد الرب يطرد المجد الباطل بتفكره المستمرّ في ضعف طبيعته . ولِمنْ هي الموهبة كما يعلم القائل : «أي شيء لك لم تنله ؟ فإن كنتَ قد نلته فلماذا تفتخر كأنك لم تنله» (١ كور ٤ : ٧) . هذه المصارعة هي مع ضعف البشرية . وعبد الرب لا ينذهل ولا يفصل ذاته عن محبة اللّه ، بل يقول مع القائل : «من يفصلني عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم جوع أم عري أم خطر أم اضطهاد أم سيف ؟» (رو ٨ : ٣٥ و ٣٩) . . . الاهواء كافة تتبع روح الزنى ، فاهرب من الأقوال الرديئة تهرب الافكار الدنسة . اذا أمرنا المتقدمون ان تمضي الى العمل مع الأخوة فلنبادر الى ذلك بنشاط وبدون مماحكة المتوانين . فمن كان قادراً على العمل ولم يعمل يخسر ذاته من عدة وجوه : أوّلها هو أنه يفقد ثوابه . وثانيها هو أنه أعطى سبباً للتذكر والاغتياب متبعاً محبةَ الذات . فعلى الحريص ان لا يلتفت الى أفكار التواني والاضطجاع . كل واحد يجمع طعاماً لنفسه ولدوابه على قدر ما يسمح له الوقت بذلك ليبقى غيرَ محتاج فإذا كان الحرص في الأمور البشرية شديداً هكذا أمَا يجب ان يكون أشدّ في الروحانيات ؟

٦٧ ـ انه لأمرٌ محمود ان نقدم الاكرام للشيوخ ولَعملٌ محمود ان نتألم مع المرضى والضعفاء لأن الشيوخ الحكماء يدرّبون الاخوة على ثبات النفس . بدء الكبرياء هو ان لا يشاطر الانسان اخوته التعب على قدر طاقته . اذا خرجنا الى العمل فلا نكثر الكلام ، بل فلنكن حريصين على الأمر الذي خرجنا لاجله .

عدم التقوى ينشيء الكبرياء والكبرياء هي أم عدم الخضوع . والتواضع والوداعة ينجيان من يحرزهما بمخافة اللّه كاسطوانة مثبتة في هيكل اللّه .

٦٨ ـ لا يليق بالراهب ان يكون مرتبطاً بصداقة مع امرأة . وأما من بتولة فلا تدن أبداً اذا كان فيك اهتمام جسداني . فإن الراهب الذي يعاقر الخمر مع النساء لا يختلف في شيء عمن يلقي بنفسه في النار . ومن يهرب من محادثتهن ينج كالغزال من الفخ وكالطائر من الشرك .

٦٩ ـ اعمل في زمان فتوتك كيلا تندم في أواخرك . لا يغرْ قلبك من الناس الخطأة لأنه كتب : «لا تغرْ من الاشرار ولا تحسد صانعي الاثم ، فإنهم يُقطعون سريعاً كالخضر ويذبلون كطري العشب . فتوكلْ على الرب واصنع الخير» (مز ٣٦ : ١ ـ ٣) .

٧٠ ـ ان سار أخوك سيرة رديئة فعظه قائلاً : ارجع عن غيّك فهذه السيرة لا تليق بك . واذكر له نموذجاً واحداً من الذين سقطوا لا كمن يعيّر بهفوة ، بل لتفيد الحاضر حتى اذا ما لاحظ العطب اللاحق يهرب من السقطة .

واذكر الذين أرضوا الرب ، وقابل بين مجازاة الفريقين . فإن سمع لك فقد ربحت أخاك (متى ١٨ : ١٥) . وان أصرّ على عزمه ذاك ووعظه آخرون أيضاً ولم يذعن بل استمرّ في ارتكاب أفعال التهاون فاحفظ أنت نفسك منه وابتهل الى الرب من أجله على حسب ما يأمر القائل : «ان كان أحد لا يطيع ما نوصي به في الرسالة فلاحظوه ولا تخالطوه لكي يخجل ولا تنزلوه منزلة عدو بل عظوه وعظ أخ» (٢ تسا ٣ : ١٤ ـ ١٥) .

٧١ ـ من هو الذي رأى انساناً يجتاز طريقاً فسقط فيها سقطةً أفضت الى الموت ولا يهرب من تلك الطريق لكي لا يتردّى هو أيضاً في تلك الهوة نفسها ؟

● **الطهارة**

٧٢ ـ لا يغرّنك شبع البطن ولا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة» (أفسس ٥ : ١٨) . فما لك من فائدة في ذلك ، وانما في ان تعمل مشيئة الرب (يو

٤ : ٣٤) . احفظ طهارة الجسد ، فان حفظتها بمحبة المسيح تستطيع ان تباشر بسهولة كل فضيلة ، لان الروح القدس الساكن فيك يُسرّ بك بما أنك تبخّر هيكل الرب بالطهارة والنية القويمة . ولاجل هذا يعضدك في كل عمل صالح / هذه الثلاثة هي أدوات لاجراء افعال الفضائل : امساك البطن ، وصيانة اللسان ، ولجم العينين . إذا حفظت الاثنتين ولم تصن ناظريك عن التحرّق فلست ضابطاً الطهارة بصورة خالصة . والعينان المحترقتان تهلكان العقل العفيف .

اذا برزت في نفسك شهوة الطعام فقل لذهنك : لو تمتعت امس بهذا الطعام اما تكون اليوم في صوم ؟ فان جرّتك خواطرك لتبحثَ عن كلام غير مفيد ، فقلْ لذهنك : احسبْ انك قد سُئلت عنه منذ هنيهة وأجبت عليه (فاصمتْ اذاً) . واذا القي في نفسك اشتهاء التنزه فقل لذهنك : أنت أتيت الى ههنا كيلا تتأمل جمالاً غريبا . اصغِ الى ذاتك ولاتتوانَ لكي يصبح ذهنك مسمّراً بمخافة الله على حسب ما يطلب القائل : «اقشعر جسمي من خشيتك وخفت من أحكامك» (مز ١١٨ : ١٢٠) .

● لباس الراهب

٧٣ ـ أرى انه لايليق بالراهب ان يخرج من قلايته غير مرتد جبة أو لباساً آخر ، فهذا يمنحه وقاراً وهيبة . فمن يخلع عنه لباس المراسيم الرهبانية ويمشي كالصبيان يسبب لذاته خزياً عظيماً لانه قد كتب : «تمنطق واشدد نعليك . البس ثوبك واتبعني (أع ١٢ : ٨) .

● غسل الجسم

٧٤ ـ لا يليق بالراهب ان يولع بغسل جسمه او رجليه . فالاناني يقتنص لنفسه اللذات بعنايته بنظافة الجسم والثياب .[1] اما المجاهد في الدين البهي

---

١ ـ الاناقة ضد التقشّف والنسك والزهد . الفارغ داخليا يتأنّق خارجيا . الممتلىء داخلياً وروحياً يزهد في الخارج والمظاهر والبهرجة . يقتصد ويعتدل في طعامه ولباسه ونظافته قدر المستطاع . الروحانية الارثوذكسية رهبانية . اذاً : هي عدو الفاخر والأنيق في جميع ميادين الحياة الشخصية ، وضد الانفاق على الكماليات الفارغة والبذخ الشيطاني .

فيقاوم اولئك المضادين .

٧٥ ـ يجب ان لا يُعمل شيء ليظهر للناس لكن ، بما ان الله عارف المكتومات والخفيات فليُعمل كل شيء بقلب نقي فمنه وحده نوال المكافأة .

٧٦ ـ ينبغي ان لا نسوق حديثاً غريباً ، ولاسيّما أثناء الصلاة العامة لئلا نفسح للآخرين مجالاً للعدول عن التسبيح . فها اخوتنا يعملون ونحن بطالون . اولئك اذا سمعوا الكتب الالهية يسقون بها قلوبهم كانها أرض ظامئة الى المطر ، بينها نكون نحن شاردين وافكارنا تسعى خارجاً . اولئك يسهرون في الصلوات (كولسي ٤ : ٢) ، ونحن متقاعسون * . اولئك أرضوا الرب ونحن أرضينا العالم . فلنتيقظ منذ الآن ، لأن كل من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له (متى ٧ : ٨) . فان الرب صالح للجميع ورأفاته على براياه بأسرها .

● **المحبة**

٧٧ ـ اتق الله واحفظ وصاياه (أم ١٢ : ١٣) فتعاين محتقريك قد صاروا وراءك سريعاً . واذا لم يكن ذلك ههنا فسيكون هناك . احفظ المحبّة مثل حدقتي عينيك ، فإنّ فيها النور والحياة . احفظها فانها سرور جميع مقتنيها . وهي مقتنى الهي ومرتبة ملائكية . احفظها فانك ان احببتها تجدد حياتك كتجدد النسر . اذا حفظتها فستبتهج امام الله . ان احببتها فتيسّر طرقك في اعمالك جميعها . ان أحببتها تسكن فيك نعمة الله وتكون النعمة ينبوع أشفية للناس وبطيب نسمتها ينتعش قلبك ، فإنها هي قاعدة الفضائل جميعاً . لاحزن على موت فيها . تعلمٌ العدل والشجاعة ، الصبر والسلام . الرب نفسه هو يعطينا اياها واثمارها .

٧٨ ـ فليحبَّ بعضنا بعضاً ليخزى عدوّنا ، لانه لايزال ينفث غيرة وحسداً

---

* ـ وقد أوثقنا ذواتنا بالنوم والكسل . أولئك قد أخذوا الاكليل ونحن قد بقينا في ونيتنا (مصدر ونى . وني ونية : فتر وضعف وكلّ واعيا فهو وانٍ وهي وانية) .

على عبيد الله ، ولان تابعي مشورة العدوّ اذ رأوا بينهم اخاً يخدم الرب في صميم نفسه ويرضيه ، فلا يُسرُّون ، بل ينسجون له الحيل ليطردوه ويفعلون ذلك خشية نجاحه في التقوى الخالصة فيضحي اقوى منهم . فاذا طرد هذا وانصرف يكون مبرراً من . تبعة الانفصال . أما الذين تسبَّبوا له في ذلك فلن يكونوا أبرياء .

● مثل يوسف

٧٩ ـ بيع يوسف عبداً لمصر . أما الاله الذي فيه فلم يعرض عنه ، بل اولاه نعمة وحكمة في نظر فرعون ملك مصر . فاقامه مدبراً على بيته وعلى جميع أرض مصر (تك ٤١ : ٣٩ ـ ٤٣) . والذين يئسوا منه مضوا ليسجدوا له مقدمين الهدايا ، لا لأنه أخوهم ، بل لانه ملك كل شعب مصر وسيده (تك ٤٢) . فانه قد كتب : «الرب يبطل مشورة الأمم وينسخ آراء الشعوب ، اما مشورة الرب فتدوم الى الأبد وآراء قلبه الى جيل فجيل» (مز ٣٢ : ١٠ ـ ١١) . وأيضاً : «الرب عوني فلا أخشى . ماذا يصنع بي الانسان ؟»(عب ١٣ : ٦) .

● الصغار

٨٠ ـ فلنصنْ أنفسنا من اعثار أحد هؤلاء الصغار ، اذ ان ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقول : «من شكك أحد هؤلاء المؤمنين الصغار فاجدر له لو علّق في عنقه حجر الرحى وزج في لجة البحر» (متى ١٨ : ٦) . «واحذروا ان تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، فاني أقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه ابي الذي في السماوات» (متى ١٨ : ١٠) .

٨١ ـ ليحبَّ بعضنا بعضاً ؛ حتى اذا ما رأى الرب ايماننا ومودّتنا بعضنا لبعض في مخافته يفرح بنا على حسب ماكتب : «ليفرح الرب بأعماله» (مز ١٠٣ : ٣١) . تيقظ واحذر ، لأن حيلَ المحال عديدة . فاذا رأى أحداً يريد ان يتيقظ يثير عليه أخاً من المتوانين جداً لكي يستولي عليه . فاذا ارتبطا بصداقة يُنمي بينهما المودة والدالة ، لا للفضيلة بل ليلقي الكدر في افكارهما بتأثير هذه الصداقة الحميمة ويلقحها بلذة الهوى . فيقع شرّ عظيم . وبعد العمل هذا تشتد

البغضاء بمقدار ماكان بينهما منذ هنيهة من المحبة غير اللائقة . أما المتقي الرب فلا يحبّ أحداً محبة خالية من الحكمة العلوية أي طاهرة ثم سلامية ومايلي ذلك[٢] .

٨٢ ـ اذا سكنت مع أخوة فلا تتعود ان تأمر ، بل الاولى ان تصير لهم مثالاً للاعمال الصالحة (تي ٢ : ٧) ، مطيعاً لما يقوله لك الآخرون . واذا اقتضى الحال ان تتكلم فكن كمن يشير (اي يتكلم بالاشارة) . وان جاوب أخ وقاوم ماقلت فلاتدع ذهنك يُغلَب بالغيظ ، بل اطرح مشيئتك من اجل المحبة والسلام . فان طردت الغضب الشيطاني بالوداعة ، فلن يتسلط عليك . وقل فيما بعد للذي قاوم أقوالك : أيها الاخ المبارك انا تكلمت بما يليق ، وهذا هو قصدي . فاغفر لي . وليكن الامر كما قلت أنت . وبهذا تكون قد عدت ادراجك مخزياً المحال منشىء الهياج لان من يخاصم ويتشبث بمشيئته يثير بلبلة وغضباً لا يشفى . والغضب يستريح في أحضان المنافقين[٢١] .

فالرسول يوصي قائلاً : «وعبد الرب يجب عليه أن لا يشاجر بل يكون ذا رفق نحو الجميع» (٢ تيمو ٢ : ٢٤) ويأمر أن تهرب طهارتنا من الزنى (١ كور ٦ : ١٨) فان جهاداً لا يستهان به قائم بين الطهارة والنجاسة . فأصحاب النجاسة

---

(٢١) المحبة الروحية ثمرة جهاد مرير في الروح القدس . فتحرق ناره الالهية ما في محبتنا الطبيعية من مخاطر الأهواء الجسدية . المحبة الروحية تصدر عن كياننا كعمق شخصي ممتزج بذبيحة الصليب لا كحساسية عاطفية فتندس اليها أهواء الجسد . الروح القدس يحوّل عاطفتنا فيحبّ الأبوان ابنهما لا لأنه ابن فقط بل لأجل يسوع بدم يسوع المطهِّر . والابن يحب والديه وهكذا .

(٢١) مكرر بالحقيقة رحابة الصدر فضيلة جديرة بأقصى الاهتمام . فيها من الحلم ما يجعل الصدر أرحب من السماوات لاحتمال الآخرين والصبر عليهم والتأني والرفق بهم . تدفن الغضب في مهده لينمو العطف والحنان على الآخرين . هي توأم المحبة وزينتها هي شرط أساسي لطهارة التعامل السليم مع الناس بانفتاح بريء من العيوب والتشنّج والنفاق والغش .

يقولون : لا يبصرك أحد فممن تخاف ؟ وأما أصحاب الطهارة فيجيبونهم : الله يرى وملائكته ينظرون ، فكيف تقول أنت : من يبصرك ؟ والمجرب يقول : حتى الان لا يرى أحد ما ههنا . فانه قد كتب : ان رذيلتهم قد أعمت عيونهم فلم يعرفوا أسرار الله . ان النبي يقول «افطنوا أيها الجهال في الشعب ، ويا أغبياء متى تعقلون ؟ الذي غرس الأذن أفلا يسمع أم الذي جبل العين أفلا يبصر ؟» (مز ٩٣ : ٨ - ٩) . ويقول في مزمور آخر : «يا رب ، قد فحصتني فعلمتني ، علمت جلوسي وقيامي . فطنت لأفكاري من بعيد اختبرت سعيي وسكوني ، واطّلعت على جميع طرقي قبل أن يكون كلامي على لساني . أنت ، يا رب ، عالم به كله . من وراء ومن قدام احطت بي وجعلت علي يدك» (مز ١ : ٥) . والرسول يقول «انّا به نحيا ونتحرّك ونوجد» (أع ١٧ : ٢٨) . فكيف تقول : انه لا يبصرك أحد ؟ الرب نفسه يقول : «ان سكت هؤلاء هتفت الحجارة (لوقا ١٩ : ٤٠) .

٨٣ - تذكّر هذه بذهنك فلا تستولي عليك خطيئة ولا يدركك حزن ، بل يعمك السرور والسلام بالروح القدس . فان الخطيئة يلتقي بها ويتبعها حزن مظلم يتهافت على الذين يفعلونها . أما الطهارة فيتبعها الفرح والسلام حتى ان المستقر في قلايته بهدوء تفرح نفسه بالروح القدس فرح الطفل بثدي أمه . وبعد ورود الفرح تدعه الطهارة ينوح ويبكي على ذكر خطاياه السالفة . فلكيلا يطّرب بسبب فرط السرور ينتحب فتستنير نفسه بدموعه وتزهو وهو يتصوّر الأشياء السماوية على قدر موهبة الرب[٢٢] .

●الطهارة

٨٤ - ان الطهارة بمحبة المسيح موهبة عظيمة . فان الرب يقول : «طوبى لاطهار القلوب فانهم يشاهدون الله» (متى ٥ : ٨) . والرب نفسه منهض المهشمين ومخلص اليائسين يجدّد بالتوبة الأعضاء التي تعتّقت بالخطيئة (٢٣) ويحفظ أجسادكم ونفوسكم وأرواحكم بلا دنس (أفسس ٥ : ٢٣) .

---

(٢٢) تناوب الاستنارة والنوح موضوع هام جداً لدى مكاريوس المتحل وسمعان اللاهوتي الحديث . يتجلى المرء ثم يغادره النور فيشقى ويولول لكي يعود اليه النور .

٨٥ ـ اذا قام راهب على الصمت في قلايته ينجو من مزعجات كثيرة . اما المتصابي بأفكاره فان اقترب من المجموع فلا ينتفع شيئاً . أما التام الرأي فيبتغي المنفعة .

اذا مشى الاخ في المدينة يصطدم بجلبة الناس وهرجهم فيرى واحداً يضحك وآخر يبكي وثالثاً يحلف بالأيمان المغلظة ورابعاً يحدث الأحاديث البذيئة . اذا رأى الأخ هذه فان كان ناقص العقل تذكر الفريسي القائل : «اللهم اني أشكرك لأني لست كسائر الناس» . (لو ١٨ : ١١) ، أو ربما خرج من هناك سقيم الذهن . ولذا فالسكوت موافق ولا سيما للضعفاء .

٨٦ ـ أمّا التام الرأي فاذا رأى الأشكال المتقدّم ذكرها ينتهي الى الانذهال من طول أناة الله ، قائلاً في ذاته : «ما أعظم وأطول أناة الله ! يُذم ويُثلب فيحتمل بأناة ولا يسخط . يُستهان به فيحلم (أي يكون حليماً) ولا يسحقنا حقداً بل يمنحنا كل الخيرات بغزارة . للتمتع بالمجد يؤدب ويرحم مريداً أن ينقذنا باقتيادنا جميعاً بصلاحه العميم الى التوبة . فماذا أصنع أنا الخاطىء بما أني «تراب ورماد» (تك ١٨ : ٢٧) وأنا لا أستطيع أن احتمل شيئاً حتى ولا كلمة من أخي ؟ لأني أغتاظ ان لم أكرم . واذا استرضيت أتشامخ . ويلي ويلي أنا الخاطىء ؛ وهكذا يتشجع الأخ بهذه التأملات ويمضي ممجداً الله وقائلاً : المجد لك يا رب . اللهم ، اسبحك . المجد لك ، أيها الصالح وحدك» .

● **الافكار**

٨٧ ـ اذا هاجت علينا الافكار النجسة وقتا ما فلا نيأسْ من ذواتنا ، بل لنتذكّر رأفات الله . ربّان السفينة يشكو أبداً من فعل مالكها قائلا : لماذا تركت الأمواج تصدم سفينتي ؟ بل يحاجّه صاحبها قائلاً له : «أيها الربّان ، لماذا توانيت ولم تقاوم الأمواج ؟ ولماذا لم تخشَ الأمواج فتهرب ملتجئاً الى الميناء أعني رأفة الله ؟» .

٨٨ ـ إذا أثار العدوّ علينا هياج الأفكار الدنسة بصورة شديدة لا توصف فانه يأخذ يلقي في أذهاننا ما يلي : لقد أضعتَ كل شيء وليس لك رجاء خلاص وهو يريد بذلك ان يزجنا في اليأس . أما أنت فلا تصدّق ما يقوله حتى لا يجتاح ذهنَك باليأس . لكن بمقدار ما يجعل الأعداء النفسَ ثقيلة باليأس بهذا المقدار فلنجعل ذواتنا نحن نشيطة بواسطة تأمل الخيرات المنتظرة متذكرين رأفات الله حتى لا تشتدّ وطأة المضادّين علينا ولا يعوقوا النفس بالأفكار .

٨٩ ـ وفي حين قولها لنا : «هاقد هلكتَ ولا تستطيع أن تخلص البتة» فلنقل لهم : «لنا اله متحنن وطويل الأناة . فلن نيأس من خلاصنا لأن الذي قال : لا الى سبع مرات «تغفر لأخيك» بل «الى سبعين مرّة سبع مرّات» (متى ١٨ : ٢١ ـ ٢٢) هو أحرى بأن يصفح عن الخطايا للمنتظرين خلاصه .

٩٠ ـ واذا سقط أولئك من هذه الجهة يفاجئهم الأعداء من أخرى قائلين : بما ان لكم الهاً متحنناً وطويل الأناة وغافراً للخطايا ، فلماذا لا تتمتعون أكثر بملذات العالم ثم تتوبون ؟ أما نحن فنقول لهم : ما فعلناه فقد فعلناه . واذا كان الكتاب المقدس يحذرنا الآن ويناشدنا القول : «هذه هي الساعة الأخيرة» (١ يوحنا ٢ :١٨) فالى اي ساعة أو أي يوم ننتظر إن أهملنا خلاصنا (عب ٢ :٣) بارتكابنا الشر أمام الله آلهنا؟» .

٩١ ـ قاتل الشياطين هكذا فتُبلي بلاء حسناً في القتال . فانك تشبه انساناً جالساً تحت شجرة ، حين تجتمع عليه الوحوش البريّة يتسلق الشجرة فلا تصيبه الوحوش بأذى . واحسب ان الشجرة هي مخافة الله فتؤازرك النعمة في جميع مناهجك التي تنهجها وتصدع أعداءك . وعلى المؤمنين أن يسلكوا في العمل الحاضر هكذا : حين يوافينا الفرح لنجاح أحرزناه أو موهبة نلناها فلنتخيّل ان الحزن قد ابتعد عنا . وحين يوافينا حزن فلننتظر الفرح كأنه دانٍ منا ولنعتبر السالكين البحر : ان دهمتهم شدة الرياح والشتاء القاسي لا ييأسون من خلاصهم ، بل يقاومون الأمواج منتظرين زمان الصحو . وان كانوا في الهدوء

والسكون يتوقعون تلاطم الأمواج . لهذا تراهم يتيقظون على الدوام لئلا تعصف الرياح بغتة فتصادفهم غير متأهبين فتودي بهم الى التهلكة في البحر .

٩٢ ـ وهكذا نحن محتاجون الى أن نترقب الحالَين لان المتوقع لأمر لا يستغربه حين وقوعه بما انه لم يكن غير متهيء . فمتى نزل بنا حزن أو ضيق فلنتوقع راحة من الله ومعونة توافينا لئلا نصير أمواتاً بسبب تمادي الزمن وفقدان الامل بالخلاص ، وكذلك ، متى أتانا الفرح فلننتظر الحزن لئلا ننسى النوح بسبب الفرح .

٩٣ ـ اذا تألّمت لأجل أخ فمضيت تستعطف من أجله ، فقبل أن تخاطب من تريد أن تستعطفه عليه وتسأله قل لذهنك : «ان لم يستجبك فلا تغضب ولا تضطرب لئلا تصير وساطتك سبب مضرة فتتعلل بالأخ . ان جئت اليه واستمعك هان الأمر . وان لم يقتنع الانسان بما تقوله فلا تسخط لان ثواب الترثّي والتوجع وضبط الغضب ستناله من الله الذي أعدّه لك ، والذي من أجل اسمه صنعتَ أنت ذلك .

٩٤ ـ تشتهي الكنز السماوي . فهل تتمنى أن تصير مستحقاً للرب ؟ اسمع اذاً القائل : «اذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء» (متى ١٩ : ٢١) ثم «تعال فاتبعني» . «من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ؛ ومن أحب ابناً او بنتاً أكثر مني فلا يستحقني ؛ ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلن يستحقني» (متى ١٠ : ٣٧ ـ ٣٨) .

اذاً : بدون حمل الصليب لا يمكن أن يُتبع الرب لأنه بعد ان قال : «اذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء» (متى ١٩ : ٢١) عقب : «تعال اتبعني» . فانه لم يقل «يكون لك كنز في السماء» ، ثم ارقد واسترح

بل قال «تعال اتبعني»(٢٣) .

٩٥ ـ فلا تذكر الزهد وحده بل الرضى باحتمال الاتعاب والآلام الطارئة ، لانه في ذلك الحين يحمى وطيس الجهاد ومصارعة المضادّ . فان تمكن من ان يسلخ الذهن عن الافكار السماوية وينقل المسيرة منها الى سواها فتصير لهم الاواخر شراً من الأوائل (٢ بط ٢ : ٢٠) . أفيرضى الانسان الذي بدّد مقتنياته جميعها بسخاء وطيبة خاطر وسماحَة ان يكتسب ما هو أحقر وأدنى بكثير ؟ ويحرص المضاد على أن يجعل من قد كفر بالزواج واستعفى منه هائماً بالزنى والفسق . فلذلك نحن محتاجون الى يقظة وحذر حتى نخرج من الجسد ومن ميدان الجهاد ظافرين .

٩٦ ـ اذا انتهيت الى جماعة من النساك ووددت أن تخدم الرب معهم فكن متواضع الفكر في جميع الاشياء لكي تهذّب سيرتك . فان الذين قصدوا ذلك المكان فراراً من سيرة مذمومة يستحثون أنفسهم على إجراء أعمال الفضيلة .

٩٧ ـ اذا أمرنا المتقدمون علينا بان نمضي الى العمل مع الاخوة فلنمضِ بنشاط .

٩٨ ـ وان قلت ان جسمي لا يحتمل التعب كاجسام الفلاحين فالامر واضح ان الاخوة لا يستطيعون أن يحملوا الثقل بنسبة واحدة . أمّا أن يكون الانسان مطيعاً وحسنَ النية فهذا قد أعطي للجميع . فأظهر اذاً حسن نيتك بصورة

---

(٢٣) الخطيئة تجعلنا نهترىء ، فنحتاج في كل لحظة الى توبة تجدّدنا . القربان ترياق يومي ضد وباء الخطيئة الفتاك .

(٢٣) حفظ شريعة موسى خطوة . لم يكتفِ بها يسوع . طلب من الغني أن يبيع ممتلكاته ويوزعها على الفقراء ليكون له كنز . ولكن هناك خطوة أعلى في سلّم الكمال : الالتحاق بيسوع حاملا صليبه كل يوم كما في لوقا . بذلك أضحت شريعة موسى الى الوراء كثيرا . المسيحي هو المصلوب مع يسوع وفي يسوع وبيسوع وليسوع طيلة العمر ليقوم معه .

حقيقية . فلا محالة انهم يخففون الثقل عنك الى أقصى حدّ . لذا تضرّع اليهم قائلاً : «اني اشاء أن يكون لي نصيب معكم . وحينئذ شاطرهم التعب على قدر القوّة التي وهبك الرب اياها . فان العارف القلوب الذي خلقنا ومنحنا الحياة يعرف كل واحد والقوة التي وهبها . وان كنا نعمل بوصايا الله بعد زوال الأشياء المضادة لنا فقد صار الأمر باطلاً .

١٠٠ ـ احذر أن يأتي العدوّ فيزرع في ذهنك اشتهاء الأمور السالفة . ولا تخطر في خلدك مثل هذه الأفكار . ولا تحتمل مناجاتها . اذ إن ذكر الأمور القديمة ينتج استعلاءَ الذهن عند الذين يتذكرونها تذكراً بهيمياً . وبما انها لا تمنحهم فسحة من الوقت ليكوّنوا لأنفسهم رأياً سامياً في العمر الحاضر فتدفعهم الى العزم الرديء العادة . وأنت تعرف ما هي العادة الرديئة .

انها داء خبيث سيمحقه الرب الذي له المجد الى أبد الدهور . آمين .

الميمر السابع
في البتولية

● **الانسان هيكل اللّه :**

ان بولس الرسول يعلّمنا جميعاً عن بتولية النفس وطهارتها ويحسب رتبة البتولية أفضل وأغلى من رتبة الحياة في العالم ، لأنه قال : «ان غير المتزوج يهتم فيما للرب وأما المتزوج فيهتم للعالم كيف يرضي امرأته» (١ كو ٧ : ٣٢ - ٣٣) . فذلك الاهتمام يؤدي إلى العذاب واما هذا فيؤدي إلى الحياة الخالدة .

فالطوبى لمن يهتم بان يرضي اللّه ويصون جسده طاهراً ليصيرَ هيكلاً مقدّساً وطاهراً للمسيح الملك . أيها الانسان انك باختيارك قد صرتَ هيكلاً للّه لا عن الزام واكراه بل عن رغبة ونشاط . واذ صرتَ إنساناً للاله العلي عرفتَ بتدقيق ان روح اللّه يسكن في الهيكل (١ كو ٦ : ١٩ - ٢٠) . فإن كان طاهراً نقياً يقدّسه (روح اللّه) لكي يكون استعماله مرضياً لسيّده . اسمع ما أقوله لك واطبعه في ذهنك : تمنطق وتدرّع بالايمان النقي الخالص والرجاء والمحبة ، وقف كالرجل الشهم حافظاً هيكل اللّه من جميع الأفكار القذرة والنجسة التي زرعها العدوّ . ابذل كل جهدك مراقباً على الدوام تجارب العدوّ لأنها تتوالى باستمرار لتجد انساناً مسترخياً لكي تُفسد جسده فلا يرغب فيها بعد ان يستمع لسيّده . فاحذر ان تؤوي

تجارب العدوّ عندك . أتجهل من هم المحاربون الخبثاء ومؤوو الافكار الدنسة والشهوات الرديئة ، والغضب والاضطرابات والسخط والمهاحكات والعبودية للأهواء ؟ انهم المجرّبون الاشرار الذين لا يكفّون عن الشرّ ولا يشبعون منه . واذا غُلبوا يُعيدون الكرّة دائماً . لأن أصل الشهوة واقع فاقتلع أرومات الشهوة لئلاّ تتجذّر وتثبت فإذا اجتززتها ربوات من المرّات تثبت بالقدر عينه مضاعفاً ان لم تقلعِ الارومات تماماً . جاهد حسناً لتكون هيكلاً للّه لا دنس ولا عيب فيه . ان هيأتَ هيكلك للّه فالاله القدوس يعطيك لراحتك عوضاً عنه فردوسَ النعيم . صرْ بانتصارك على العدوّ اي الافكار والاهواء الدنسة حافظاً الهيكل المقدّس ليكون بهياً للّه ومقبولاً قبولاً حسناً . انتبه لذاتك لئلا تُدخل وتقتبل في الهيكل عوضاً عن السيد الاقدس الطاهر ، العدو النجس فيفسد هيكلك بوقاحته . فإنه وقح لا يخجل تنتهره مراراً كثيرة وتطرده خارجاً . اما هو فيلاكم بوقاحة ويزاحم ويدخل . واما اللّه فإنه غير سقيم بل طاهر قدوس لا يبتعد إنما أنت تطرده . فإذا أدخلتَ الدنس صرفتَ القدوس . ابغضتَ الملك واحببت المارد . ابتعدت من الحياة وتمرّغتَ في الحمأة ، وفقدتَ النور واشتركتَ في الظلمة . بسبب تراخيك أسلمتَ ذاتك الى العدوّ النجس .

ان الآله القدوس رضي بأن يسكن في هيكلك على الدوام واما أنت فأحزنت السيّد الصالح الرب الذي لا يُشبع منه والتائق الى ان يُعطيك ملكه لأنّ اللّه يسكن في الصائرين هياكل طاهرة لا عيب فيها . فإن وددت ان يسكنَ اللّه دائماً في هيكل جسدك كل أيامك التي تعيشها على الأرض فهو يُسكنك ويريحك في فردوسه ، في النور الذي لا يوصف والحياة التي لا تموت الى أبد الدهور في فرح عظيم .

● **الطهارة وعمل الفضائل :**

أتراني قد سمعتُ بهذا وقرأته : «ان يوماً واحداً في ديارك خيرٌ لي من ألف» (مز ٨٣ : ١١) . افتح قلبك وارتضِ ان تشتاق الى اللّه كل أيام حياتك . انه حلاوة واستنارة وفرح دائم فإن صبوتَ دائماً الى الاشتياق الى اللّه يسكن هذا فيك

الى الأبد . اللّه غيور وطاهر قدوس يقيم في نفوس الذين يتقونه ويصنع مُراد الذين يحبونه . أتود أن تكون طاهراً لا عيب فيه ، اذاً ارسم أيقونته دائماً في قلبك . وأعني بايقونة اللّه لا تلك المرسومة بالأصابع على صحيفة او خلافها بل تلك الملونة في النفس على منوال باهر بالأعمال الحسنة والأصوام ، بالحميات والامساك واجراء أعمال الفضائل السنّية ، والاسهار والصلوات . فأصباغ صورة السيد السماوي هي مباشرة الفضائل والافكار النقيّة والتجرّد من الأرضيّات مع الطهارة والوداعة . بدون الجهاد[1] لا يُكلل أحد في العالم وفي الطريقة النسكية لا يمكن ان ينال أحد الاكاليل التي لا تذبل والحياة الخالدة بدون صبر واجتهاد .

لأن هذا العالم يشبه حرباً دائمة . فالمجاهدون الكاملون يبرزون الى الساحة بدون خوف وذلك بفضل وداعتهم . أما المتراخون والخبثاء فيفرّون بسبب رخاوتهم من كل جهة . فالمجاهدون الكاملون النساك وذوو الحمية والامساك لهم امام أعينهم نعيم الفردوس متوقعين كل حين ان يتمتعوا فيه بجميع الخيرات في النور المؤبّد والحياة التي لا تموت . أتود ان تجاهد وتظهر كاملاً ؟ اذاً البس الفضائل دائماً كالثوب . واذا ارتديت فضيلة فجاهد باستمرار كيلا تنزع منك . ارهب الخمر لئلا تفضحك وتعريك من الفضائل . أما عُرّي نوح الرجل الصدّيق الذي قال الكتاب فيه هذا : «أما نوح فنال حظوة في عيني الرب . . . كان نوح رجلاً صدّيقاً كاملاً في أجياله وسلك نوح مع اللّه» (تك ٦ : ٨ ـ ٩) . فقليل من الخمر غلبه لما نام وكشف جسده في نومه (تك ٩ : ٢١) مع أنه كان قد غلب في زمان الطوفان وصار رئيس آباء الامم . والخمر هي أيضاً التي استرقت لوطا البار في نومه لأن ابنتيه وجدتا حبليين منه بخلاف الطبيعة (تك ١٩ : ٣٢ . . .) .

---

(١) لا فضائل بدون جهاد . توقف كاسيانوس ويوحنا السلميّ عند مسألة «العفة الطبيعية» عاجزين عن تفسيرها . انما لاحظا عجز اصحابها عن التقدم . اليوم نفهمها على ضوء التحليل النفسي : طاقاتهم غائرة بسبب كبت لم يولّد مرضاً نفسياً وصراعاً في اللاشعور . الراهب عملاق يصارع أهواءه وغرائزه كفدائي يستشهد كل لحظة . انما بحلق و «حريقة» ودهاء . فإن تطرف أنهك قواه وصرعه الشيطان وعاد عاجزاً ـ مثل العفيفين بالطبيعة ـ عن الجهاد .

اذاً الخمر لم تشفق على الابرار والصدّيقين . فكم احراها ان تتغلّب عليك أنت الحقير أيها الشاب . ارهب الخمر دائماً لأن ألنبيذ لا يشفقُ البتة على الجسم ، بل يضرم فيه نار الشهوة الرديئة . فلا يسترخِ جسمكَ بتأثيره لئلا تقتنصكَ الافكار الشريرة وصنم الخطيئة نفسها في هذيذ الفكر الرديء لأنك اذا دنوتَ فامسكتَ بهذا الصنم والضلال والدراسة ، وصرتَ تناجيها وتفعلها وتتخيّل صورها ، وتكثر من مناجاتها تحلو لك دراستها فتحل قيود فكرك وتُغلب أنت غلبة لا قيامة لها ، وتخطأ خطايا ظاهرة ، فيشاهدك الناظرون اليك كأنك في الوداعة كاملٌ ظاهراً بينما تكون معذّباً في ضميرك داخلاً ، وتتندم دائماً ، وتحزن باستمرار ، لأن للانسان ضميراً موبّخاً .

وهذا طبع الشهوة الرديئة المألوف أن يتبع الحزنُ آثارها فور اجراء عاداتها . إن وجهه يُرى وداعة في الظاهر بينما هو في الداخل بلا دالة له أمام اللّه . من لا يبكي وينوح ويحزن اذاً ؟ يتراخى الفكر في داخله فيخطأ هو إلى اللّه عمداً ، وتُطرد منه الموهبة السماوية أعني **الطهارة والبتولية** .

لأن الاله العلي يقيم في هيكل الجسم ما دام هذا مقدّساً وطاهراً . فإن فسد الهيكل وتدنس يغادره السيد للحين ، فيدخل الدنس ويستوطن هناك بدلاً من النور السماوي الاقدس (١ كور ٣ : ١٦ - ١٧) [٢] . تدخل لذة الشهوة الرديئة وتدنسه كل حين . فمن هو ذاك الذي بدون ان يذرف الدموع يخطر بباله هذه جميعها ، اي : ان الاله القدوس ابتعد من الهيكل وسكنته الشهوة الرديئة ؟ انك لن ترتوي من الدموع والتنهدات ان فكرت بهذا : من أُقصي ومن أين والى أين سقط ومَن رفاقه ؟

من غلب في الجهاد بسبب رخاوة وفتور منه اذ رأى آخر غالباً في ميدان الصراع مشهوراً بالاكاليل والرايات مظفّراً تمدحه وتحيط به الجماعة ، حينئذ تحوط

---

(٢) «أما تعلمون انكم هيكل اللّه وروح اللّه يسكن فيكم . ان كان أحد يفسد هيكل اللّه فسيفسده اللّه لأن هيكل اللّه مقدّس الذي انتم هو» .

به ندامة مؤلمة تعذّبه بحزن عميق ، فيقول في نفسه : لماذا أغذي الفكر الشرير في لحظة واحدة وفررتُ من ميدان الجهاد ؟ فها الذين أتموا الجهاد في مجد وأنا اختفي بخجل . وهذا عينه يجري في يوم المجازاة . فالمسترخون الخطأة اذ يشاهدون الصدّيقين والابرار في فرح عظيم بالفردوس . . . ويشاهدون أنفسهم في النار التي لا تُطفأ والظلمة الحالكة تحيط بهم ندامة عظيمة مرهبة .

لذا أطلب اليك يا أخي المحبوب ان تصير مشابهاً للآباء السالكين في البتولية الطاهرة والنسك ، في الصلاة والصوم . احبب النسك وتق الى **الصلاة التي هي مخاطبة السيّد** لأن كل صلاة مقدّسة ونقية تخاطب السيّد . ان صلاة المشتاقين كلياً الى اللّه ترتقي الى السماء باستمرار وبفرح عظيم ويبتهج بها الملائكة ورؤساء الملائكة ويرفعونها الى عرش السيادة الاقدس . حينئذ يكون السرور اذ يقدّمون للّه صلوات الصدّيقين .

فاحرص إذاً ان تقتدي بسيرة الآباء القديسين . اسلك في منهجهم وانسك مثلهم . انسك بالعقل والروح ، بالجسد والزيّ ، بالطعام واللسان ، وبالامساك عن الضحك لتظهر في كل شيء مجاهداً كاملاً . اذا قمتَ تصلّي الى اللّه فصلِّ في خشية ورعب نابذاً من قلبك وذهنك الاهتمام بالأرضياتِ كافة . صرْ بكليتك ملاكاً سماوياً في أوان الصلاة ، وجاهد لكي تكون صلاتك مقدسة ونقية بلا دنس ولا عيب حتى اذا ما شاهدها الملائكة ورؤساء الملائكة يستقبلونها جميعاً فرحين ، ويقربونها الى عرش السيد الطاهر الاقدس . كن في أوان الصلاة ماثلاً امام اللّه كالشيروبيم والسيرافيم . ادرس هذه الأقوال وترنم بها بخشية وبهجة فإنها تذيق النفس أغذية روحية ، وتحلّيها من مرارة العالم الباطل ، وتخفف عنها وطأة الاهتمامات الارضية والامور الوقتية ، واحرص ان تحفظ جميع ما سمعت (٣) .

---

(٣) أمّا فيما يختص بالزواج فلا ينتقص افرام من قيمته . فهذا أيضاً سر مقدّس ينجزه الروح القدس على يد كاهن بين مؤمنين يتراضيان على العيش المشترك الطاهر حتى الموت ، ويتحدان بجسدالرب ودمه اللذين يوثقان روابطهما . أما الزواج المدني فلا يعقده الروح القدس .

ورفض الزواج الكنسي هو رفض لسرّ مقدّس .

ميمر فيه نُبَذ في الفضائل والرذائل

١ـ أطوِّب حياتكم ، يا محبي المسيح ، لان لها دالة حسنة . وأولول على سيرتي لانها فاسدة وغير مجدية . اغبطكم ، ياخدام المسيح المخلصين ، لانكم جعلتم انفسكم احباء له وللملائكة بفضل سيرتكم القويمة . أما من احد ينوح علي لاني اغظته باعمالي الشريرة ؟ مغبوطون انتم ، يامن ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية ومحبتكم التي لا تقاس . اني متعجب من انكم لم تعجزوا عن قطع مسافة مثل هذه الطريق من أجل ما يوافق أنفسكم . والاعجب من ذلك انكم اتيتم الى حقير ومشجوب بسبب خطاياه تسألونه كلام منفعة . فانا مستغرب كيف اتيتم انتم الشباعى الى المضنى جوعا ، والحائزين على النداء الروحي الى الصانعي (أي الشديد العطش)، انتم المالكين لحلاوة الفضائل الى المتمرمر بالخطايا، والاغنياء الى الفقير ، انتم الحكماء الى الأميّ ، والاطهار الى الدنس ، انتم الاصحاء الى ذي الضمير السقيم ، والمرضين لله الى مسخطه ، انتم الاحرار الى المأسور ، والمهتمين بالخلاص الى المتواني . لانكم انتم العجيبون في الفضائل وانا الفقير بسبب جهلي . فقد حويتم الحمية ، ومن ثم ارضيتم الله ، اما انا فاني أدان بسبب سلوكي المشوش واهمالي .

انتم بالاعمال الحسنة والطهارة الشريفة صرتم طيبا للمسيح ، وانا بتراخيَّ وتوانيَّ حصلت منتنا بكليتي .

لقد أتيتم إليَّ انا الذي لم ينفع نفسه ففعلتم حسنا بذلك ، ايها الكلفون بيسوع مريدين ان تعضدوا رخاوتي ، وتجعلوا نفسي المتوانية مهتمة حريصة ، وتؤيدوا صغر نفسي لانكم كاملون . وبما انكم التمستم بتواضع ان تقتبسوا مني انا الناقص كلام منفعة ، وامرتموني بذلك مريدين ان أوبخ سيرتي واكشف عيبها ، وان اتكلم لأجل جني ثمر المنفعة ، فانا خازٍ لانني ان بدأت اشير عليكم فانما أدين نفسي . وان طفقت اوبخ آخرين فانما لا أثلب ذاتي . وبالحق يقال لي ما قيل للمخلص : «ايها الطبيب اشف نفسك» (لو ٤ : ٣٢) . حتى ان الرب نفسه مخلّص الجميع قد قال : «مهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل اعمالهم فلا تعملوا» (مت ٢٣ : ٣) . لذلك وان كنت دنسا ، انما اعرف ان اشير برأي قويم . ولهذا السبب ، اذا تأملت هذه السيرة الملائكية اغبط كل من له باع طويلة فيها . لانه من ذا الذي لا يغبط الناهج نهجا قويما مرضيا والسالك في الطهارة لاجل الخيرات المعدة التي لاتعد ولاتحصى ؟ ومن لاينوح على من يسير سيرة توان ويلقى خارج الملكوت السماوي لاتفه الاسباب ويخرج من ذلك الخدر بسبب انسحابه من طريق الخير ؟

٢ ـ في التقوى ـ مغبوط هو المتقي الرب . مغبوط من له مخافة الله في نفسه . فمثل ذلك يغبّطه او يطوّبه الروح القدس جهاراً . فانه قال : «طوبى للرجل الذي يتقي الرب» (مز ١١١ : ١) . فان المتقي الرب حقيقة سيكون ناجيا من جميع حيل العدو . من فيه مخافة الرب يغلب بسهولة مكايد العدو الرديء الصنعة كافة . لانه لايستطيع ان يأخذ عليه مأخذاً من المآخذ ، وذلك بما ان ذاك لايقبل لذة البشرة ، بسبب التقوى . المتقي الرب لايتنزه هنا وهناك لانه يترقب سيده لئلا «يأتي بغتة فيجده متوانيا» (مرقص ١٣ : ٣٧) فيشطره الى شطرين . من فيه تقوى الله لايهمل اهتمامه لانه يتيقظ دائماً . المتقي الرب لايعطي ذاته نوما بلا حساب لانه يسهر منتظراً مجيء ربه (لو ١٢ : ٣٦) . الخائف من الله لا يجازف لئلا يغيظ سيده . ومن يخشَ لا يتهاون لانه يهتم في كل حين بمقتناه الروحي لئلا يتندم . الخائف دائما يختبر الافعال المرضية للرب ويستعد لها لكي يمدحه يسوع متى جاء ، لان تقوى الله تسبب خيرات وافرة لأصحابها .

٣ - في عدم التقوى - اما من ليست فيه مخافة الله فهو سريع الوقوع في مكايد العدو والمحّال يتنزه ويجازف في افعاله . ينام بلا همّ ويتوانى في اعماله يصير هائجاً باللذات ويقبل كل سيء مطرب لانه لا يخشى مجيء الرب (٢تس ٢ : ١) . يتباهى باللذات ويسر بالراحات . يهرب من الشتائم ويرفض التوبيخ بينما يصافح الكبرياء . سيجيء ربه ويجده سالكا فيما لايرضيه فيشطره الى شطرين ويرسله الى الظلمة المؤبدة . فمن لا يولول على من هو كذلك ؟

٤ - في المحبة - مغبوط هو ذاك الانسان المحب لله فانه قد حوى في داخله الله . لان الله محبة . من يثبت في المحبة فقد ثبت في الله والله فيه (١يو ٤ : ١٦) . من له المحبة يغلب بالله كل شيء لان المحبة الكاملة تنفي المخافة الى خارج (١ يو ٤ : ١٨) . من عنده المحبة لايرفض أحداً صغيراً كان او كبيراً شريفاً أو عاطلا فقيراً أو موسراً بل يصير موطىء للجميع . يحتمل العوارض كافة ويصبر على النوائب جميعها .

من فيه محبة لايترفع على احد ، ولايتشامخ ، ولايغتاب احداً بل يعرض عن الثلابين ، لايسلك بغش ، ولايعرقل اخاه ، لايغار ولايحسد ، لاينافس ولايسر بسقوط الاخرين ، لايشجب من يهفو بل يرثي له ويعضده ، لايعرض عن اخيه في شدته بل يغيثه ويموت معه . من فيه المحبة يعمل بمشيئة الله وهو تلميذ حقيقي له ، لان سيدنا الصالح قال : «بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً» (يو ١٣ : ٣٥) . لايعمل شيئا لنفسه ابدا ، ولايدّعي بملكية شيء بالاستقلال بل كل ماله مُشاع بين الجميع . لايعتبر احدا غريبا بل يحسب الجميع اهله وانسباءه لا يغتاظ ولايتشامخ ، لايحتدّ ولايفرح بالظلم (١كو ١٣ : ٤-٦) . لايلبث في الكذب ولايعتبر احدا عدوا له سوى المحّال وحده ، يصبر في المحن جميعا ويتعطف بحلم . فمغبوط اذاً من فيه المحبة . ان المسافر بها الى الله يعرف وليه ويقتبله في احضانه وسيُفتدى كالملائكة . سيملك مع المسيح . العامل بالمحبة التي من اجلها جاء الاله الكلمة الى الارض وبها فتح لنا الفردوس واعطى الجميع ان يرتقوا الى السماء . لقد كنّا اعداء لله فصالحنا بها . فصوابا

قلنا : «ان المحبة هي الله ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه» (يوحنا الاولى ٤ : ١٦ ويراجع الاصحاح ١٣ من كورنثوس الاولى) .

٥ ـ في من لامحبة فيهم ـ المبتعد عن المحبة هو شقي ومشؤوم الحظ يقضي ايامه كالذي في حلم . فمن لاينوح على ذلك الانسان البعيد من الله والفاقد النور والمتصرف في الظلمة ؟ لانّ من ليست فيه محبة الله هو عدوه . وصدق القائل : «كل من يبغض أخاه فهو قاتل» (١ يو ٣ : ٢٥) . في الظلمة يسلك وهو السريع السقوط في كل خطيئة بما انه يغضب بحدة ويغتاظ فورا ويتوقد غضبا لحينه . فهو يفرح بظلم الآخرين ولايتألم مع من يهفو ، لايمد يده للواقع . . . من اخطأ ولايعضد المتزعزع هو مظلم الذهن وصديق المحّال مبتكر كل شر ومستنبط الخصومات ، صديق المشمئزين ومعاشر الثلابين مشاور الشاتمين ومؤازر الحاسدين . المتكبر اناء التعظم وبالاختصار ان من لايقتني المحبة هو اداة المحّال يتيه في كل طريق ولايعلم انه في الظلمة سالك .

٦ ـ في طول الروح ـ الطويل الروح يكون دائما في فرح وابتهاج لانه اتكل على الرب وارتجاه . هو في منجاة من الغضب لانه يصبر على النوائب كافة . لايتوقد سخطا بسرعة ، ولاينتهي الى الشتيمة . كما انه لايتحرك بسرعة نحو الاقوال الفارغة . اذا ظُلم لايحزن لايقاوم مقاوميه بل يلبث في كل امر ثابتا لايؤخذ بالخداع بسهولة ، ولايجنح الى المخاصمة . يفرح في الاحزان ويتوطد في كل عمل صالح ويتودد الى من يحسده اذا أمر لايجاوب ، ولايقطب وجهه كل حين ، ويشفي نفسه بطول أناته .

٧ ـ في من لاطول روح فيه ـ هو مقفر من الصبر ينقلب سريعا . وهو متهيء للمخاصمة . ان شتم يشتم ، وان ظلم ينتقم . هو ماهر في المخاصمات الفارغة ومضطرب الاقوال والافعال كالورقة التي تهزها الرياح . لايثبت في كلامه وينتقل بحدة من هذا الى ذاك . لاثبات فيه اذ ينقلب بسرعة . لايقتني دموعا ،

ويعاشر الخبيث . يكمن مم اللوّامة ويؤازر الظالم . لايحفظ سرا . هو متهيء لتلفيق الكلام فمن يكون اشقى منه ؟

٨ ـ في الصبر ـ مغبوط هو من قد اكتسب الصبر لان في الصبر الرجاء والرجاء لايخزي (رو ٥ : ٤ ـ ٥) . فمغبوط ومثلث السعادة هو الصبر لان من يصبر الى المنتهى يخلص» (مت ١٠ : ٢٢و ٢٤ : ١٣ ومرقص ٣ : ١٣) . فهل هناك أجلّ من هذا الموعد ؟ لان الله منعم على الصابرين . وليس الصبر فضيلة منفردة ، بل يُطلب في فضائل كثيرة ، لانه ملتصق بكل فضيلة . فيفرح في الاحزان ، ويجعل مختبِره في الشدائد . يستبشر في المحن ويهيء للطاعة .

هو بهيّ في طول الروح ومتكامل في المحبة . يبارك في الشتائم ، ويسالم في المخاصمات . هو شجاع في السكوت وبلا عجز في الترنيم ، متجلد في الاصوام وصبور في الصلوات ، غير ملوم في الاعمال ، ومستقيم في الاجوبة ، ذو قناعة حسنة في الترنيم ، ومهتم بالسيرة الحميدة ، فرح في الخدمات ، ومغتبط بسيرته ، أنيس في مجمع الاخوة ، ومستند في المشورات ، طويل البال في الاسهار ، وحريص في الاهتمام بالغرباء . معتن بالمرضى وسبّاق في مرافقة المبهظين (أي المثقلين بالأعمال)، متنبه لكي يفهم ، ومجتمع القوة في كل أمر . من فيه الصبر ففيه الرجاء . ومن هو هكذا فقد تزيّن بكل عمل صالح . ولذا يهتف الى الرب بدالة حسنة : «ايام رجوت يارب ، وانت تجيب ايها السيد الهي» (مز ٢٧ : ١٦) .

٩ ـ نافد الصبر . شقّي ومنكود الطالع من لايكتسب الصبر والويل بحق لمن لاصبر فيه ، لان الرياح تحمله كالورقة . ومن هو مثله لايحتمل شيئاً ، بل يكون خائر النفس في الغموم وسريع الوقوع في المخاصمات متذمرا في مواقف الصبر ، ومجاويا في نظام الطاعة ، متوانيا في الصلوات ومنحلّ القوة في الاسهار ومقطب الوجه في الاصوام ، ومتراخ في الحمية ، عاجزا في الوسائل ، ورديء الفعل في الاعمال . لايُغلَبُ في الخبث . هو شجاع في حرب الكلام وواهن القوة

في السكوت . يقاوم المرتاحين وينافس الناجحين حسداً . يتكبد الخسائر الباهظة ، ولا يمكنه الالتصاق بالفضيلة لاننا بالصبر نسابق في الجهاد أمامنا (عب ١٢ : ١) . فنافذ الصبر لا أمل له بالصبر ، لذلك اتضرع الى نافدي الصبر مثلي ان يكتسبوا الصبر لكي يخلصوا .

١٠ ـ **في عدم السخط والغضب** ـ طوبى للانسان الذي لايسرع الى الغيظ ولايقبل غضباً فانه يكون في السلام كل حين وقد اقصى عنه روح الغضبة الساخطة ونجا من الحرب والاضطراب . فانه يكون هادىء الروح كل حين ومسرور الوجه . لايغضب سريعا . لايهيج من الكلام الفارغ بينما يجري العدل والصدق . يلقي القبض بسهولة على المتخاصمين ، ويحتمل دون مشقة اللادغين بالسنتهم . لايفرح بالمخاصمات ، ولا يرتكب ظلما ، لانه يبدو متودّدا الى الجميع غير غضوب . لا يُسَرّ بحرب الكلام ، ولا يقترف جوراً . فهذا لا تدهمه الامراض لانه صحيح المزاج دائما ويُسَرُّ بالمسالمة ، ويتوطد في طول الروح . من لا يقبل سريعا روح الاحتداد يصرْ مسكنا للروح القدس ومن لا يحتد يغبط الروح القدس وهو يستطيع ان يكون وديعا ويمكنه ان يكون له محبة وصبر وتواضع . الفاقد الغضب قد تزين بكل عمل صالح ويحبه المسيح . من طرد عنه دائما روح السخط والغضب يكون جسمه وعقله ونفسه معافاة صحيحة في كل حين .

١١ ـ **في الاحتداد** ـ اما من يستولي عليه دائما الاحتداد ويسخط سريعاً ، وربما لأتفه الاسباب فسيسمع الرسول يعقوب قائلا : «ان غضب الرجل لايعمل بر الله» (يع ١ : ٢٠) . فالمغلوب بمثل هذه الاهواء هو بالحقيقة شقي ومنكود الطالع . لان الغضوب يقتل نفسه كما قيل ، لانه يتصرف دائماً في الاضطراب مقفرا من الهدوء وهو غريب عن السلام حتى انه يكون فاقد الصحة ، لان جسمه يذوب كل حين ، ونفسه مغمومة ، وبشرته ضامرة ، ولونه باهت ، وذهنه متقلب وعقله سقيم ، وأفكاره تفيض كالنهر ، يمقت الجميع ولا يحلّيه طول الروح والمحبة . يقلق سريعا من الاقوال الفارغة ويثير الخصومات لاتفه الاسباب . يزجّ نفسه حيث لا تكون حاجة الى ذلك ، ويسمح لذاته بالبغض . يفرح بكثرة

الأحاديث ، ويبتعد من الامور التي لاتوافق هواه بشتى أنواع الشتائم . يضيق ذرعاً بالوداعة . هو مقدام في الاشياء الخبيثة . فمن لا ينوح على مثل هذا لانه مرفوض لدى الله والناس ؟ إنّ المحتد يقع في كل أمر رديء . لذا عليه ان يتجنب ويحذر الاحتداد .

١٢ - في الوداعة - مغبوط هو الوديع لان الرب المخلّص قد ضمن له ملكوت السموات ، اذ قال : «طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض» (مت ٥ : ٤) . لذا اسرعوا الى اتقان هذه الفضيلة فاصنعوا واحرصوا بكل قوتكم ان لا يصير احد غير وارث الارض المذكورة ولا يبكي بكاء مراً متندماً . بادروا الى الوداعة . أما سمعتم ماقال عنها اشعياء النبي بالروح القدس ؟ فاحذروا ياأخوتي ان يخيب أحدكم من هذا التطويب ومن الفرح والابتهاج اللذين لا يقدّران . فان الوديع قد تزين بكل عمل صالح . إن سُبَّ يفرح وان أُحزِن يشكر . يُسكِّن بمحبة غيظ الغضوبين ، ويلبث في حين المخاصمة ثابتاً هادئاً . يبتهج ولا يفسد بالكبرياء - يفرح بالتواضع . لا يستعلي ذهنه بما أحكمه من الفضائل. لا يتبختر . يسكت في خضوع كلي لدى الجميع . يتعبد متهيئاً لكل عمل صالح . هو نجيب في كل شيء يمدحه ، ومنزه عن الرياء ومبتعد عن الخبث . لا يتعبد للغش ، ولا يخضع للحسد . يمقت اللائمين ويُعرِض عن المغتابين . يا أخوة ، الوداعة مغبوطة فان الجميع يعلّونها .

١٣ - في الخبث - يجب ان يُنتَحب ويُناح على من لا وداعة فيهم ، بل هم متحدون بالخبث ، لان قضاء رهيبا أعدّ لهم لان الخبيث يُستأصل . وإلهنا قد ندد بمثل هؤلاء قائلا : «الرجل الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر» (لو ٦ : ٤٥) . وذلك لان الشيطان الخبيث قاس عات . ولذا احذروا ان يصاب أحدكم بهذا الهوى فيسبب المذمة لنفسه . الخبيث لا يسالم أحداً ابداً ، بل يلبث دائما في الاضطراب ، يستوعب غضباً وغشاً وسخطاً . يتذمر ويشادّ في كل وقت ، يغار ويحسد دائما . يقسو وينتهر كل حين . يجاوب . يأتمر ويعود الى المشاورة . يعمل السوء ، يعاهد وينكث (بالعهد) ، يحبّ وينصب الشراك . يرفض

المجيدين ويلوم الناجحين . يفقه العظات ويعاكس الأخوة . يهزأ بطويلي الاناة . يرائي الغرباء . يذم الواحد لدى الأخر . يضادّ كل واحد من الاخوة . يثير الخصومات والغيظ . يعين على المجازاة بالشر . يهيء السأم ويتلذذ بالاغتياب . ينقاد للسب . هو شجاع في الهذر (أي تكثير الكلام)، ونشيط في التخلص بكلامه ، ساعٍ أول في الشغب ، وفاتر في الترنيم ، منحلّ القوة في الصوم وفاقد القدرة في كل عملٍ صالح . بلا فهم وكسلان في الاقوال الروحية ، لان مآثمه جميعها تتكون فيه . فمثل هذا مستحق ان يُناح عليه كثيراً . فلذلك اتضرع اليكم ياإخوتي ان تحتموا من الخبث .[1]

١٤ ـ في الصدق ـ طوبى لمن تقوم سيرته على الصدق ولم يقع في الكذب . مغبوط ومثلث الغبطة من اجرى الصدق فان الله صادق (رو ٣ : ٤) ومنزه عن الكذب (تي ١ : ٢) . من ذا لا يطوب حافظ الصدق بما انه قد شابه الله ؟ لان الصادق هو دائما وحقيقة حسن الارضاء لله ، ونافع لجميع الناس ، انيس بين الاخوة ومستقيم في كل امر . لا يحابي بالوجوه ، ولا يُسَرُّ بها . لا يحكم حكماً جائراً ، ولا يطلب مرتبة أو كرامة . لا يغفل عن حقير محتاج . في الرسائل لا يغش وفي العلم يستقيم ويُخلص في العمل . انه مكرم في جسد التآخي المشترك . لن يعرف غشا ، ولن يحب رياء . هو مزين بكل عمل صالح ومستبشر بكل فضيلة . فمغبوط اذا من يخدم الصدق دائما .

١٥ ـ في الكذب ـ شقي وسيء الحظ من يستمر في أي لون من ألوان الكذب ، لأن المحّال هو كذوب منذ البدء (يو ٨ : ٤٤) . ومن يستمر على الكذب فلا دالة له ، لانه محتقر عند الله والناس . هو غير ناجح في أي عمل مهما كان ، وغير موفق في أي رسالة مهما كانت . في الدير سخط وغضب . وهو في

---

(١) قال بولس : «لا بخمير السوء والخبث ، بل بفطير الخلوص والحق» (١كورة ٥ : ٨) . الاصل اليوناني «الخبث» هو مصدر «الشرير» في لو ٦ : ٤٥ اعلاه وفي «لكن نجنا من الشرير» . الخبث خمير فساد يخمّر النفس كلها بالاعوجاج والمكر .

مجتمع الأخوة الاشتراكي كالصدأ على الحديد ، لان له قلبا قلقاً فلا يحتمل الاستماع الى الأسرار الخاصة بل يشهرها بسهولة . ويتطاول بلسانه على الحسني الوقوف . يخلّ بالأمر ويتنصل من تبعته . لا يلفظ كلاماً بدون قسم (أي حلف) . ويظن أنه بكثرة كلامه يصدَّق . فالكذوب كثير الحيل ومتعدد الأحوال . لن يكون جرح أفحش ضرراً من الكذب ، ولا عار أشهر خزياً منه لأنه مرفوض لدى الجميع ، وسخرية عند جماعة الأخوة . لذا احذروا ان تدمنوا الكذب .[٢]

١٦ ـ في الطاعة ـ مغبوط من يحوز ملك الطاعة الحقيقية المنزهة عن الرياء . فانه يشبه معلمنا الصالح الذي اطاع حتى الموت (في ٢ : ٨) . الطائع مشابه له . سينال الميراث مثله . من عنده طاعة يتحد بالجميع بفضل المحبة . ويقتني ثروة عظيمة . المطواع يرضي الجميع ويمدحه ويعظمه الجميع . يرتفع وينجح سريعاً . يُنتهر فلا يجاوب . يؤمن بالله بصدق . يُزجر فلا يسخط . هو متهيىء لكل عمل صالح . لا ينحط الى الاحتداد بسهولة . ان سمع كلاماً غير لائق لا ينزعج منه لا يضطرم غضبه في الشتائم ، ويُسَرُّ بالأحزان ، ويشكر في الغموم . لا ينتقل من موضوع الى آخر ، ولا يستبدل ديراً بدير . اذا وُعظ لا يحرد . يثبت في المكان الذي دعي إليه . لا يتمسك بالضجر ، ولا يحتقر الأب . لا يستخف بالأخ ، ولا يميل الى الطواف حول الدير . لا يسر بالراحات ، ولا يستطيب الاماكن ، ولا يطرب بالأهوية .

يثبت في المكان الذي دعي إليه ، وأما ثمار الطاعة فهي بالحقيقة كثيرة . ولذا فمغبوط من قد اكتسبها .

١٧ ـ في التذمر والتمرد ـ شقي من لم يكتسب الطاعة بل التذمر ، لان التذمر في الدير ضربة قاضية وشك في المعيشة المشتركة ، انقلاب المحبة ، والعدول عن الألفة ، وتكدير صفو السلام . المتذمر ، اذا أمر يجاوب . وهو غير

---

(٢) هنا افرام يتفق مع حاشيتنا على الفقرة ٦٢ من المئوية اعلاه في رفض الكذب جملة وتفصيلا .

نافع في الاعمال . لا تكون له نعمة البتة بما انه يكون عاجزاً . لان الكسل مقترن بالتذمر ، وكل كسلان يسقط في الأسواء كما قيل . ان أرسل في حاجة يدعي ان الاسد في الطريق (أم ٢٦ : ١٣) ، والفيلة في الشوارع . يبتكر الحجج دائما . ان طلب منه عمل يتذمر ، وفي الحال يجعل الآخرين يعدلون عنه سائلاً : الى أين مصير هذا ولم هذا وذاك ؟

وليس الامر موافقاً ههنا ان ارسل في الطريق . يحتج ان فيه مشقة . ان أقيم الى الترنيم يغضب ، وان أوقظ للسهر يتعلل بوجع في معدته ورأسه ، ان وعظته يجيبك : «عظ نفسك وانا يكون مايريده لي الله» . ان علمته شيئاً قال : «يا ليتك تعلم ما أعلمه أنا . لا يصنع شيئا وحده أن لم يجذب آخر معه . جميع أعماله غير نافعة ، وكل فضيلة له غير منتظمة . يسر بالراحات ، ولا يفرح في الشقاء ، يتلذذ بالموائد ويرفض الصوم . المتذمر والكسلان متقنان المشاجرة (اي المخاصمة) واستنباط الأقوال ذات المكر العظيم . ولا يُغلبان في الهذر ، ويثلبان وينّمان بالواحد لدى الأخر . المتذمر شحيح في بذل الاحسان وغير متهيىء لاستقبال الغرباء ، مراءٍ في المحبة ومقدام في البغضاء ، لذا لا نتذمر في طريق الخضوع ولا نشاجر ولا نبرر أقوالنا مبرهنين عليها كأنها أوفر علما من سوانا .

١٨ - في من ليس فيه غيرة ولا حسد - الغيرة والحسد مرتبطان ببعضهما بعضاً . وطوبى لمن لم يخضع لهما . وان وُجد أحدهما في احد فكلاهما يكون حالاً فيه حقيقة . مغبوط من لم يسقط فيهما ولا جرحه أحدهما ، لان من يغار من اخيه في الظلمة يُدان ، مع المحّال ومن يغار فهو مغلوب وفيه البغض والعداوة ويغمه نجاح الآخرين . اما من لا غيرة له ولا حسد فيه فلا يغتم أبداً بنجاح الآخرين . لا يضطرب اذا كُرِّم آخر ولا يكتئب اذا رُفع شأن آخر ، لانه يحسب الجماعة مقدمين عليه . يقدِّم الجميع في الاكرام على نفسه ويحسب ذاته غير مستحق وآخر الجميع ويشعر أن الجماعة أعظم وأفضل منه . لا يتطلب اكراماً لذاته «يفرح مع الفرحين» (رو ١٢ : ١٥) . لا ينشيء ابدآ فخراً لنفسه ، ويعاون الناجحين ، ويسر بالسالكين حسناً . يمدح أصحاب السيرة القويمة . اذا أبصر أخاً يباشر عملاً

لا يعوقه بل يعطيه بعظاته جناحين ليرتفع الى العلاء . ان رأى آخر في راحة فلا يثلبه بل يمدحه . وان شاهد اخاً قد خطىء فلا يعّنفه بل يردعه باستقامة . ان أبصر أخا مغتاظاً فلا يحنق عليه بل يُسكِّن غيظه بمحبة ويسير معه في طريق السلام . ان أبصر أحداً مغموماً فلا يغفل عنه بل يتألم معه ويعزيه بأقوال مفيدة . إن رأى انسانا أمياً يسعى في تعليمه وارشاده الى ما يوافقه . إن شاهد غبياً يدله بدون حسد الى أفضل الأمور . ان أبصر أحداً نائماً في أوان الترنيم يوقظه بحرص . باختصار : انه لا يغتم بل يفرح بنجاح قريبه وعلوّ مكانته .

١٩ ـ في الحسود والغيور ـ شقي هو من جَرحه الحسد والغيرة لانه شريك المحّال الذي دخل به الموت الى العالم فانه يكون معانداً للجميع ، لا يؤثر ان يعلو عليه احد . يستخف بالنجباء وينصب المعاثر في طريق السالكين حسناً . يذم السائرين سيرة قويمة ، ويرذل الحسن النطق ينسب العُجَب الى الصائم وحب شهر الذات الى النشيط في الترنيم ، والشراهة الى مباشر الخدمة ، وحب التباهي الى المجتهد في الاعمال ، والكسل الى محب التعب في تنقيب الكتب ، والمكر الى مجيد الترنيم . الحسود لا يفرح أبداً بنجاح رفيقه ان رأى متوانياً فلا يحثه على العمل بل يحضه على التمادي في الشر ان أبصر أحداً نائماً في وقت الصلاة فلا يوقظه بل يدعه في سكون أعمق .

ان شاهد أخاً مرتاحاً يثلبه . ان أخذه في هفوة يعزِّره (أي يوبخه بعنف) أمام الجميع . تباً للحسود ، فان قلبه سقيم بالغموم كل حين ، ولون وجهه ممتقع ، وقوته خائرة . وهو شرس مع الجميع وعدوهم .

يرائي الجميع ، ويبتكر أصناف الغش ، ويحابي بالوجوه . يعاهد اليوم فلاناً وغداً آخر . يتقلب في علاقته بالجميع ، ويطاوع كل واحد في رأيه . ثم بعد قليل يذم الجماعة ويقود هذا الى ذاك ويقيِّد كل واحد بالآخر[٣] . فالحسد والغيرة سم

(٣) بعبارة اخرى عامية هو «فتنجي يفتن بين الناس» .

زعاف ، لان الوقيعة والبغض والقتل تتولد منها . اهربوا من الحسد يا جنود السيرة السماوية . واقصوا عنكم الغيرة والحسد لئلا تدانوا مع المحّال .

٢٠ ـ في الشتم ـ مغبوط ومثلث الغبطة من لم يؤذ لسانه بشتم الآخرين ، ولم يدنس قلبه بلسانه بل يدرك أنّا جميعا خاضعون للزجر . مغبوط من لم يلتذ بشتم الآخرين بل يكره هذا الهوى لان من لم يشتم رفيقهُ فقد حفظ ذاته بلا عيب ومثل هذا لا يقف عثرة ولا يتدنس . من يهرب من روح الشتم فقد حفظ نفسه من توالي الأسواء وغلب موكب الشياطين . من لم يكن ذا لسان شتام فقد اقتنى كنزاً لا يسلب . من لا يميل الى شتم آخرين فقد هرب من قتل الاخ . ففي الحقيقة ان هذا قد عرف ذاته انه انسان جسداني وقد حفظ ذاته غير متدنس .

من لم يكن مع الشتامين يستوطن مع الملائكة . من يُدِنْ الشتم من لسانه ومسمعيه فقد امتلأ من ترياق المحبة . من لم يدنس فمه بأنواع الشتم فيطيب فمه بأثمار الروح القدس فمغبوط في الحقيقة وسعيد ايضا من قد حفظ نفسه من الشتم .

٢١ ـ الشتامون ـ من قد اعتاد واستلذ ان يشتم آخرين فقد اشتهر بانه فريسة المثالب التي يشتم بها . لان من يشتم رفيقه انما يدين نفسه بما انه هو أيضاً ذو جسد ومتشبك بشباك العالم . في الشتام هاتان الرذيلتان الوقيعة والبغض . ولذا فهو يُدان كمقاتل الناس وفاقد التحنن والرحمة . وأما من فيه مخافة الله دائما فقلبه نقي ولا يُسَرّ بان يشتم الآخرين ولا يتلذذ بالخفيات الغريبة ، ولايرتاح لسقطة الآخرين . ومن قد اعتاد الشتم فهو مستحق بالحقيقة لان يُناح ويُنتحب عليه . ولقد عدد الرسول الأعمال الشائنة قال : «لا الشتامون ، ولا الخطفة ، يرثون ملكوت الله» (١كو ٦ ـ ١٠) .

٢٢ ـ في الحمية والصوم ـ مغبوط حقاً ومثلث الغبطة من قد حفظ الصوم ، لانه بالحقيقة فضيلة عظيمة القدر . وهو أنواع : ١ ـ صوم اللسان بأن لا يزلّ

بكثرة الكلام الفارغ ولا يشتم ، بأن لا يسبّ ولا يلعن ولا يتفوه بالكلام الباطل ، بان لا يثلب أحداً أمام آخر ولا يكيد له ولا يفشي الاسرار ، وبان لا يتعرض لما ليس من شأنه . ٢ ـ صوم الاذن بان لا يلعن أحداً عند سماعه الباطل . ٣ ـ صوم العينين بان يغض الطرف فلا يتفرس ولا يتأمل في المناظر الخلابة وفي ما ينبغي ان لا ينظر فيه ملياً . ٤ ـ الصوم عن الغضب بأن يكظم غيظه فلا يستشط غيظاً بسرعة . ٥ ـ الصوم عن حب الشرف بان يقهر المجد الباطل فلا يهتمّ بشرف ولا يطلب مكانة رفيعة ولا يستعلي ذهنه ، بان لا يبتغي الأعالي ولا يتشامخ ، ولا يتخيل المدائح . ٦ ـ صوم الذهن بأن يعذب الافكار بمخافة الله لئلا تتنازل او تتلذذ بفكر خادع مثير للاضطرام الداخلي . ٧ ـ الصوم عن الاطعمة بأن يحتمي منها فلا يتطلب أغذية تفيض عن الحاجة ولا ألوانا من الطعام باهظة الثمن ، وبأن لا يأكل قبل أوان الطعام أو قبل ساعته المعينة ، ولا يتعبد لروح شراهة البطن ولا يتضلع (أي يمتلىء) من الاطعمة الفاخرة او يشتهي طعاماً أثمن أو لوناً آخر . ٨ ـ الصوم عن الاشربة بان يحتمي منها فلا يُجرِّب بشرب النبيذ او التلذذ بالخمور ، وبان لا يشرب المسكرات او يتطلب أفضل المشروبات وملذات الممزوجات المصنوعة ، وبان لا يشرب بدون اعتدال في الشرب لا في الخمر فقط ، بل في الماء أيضاً ، ان كان ذلك ممكنا . ٩ ـ الصوم عن الشهوة واللذة الرديئة بان يضبط الحس فلا يقع في شرك الشهوات العارضة له ولا ينحني ليقبل الافكار التي تُخْطر الهوى على البال ، بأن لا يتلذذ كأنه يرتكب بذلك الفاحشة المكروهة وبان لا يعمل مشيئة الجسد ، بل ان يلجمه بتقوى الله . لان الصائم الحقيقي هو ذاك الذي يشتري الخيرات التي لا توصف وإليها يشرئب عقله . هذه تدفع الشهوة وترفض الزنى كشيء مرذول . هو لا يُسَرُّ بمرأى النساء ولا يطرب لمنظر الاجسام ، ولا يجذب بتأمل المحاسن . لا يتلذذ بالتسميات المستلذة ، ولا ينخدع بالكلمات المعسولة ولا ينزلق في عشرة النساء[٤] ولا سيما الزانيات منهن . ولا يتمادى في

---

(٤) المخطور هو «الانخلاع» فعشرة الجنسين مقيّدة بالحشمة والأدب والاعتدال ومخافة الله . نؤمن بالمساواة والاخاء الروحي وتكفر برخاوة غير المنضبطين ، والمخنثين ، والمتملقين ، والمغوين الماكرين المغرضين الذين يفتنون الجنس الآخر كما فتن الشيطان حواء ،

حديث مع النساء . الصائم الحقيقي الشجاع يصون ذاته . واذ يُضحي في سلام لا يُقدَّر،(٥) يقهر كل فكر ويكبح كل شهوة وذلك باشتهاء الأفضل تائقاً الى الدهر الآتي .

٢٣ - **في الاسراف اي فقدان الاعتدال** . اما غير الصائم فتستولي عليه بسهولة كل فاحشة . هو محب للذة . يستلذ بالكلام الفارغ والكثير، ويطرب للأحاديث البطالة وألوان الفرح (٦) والخلاعة . يتباهى بلذة الاطعمة ويتقوى برأى الاكل الكثير والشراب الوافر . يتمتع باللذة الباطنية ، وينحني بلذاته لقبول الافكار ويشتهي التشرف ، ويتصور الكرامة كأنه صار فيها . يتباهى بأحاديث النساء . ويسقطُ في شهوة الزنى . لا يرفض تأمل الألوان ، ويبتهج برؤية الوجوه . يسخر من صنع المعروف ، ويسترخي في محادثات النساء المضحكة . يتخيّل صور تقاطيع الوجوه ، ويحفظ ذكرها . يكرر تصّور وجوه النساء في مخيلته وحركات الايدي وملامسة الاجسام ومعانقة الاعضاء ، ويتذكر كلام الاهواء والضحك (الضحكات) الخادعة وغمزات العيون ولبس الثياب ، الوان الاجسام والحدثات المثيرات للشهوات ، تلذذ الجسم وحركات المشي ، ساعات وأوقات الاحاديث وكل الاشياء التي تقتاده الى اللذة . هذا المحب للذة يعيد تصورها في ذهنه وتخيلها في أفكاره . ان سمع قراءة عن اللذة يقطب وجهه وان شاهد اجتماع اباء مفيدا يحيد عنهم . ان رأى عنف الاباء يكتئب ، وان سمع عن الصوم ينتحب . لايفرح بطائفة الاخوة . ان أبصر امرأة تنبسط اسارير وجهه ، ويسارع في الخدمة بنشاط ، ويبدو حينئذ نشيطا في الترنيم ومقتدرا على المرح والخلاعة ومتفننا في ابتكار الوان الضحك . فعجبا كيف امكنه أن يظهر ذاته للنساء الحسناوات بهياً ومطرباً ويبدو مقطباً ومريضاً في ألوان الصمت ؟ . . . فلنتمسك بالصوم لأن الصائم مغبوط . الفَطِن هو من يدرب ذاته على كل فضيلة ، ويحرص

---

(٥) باسيليوس قال إن الصوم يطفىء الحروب .

(٦) الدنيوية المبتذلة . اما الفرح السماوي فيمنحنا اياه الروح القدس . بولس قال مراراً «افرحوا» (فيبلي . . .)

على ان يشرق في أعمال الصلاح والبر . مغبوط هو من لم يعمل في الدنيا شيئاً لا يرضي الله بل قد خدمه بخلوص نية ، وصنع أعماله في النور ، ولم يغلبه أي فكر يشير بمشورات باطلة . فماذا أعمل انا المجرد من كل فضيلة ؟ لن اتبع واحدة منها بل قد أفنيت حياتي في صنع الشرور كافة .

انه سيتم بي المقول : «انهم يحملون احمالا ثقيلة شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ولا يريدون ان يحركوها باحدى أصابعهم» (مت ٢٣ : ٤) . فلهذا اتضرع الى محبتكم جميعا يامباركي المسيح ومشاركي الفردوس ان تحرصوا جميعكم على استرضاء المسيح الذي جندكم لخدمته فلا يُطرح احدكم كمن قد تهاون او كمن قد تقاعس يامن هم تحت نير الله ، احذروا ان تعملوا مشيئات الجسد ، لكي لا تكونوا بلا اعذار أمام ذلك المنبر الرهيب حيث تصير مجازاة كل أحد على ما فعل من عمل صالح او طالح . فالويل لي في ذلك الحين ، فاني مزمع أن أقف بلا دالة . فماذا اعمل في تلك الساعة بالشدة التي لا مناص منها . فمغبوطون حينئذ جميع الذين يمثلون امام الحاكم بدالة ، المزمعون ان يتناولوا من يد الرب المجازاة المقدسة . الويل وقتئذ لمن يخزون بسبب أمر حقير تافه ، لانه اي اعتذار يكون لمن يُشكي بسبب ايثاره التشرف والمباهاة او التعظم او المعصية او التمرد او شراهة البطن او التطاول على الآخرين او الهذر ، او بسبب التآمر او الضلال او الحسد او المماحكة او الغيظ او الشتم او الظلم ؟

حقاً ، أي اعتذر لمن سيُشْكَى بسبب هذه الامور الحقيرة ، وأية فائدة او لذة تكون لك من هذه ؟

فلذلك اتضرع إليكم ، يا اخوتي ، الا تعملوا سبباً لان يدان احدكم من اجل هذه . لأني اعلم انكم ممسكون عن الخطايا الكبرى وقد قهرتموها . ولكن كل واحد منكم يحتقر هذه ظانا انه لن يُفحص عنها متوهماً انها أشياء حقيرة . وهكذا يقيدكم المحّال اذ يجعل كل واحد منكم يحتقر هذه كأنها ليست شيئا .

لكن احرصوا ان تكتفوا بهذه ، بل ان تحفظوا انفسكم بكل احتراس لتتشرفوا مع المسيح لان له المجد الى الأبد . صلواتكم .

آمين .

الفهرس

tonyandraous@hotmail.com